الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسـات العليـا
كليـــــــــة الآداب
قسم اللغـــة العربيـــة

الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني بين انتفاضتين

(1987 – 2005م)

إعداد

الطالب / أيمن سليمان مسمح

إشراف

الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي
قسم اللغة العربية

1428 هـ – 2007 م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

مثّل الشعر الفلسطيني المعاصر الحياة الاجتماعية بكـــل صـــورها وأشكالها ، وبيّن حياة الناس في شتى مجالاتها ، فقــد اعتمـــد عـــدد مـــن الدارسين على الشعر في التعرف على الظواهر الاجتماعية للمجتمع ، وقدم الشعر في جانبه الاجتماعي الكثير من النماذج ، وعالج العديد من القضايا التي تمس الواقع الفلسطيني بهدف تغيير المجتمع وإعادة تشكيله ، وظهوره بأبهى صورة .

وقد تناولت هذه الدراسة الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني بين انتفاضتين (1987 – 2005) ، هذا الاتجاه الذي لم يعنَ باهتمام كثير من الدارسين ، الذين استهواهم الاتجاه السياسي والمقاوم في الشعر الفلسطيني ، فوقفوا أنفسهم عليه .

وقد عالجت الدراسة العديد من الجوانب الاجتماعية التـــي ضـــمنها الشعراء في دواوينهم ، منها الظواهر الإيجابية : كالدعوة للقيم الأخلاقية، والجد والعمل والمثابرة ، والدعوة للتكافل الاجتماعي ، والحث على الوحدة الوطنية ، وحذرت من الآفات الاجتماعية كالفوضى والفـــساد ، والغـــدر والخيانة ، والاستكانة والخنوع، والخلافات الحزبية ، وغيرها .

كما بينت الدراسة اهتمام الشعراء بالمرأة وقـــضاياها ، وإشـــادتهم بكفاحها ودورها في تحمل مسؤوليتها تجاه أبنائها وزوجها وبيتها ، ودورها في المشاركة في النضال والكفاح .

ولم تقف الدراسة عند حدود الدراسة الموضوعية للظواهر الاجتماعية في الشعر الفلسطيني ، بل تعدت ذلك بدراسة الظواهر الفنية فيه وانعكاساتها الاجتماعية ، كاللغة والأسلوب والصورة الشعرية .

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في مسعاي ، ووفيت الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني حقه من الدرس والاهتمام .

Abstract

The contemporary Palestinian poetry represented the social life in all its pictures and forms . and it showed the people life in different fields .

Many researchers depended on the poetry to recognize the social phenomena of the society The poetry has presented many patterns and treated many issues that belongs to the Palestinian reality in the aim of changing and reforming the society to appear in its best picture .

This study has dealt with the social trend in the Palestinian poetry between two intifadas (1987 – 2005). That trend didn't receive great attention from researchers who were affected by the political and resistant attitude in the Palestinian poetry therefore, they devoted themselves for that purpose .

This study has treated many social sides which the poets books contained, examples of these phenomena are the call for hard work ,performance and the call for social solidarity and urge for national unity .

On the other hand ,it warned against the social ills like chaos ,corruption betray ,submission party disputes and others .

Also it showed the concern of the poets in the woman and her issues and their for her struggle and her role in responsibility bearing towards her children, husband, and house .

This study has not only restricted at the objective study of the social phenomena but it exceeded that by studying the artistic phenomena in the Palestinian poetry and its social reflections, like the language , style and poetic image .

I pray to Allah that I was able to cover the social trend in the contemporary Palestinian poetry and give its right .

إهــــــــــداء

إلى من ربياني صغيراً أبي وأمي

إلى من شملتني برعايتها زوجتي الغالية

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائي

المقــدمـــة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على أشرف المرسلين , ســيدنا محمــد وعلــى آلــه وصحبه الأبرار , ومن سار على دربهم إلى يوم الدين وبعد .

لقد ارتبط الأدب بشكل عام بالواقع السياسي والاجتماعي , وكان في كثير من مراحلــه يواكب التغيرات السياسية وآثارها الاجتماعية , ويسايرها , حتى بات من المؤكد أن نقرأ بعــضاً من واقع المجتمعات , وأوضاعها السياسية والاجتماعية والفكرية من خلال قراءتنـــا للنتاجــات الأدبية والشعرية في حقبة ما .

وقد تأثر المجتمع الفلسطيني بالمتغيرات السياسية , وانعكس ذلك بصورة واضحة علــى الجوانب الأدبية , فكان الشعر مما تأثر كثيراً بهذه المتغيرات , وأصبح مرآة حقيقيــة للأوضـــاع الاجتماعية.

ومما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع , أنه – على حد علمي – لم يسبق أن تناولــه أحد بالدراسة من قبل , وذلك لأنه مازال يمثل واقعًا قائماً معيشاً حتى اللحظـــة , ومـــن ناحيـــة أخرى وجدت أن هذه الدراسة فيها من الجدة والإبداع , ما يزيح الستائر , ويكشف عـــن زوايـــا مهملة , ازدحم فيها الكثير من الشعراء الفلسطينيين المغمورين , ويطرق باباً موصداً لم يطـــرق من قبل , حيث الموضوع مازال بكراً , فقد استهوى الاتجاه السياسي في الـــشعر العديـــد مـــن الدارسين , فتحدثوا عن أدب المقاومة في فلسطين ، والشعر في نكبة فلسطين وغيرها , ولكـــن جميع هذه الدراسات لم تتناول الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني , إلا ما جاء منه مـــسايراً لروح الدراسة التي يقوم بها هذا الباحث أو ذاك.

بالإضافة إلى رغبتي الداخلية وميلي الخاص نحو الشعر ، كل ذلك دفعني إلى هذا الاتجاه.

<u>الدراسات السابقة</u> : انشغلت الدراسات التي تناولت الأدب الفلسطيني الحديث والمعاصر بدراسة القضايا والظواهر السياسية والوطنية , وصبت اهتمامها على الأغراض التي تتـصل بمقاومـــة الاحتلال , وإظهار دور الشعر في المقاومة والدفاع عن القضية , وبعضها تناول قضية اللاجئين , وموضوع الشهادة , وصورة الأرض أو المرأة , ولم أجد أحداً منهم أفرد " الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث " باهتمام خاص , أســتثنى مـــن تلـــك الدراســـات " حيـــاة الأدب الفلسطيني الحديث " للدكتور عبد الرحمن ياغي" , على أنه قد وقف عند بداية النكبة, وما ذكـــره في الجانب الاجتماعي جاء في ثنايا استعراضه لحياة الـــشعر عامـــة, كمـــا أســـتثنى " الجانـــب

الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث " للدكتور محمد شحادة عليان , على أن دراسته للجانب الاجتماعي قد توقفت قبل الانتفاضة الأولى 1987م.

منهج البحث : من خلال دراستي للمناهج النقدية , فإنني أرى أن المنهج الاجتماعي النقدي هو الأنسب لطبيعة الموضوع وحيثياته .

وقد استدعت طبيعة الموضوع وغايته أن تتوزع مباحثه على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

وسأتحدث في **المقدمة** عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له , ومنهج دراسته ، وسأبين في **التمهيد** كيف أضحى الشعر الفلسطيني رديفاً للوثيقة الاجتماعية ، وكيف انعكست على صفحاته مظاهر حياة الفلسطينيين .

وسأفرد **الفصل الأول** للحديث عن تركيبة المجتمع الفلسطيني , وطبقاته , والحركات الوطنية والإسلامية ومنطلقاتها الأيديولوجية.

وسأدرس في **الفصل الثاني** الظواهر الاجتماعية في الشعر الفلسطيني ، الظواهر الايجابية مثل : دعاوي الشعراء إلى القيم الأخلاقية ، والتكافل الاجتماعي ، ورص الصفوف , والظواهر السلبية مثل : نبذ الآفات الاجتماعية والخلافات الحزبية , وتنقية المجتمع من العملاء , وتصويرهم لحياة الفقراء وما يعانونه من ألوان البؤس والشقاء.

أما **الفصل الثالث** فسأتناول فيه الاتجاه نحو قضايا المرأة والأسرة , ومشاركة المرأة في النضال والعمل , وتربيتها للأولاد , ودورها كأم وزوجة ...

والفصل الرابع سأخصصه للظواهر الفنية في الشعر الاجتماعي , كاللغة , والأسلوب, والصورة الشعرية ...

وفي الخاتمة سأحاول رصد أهم نتائج البحث وتوصياته , وسأتبعها بثبت المصادر والمراجع .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي ، على رعايته لي و إرشاداته وتوجيهاته التي أنارت لي درب البحث .

وأخص بالشكر لجنة المناقشة الذين تكرموا بقبول مناقشة رسالتي .

كما أتوجه بالشكر إلى الجامعة الإسلامية التي فتحت لنا أبواب الدراسة في قسم الدراسات العليا بكلية الآداب ، وإلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية الذين كانوا عوناً لي في إنجاز هذا البحث .

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر والامتنان لكل من ذلل لي طريق البحث ، وقــدّم المــساعدة مهمــا كانت.

لقد بذلت من الجهد أقصاه ، فإن أصبت فهذا توفيق من الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ومــن الشيطان ، وحسبي أنني لم أقصد ذلك .

تمهيـــد

الشعر وثيقة اجتماعية

الشعر وثيقة اجتماعية

صور الشعر الفلسطيني جوانب متعددة من حياة الشعب ، وظهر ذلك في أشعار كثير من الشعراء الفلسطينيين ، فكان شعرهم ملتصقاً بحياتهم ، وحياة أبناء شعبهم مصوراً لأوضاعهم، معبراً عن آمالهم وآلامهم ، إذ نجد كثيراً من شعرهم يرسم معالم البيئة الفلسطينية ، ويوضح حدودها ، ولكن ما المراد بالبيئة ؟ وما تأثيرها في الشعر والشعراء ؟ إنها " الأحوال الطبيعية ، و الأحداث السياسية ، والتيارات الثقافية ، والأوضاع الاجتماعية التي تعيشها الأمة "[1] .

واهتم الشعر الفلسطيني كثيراً بالأوضاع الاجتماعية ، وعالج موضوعاتها بدقة وأمانة ، وهذه الأوضاع متمثلة في " النظم الإدارية ، والنواحي الاقتصادية ، والمستوى الثقافي والحضاري الذي بلغته الأمة ، والأحداث الكبرى التي تصيبها فتمس مواطن الإحساس عند كل فرد " [2] ، فقد عني الشعر الفلسطيني بتلك النواحي عناية فائقة ، وضمنها الشعراء في العديد من دواوينهم ، وعبروا عنها بأحاسيسهم ومشاعرهم ، فصوروا حياة مجتمعهم في شتى مجالاته، وهذه وظيفة الشعر منذ سالف الزمان ، حتى في العصر الجاهلي إذ " كان الشعر عند الجاهليين في خدمة المجتمع الصغير " القبيلة " ، وإلى هذا يرجع الفرح العظيم بالشاعر حين ينبغ في قبيلة " [3] ، فقد كانت القبائل العربية تفاخر بعضها بميلاد شاعر فيها ، فهو لسان حالها ، والمنافح عن شرف القبيلة وعزها ، وظل الاعتداد بالشعراء قائماً حتى في العصر الحديث ، لأهمية الشعر في نقل الصورة حية عن هذا المجتمع أو ذاك .

وما زال الشعر الاجتماعي ينقل لنا الحياة الاجتماعية بكل صورها وأشكالها ، ويبين لنا حياة الناس في شتى مجالاتها ، والمتتبع لشعر أي مجتمع في أي قطر كان، يستطيع أن يدرك الكثير عن حياة ذلك المجتمع ، " فحياة الأدب في قطر من الأقطار صورة حية وانعكاس للعملية

---

[1] – سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر – عصر الملوك والطوائف – ، دار نهضة مصر ، القاهرة، ص 10 .

[2] – السابق ، ص 16 .

[3] – د . إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1996 م ، ص 140 .

الاجتماعية الكبيرة ، التي يمارسها المجتمع بمختلف فئاته " [1] ، وهذا ما يفسر اعتماد عدد من الدارسين على الأدب بصفة عامة والشعر خاصة في التعرف على الظواهر الاجتماعية لأي مجتمع ، واتجه الشعر في العصر الحديث لمعالجة قضايا المجتمع وهمومه ، وتصوير حياة الناس والاهتمام بقضاياهم ومشاغلهم ، فلم يعد الشعر الحديث تابعاً لسلطة الحكام والأمراء، يمدحهم ويزين لهم أفعالهم ، ولم يصبح أداةً للهو والتندر بالآخرين ، بل صار يواكب أحداث الأمة ، ويصف أفعالها ، ويبعث فيها الأمل ، ويدفعها قدماً للأمام ، ويهتم بالقضايا الاجتماعية المهمة حيث " ظفرت المسائل الاجتماعية بالنصيب الأوفى في الشعر الحديث " [2] .

وموضوعات الشعر الاجتماعي متعددة ومتنوعة ، تتناول حياة المجتمع في كل شؤونه ، والشاعر يستمد موضوعاته من حياة مجتمعه " فموضوعات الشعر الاجتماعي تتصل اتصالاً وثيقاً بالمجتمع الذي يعيش فيه الشاعر " [3] ، فالشاعر يحيا ضمن مجتمع ، وليس خارجاً عنه ، وله علاقات اجتماعية مع من يعيش معهم ويخالطهم ، ولديه مشاعر وأحاسيس تتشكل ضمن مجتمعه الذي ينصهر فيه ، لذا كانت موضوعات الشعر الاجتماعي "تمثل العلاقات العامة بينه وبين من يحيون معه، ويمرون بظروف اجتماعية تتصل بمشاعره من قريب أو بعيد "[4] ، فهو ينقل ما يشعر ويحس به ، ويتأثر بالحياة الخارجية السائدة في مجتمعه ، ومن هذا المجتمع يستمد مادة شعره ، وكلما كان الشاعر صادقاً في تصوير حياة مجتمعه يبقى شعره حياً ، قوياً ، ذا رونق وجمال ، يقبل الناس على قراءته بشغف ونهم ، لأنهم يشعرون أن هذا الشعر يتحدث بلسان حالهم ، يعبر عن أحاسيسهم ووجدانهم ، يصل إلى خلجات قلوبهم ، تفهمه عقولهم ، وتألفه آذانهم ، وتصدقه قلوبهم ، وهذا ما يراه أصحاب المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ، فيعتبرون " إن العمل الفني سواء أكان شعراً أو نثراً لا يستمد جلاله أو روعته من جلال الموضوع أو من تقنياته الفنية فقط ، وإنما يستمد قيمته من مدى صدقه في التعبير عن هموم وآمال الشعب ، ومدى ارتباطه بواقعه " [5] .

---

1 – د . عبد الرحمن ياغي ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، الطبعة الأولى 1968 م ، ص 7 .

2 – عباس محمود العقاد ، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ص 15 .

3 – البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، ص 519 .

4 – السابق ، ص 519 .

5 – د. جمال أحمد الرفاتي، أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، دار الثقافة الجديدة ، ص7 .

فالواقع مصدر إلهام للشاعر ، والشعر طريقة تعبير عن هذا الوقع ، ولكن تختلف طريقة التعبير من عصر إلى عصر ، فكل عصر من العصور له سمته التي تميزه عن غيره ، وأصحابه يعبرون عنه بلغة خاصة ، تفارقهم عن عصور سابقة أو لاحقة ، فلكل زمن خاصيته، وله مشاغله وهمومه وذوقه الخاص به والشاعر يختار لغته من العصر الذي يعيش فيه، لأن " لكل عصر همه وهمومه ، وأن لكل عصر ذوقه وتذوقه ، مما يتخالف عن ذوق عصر سواه ، ويتفارق عن هموم غيره "[1] ، فهناك طريقة تزاوج بين طريقة الشاعر في توظيف اللغة ، والطريقة التي تستخدم بها في المجتمع ، لذلك يتأثر الشاعر بطبيعة اللغة عند جماعته وفي عصره ، ولكن يبقى للشاعر حساسيته الشخصية التي تقوم بدور فعال في استخدامه اللغة ، وتكوين أسلوبه الخاص به .

ويتأثر الشاعر بمجتمعه وبيئته ، وبالظروف القائمة داخل مجتمعه ، ويعبر عن ذلك في شعره ، والشعر تعبير عن المجتمع ، ويرى كلود دوشيه أن : " كل ما في النص إنما يصدر عن فعل من أفعال المجتمع "[2] ، فالمجتمع سابق في وجوده على العمل الأدبي ، والمجتمع حاضر فيه ، حيث نجد أثره ووصفه ، وهو موجود أيضاً بعد العمل ، والشاعر يتأثر بهذا المجتمع ، ويعكس فهمه هو لهذا المجتمع ، والشعر تصوير لهذا الفهم ، فهناك تبادل في التأثير بين الشاعر والمجتمع الذي يعيش فيه " ففي الشعر الاجتماعي يستجيب الشاعر لسمات المجتمع، ويصبح قلبه مرآة تنعكس عليها خصائصه ومميزاته "[3] .

فالشعر الاجتماعي يستمد قوته وديمومته من المجتمع ، ويكتب للجماعة دائماً ، يريد أن يؤثر فيهم ، ووسيلته في ذلك الحديث عما يعنيهم ويهمهم ، دون أن ينساق وراء أهوائهم ، أو أن يسعى إلى تملق الجماهير والخضوع لها ، فهو شعر يؤثر في المجتمع ويتأثر به ، يضيف إلى المجتمع قيمة جديدة مع القيم الموجودة فيه أصلاً .

الشعر الفلسطيني في جانبه الاجتماعي قدم الكثير من النماذج ، وعالج العديد من القضايا التي تمس الواقع الفلسطيني ، وتأثر بهذا المجتمع كثيراً وأثر فيه ، وكان له فضل كبير في هذا المضمار ، وقد أكثر الشعر الفلسطيني من تناول القضايا الاجتماعية ، مقارنة بغيره من الشعر

---

[1] – د .رجاء عيد ، القول الشعري " منظورات معاصرة " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 108 .

[2] – جان ايف تادييه ، ترجمة : منذر عياشي ، النقد الأدبي الحديث في القرن العشرين ، مركز الإنماء الحديث، الطبعة الأولى ، 1994 ، ص 136 .

[3] - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، ص 519 .

العربي المعاصر ، وذلك عائد لظروف المجتمع الفلسطيني الواقع تحت قهر الاحتلال وكيده ، " فإذا كانت مهمة الفن – كما يراها الكثيرون – هي تغيير الواقع أو شرف الحلم بتغيير الواقع ، فإن الأدب الفلسطيني يفاخر باقي الآداب في هذا المجال " [1] ، فواقع الشعراء الفلسطينيين يختلف عن واقع الشعراء العرب هذا الواقع المؤلم- بسبب الاحتلال - بحاجة إلي التغيير أكثر من غيره ، واقع يثير الشعراء فينطقهم شعراً ، فشعراء فلسطين قاموا بتسجيل تلك التجارب الاجتماعية ، وسعوا إلى الثورة على الظلم و القهر و الاحتلال و العادات السيئة و غيرها .

إن علاقة الشعر بالمجتمع تتفرع في ثلاثة اتجاهات :

1) الموقف الاجتماعي للشاعر من حيث صلة العوامل الاقتصادية والبيئة الاجتماعية والقيم الاجتماعية ، التي تمد شعره أو تتمثل فيه .
2) المضمون الاجتماعي أو الغاية الاجتماعية التي يحاول الشاعر أن يحققها .
3) التأثير الاجتماعي للشعر ، لاعتماد الشعر على الجمهور صغيراً كان ذلك الجمهور أم كبيراً [2] .

من خلال ما تقدم ، يتضح دور الشعر في المجتمع ، وأثره فيه ، وتأثير المجتمع في الشعر ، ولكن يبقى السؤال : هل الشعر الاجتماعي مرآة تعكس الواقع كما هو ؟ هل هو مرآة تنقل أحوال المجتمع نقلاً صادقاً حقيقياً ؟

إن أصحاب المنهج الواقعي يقولون إن الشعر يعكس لنا الواقع ، ويقدم لنا الحقيقة كما هي ، ولكن كيف يقدمها الشعر ، إنه يقدمها بطريقته الخاصة التي تختلف عن غيرها ، "فالشعر يقدم لنا الحقيقة كما يقول أصحاب مبدأ الواقعية ، ولكن يقدمها بطريقة خاصة نسميها شعرية أو فنية "[3] ، وهذا ما يميز الشعر عن غيره، وهي سمة الشاعرية التي تجعل منه أولاً وقبل كل شيء شعراً ، قبل أن يكون تعبيراً عن الواقع ، وإلا كان ذلك سرداً للحقائق والواقع المعيش ، فالشعر لغته منغمة شاعرية ، وليست تقريرية إخبارية ، تنقل ما في المجتمع نقلاً حقيقياً ، وكأنها مرآة تعكس ما يدور و يجري فيه ، دون أن يكون للشعر لغته الخاصة التي تميزه عن غيره من الفنون ، ولكن هذه اللغة الشعرية الخاصة به مستمدة من المجتمع ، ومن انصهار الشاعر مع تجارب مجتمعه ، وتفاعله معها، وتأثيره فيها، فالشعر " نغم ومعنى ، وبعبارة

[1] – د . نبيل أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، دار المقداد ، غزة ، الطبعة الأولى 1996 ، ص 134 .
[2] – انظر : د. إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1996 ، ص 134 .
[3] – السابق ، ص 136 .

قصيرة " هو تجارب منغمة " والتجارب لا يمكن أن تأتي من العدم ، بل هي انعكاس للعلاقة بين ضمير الشاعر والضمير الجمعي لأمته " [1] .

فالشاعر حين يصف لنا واقعنا ، ويعبر عنه ، يحاول أن يصنع لنا حياة أخرى ، تختلف عن حياتنا ، ولكنها مشابهة لها ، كما يتصورها هو ، وفي ذلك يقول صلاح عبد الصبور : " الشاعر لا يعبر عن الحياة ، ولكنه يخلق حياة أخرى معادلة للحياة ، وأكثر منها صدقاً وجمالاً "[2] ، وكذلك يقول عبد الوهاب البياتي : " الشعر ليس انعكاساً للواقع ، بل هو إبداع للواقع "[3] ، وبذلك يكون الشعر إعادة تكوين وتشكيل للواقع بطريقة خاصة ، وبلغة خاصة ، والشاعر وهو يصور واقع مجتمعه إنما يعبر عن تصوره ورؤيته للحياة ، وينطلق من موقفه الفكري ونظرته للحياة ، والتي يحاول أن يقنع بها الآخرين ، ويتخذ من الشعر وسيلة لذلك " إن الكاتب لا يملك إلا أن يعبر عن تجربته وفهمه للحياة "[4] ، لذا نجد الشعر الاجتماعي لا يستقي الحقيقة من الواقع الاجتماعي فقط ، وإنما من موقف الشاعر الفكري من الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه ، فكل أديب أو شاعر له فلسفته ونظرته من الواقع ، وله تصوراته التي تختلف عن تصورات غيره ، وهو يحاول أن ينقل هذه الرؤى والتصورات في أدبه وشعره ، " فالأدب انعكاس لرؤية الأدباء وتصوراتهم المستقبلية "[5] .

وظيفة الشعر الاجتماعي :

الشعر الاجتماعي يضطلع بدور هام وكبير في التأثير في المجتمع ، خاصة في المجتمعات النامية ، لأن الكلمة لا تكون قد فقدت فعاليتها النقدية ، وأصبحت ترفاً ذهنياً ، فهي ما تزال تملك القدرة على الرؤيا والتعبير عن عالم جديد ، ففي هذه المجتمعات تكون وظيفة

---

[1] – عبد العزيز المقالح ، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1978 م ، ص82 .

[2] – في نقد الأدب الفلسطيني ، ص 57 . عن(حياتي في الشعر ، دار العودة ، بيروت ، 1969 ، ص 39)

[3] – السابق ، ص 57 ، عن (تجربتي الشعرية ، دار العودة ، بيروت ، 1968 ، ص 35)

[4] – عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، الطبعة السابعة ، ص 44.

[5] – د. محمود محمد أسد ، مجلة شئون اجتماعية ، العدد 72 ، السنة 18 ، شتاء 2001 م ، مجلة فصلية علمية محكمة ، تعني بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جمعية الاجتماعيين ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، الشارقة . من مقال بعنوان " الأدب وعلاقته بالمجتمع " ص 162 .

الشاعر أقرب إلى وظيفة المصلح أو المعلم ، ولكنها تبقى طريقة إيحائية بعيدة عن أساليب الحض الصريح والتعليمية المباشرة [1] .

والشعر الصادق لا يكون بعيداً عن الميدان الاجتماعي ، وكذلك الشاعر الصادق لا يقاتل بعيداً عن هذا الميدان ، فعليه أن يبحث عن قضايا مجتمعه ، ويمحصها ويتفاعل معها ، ويتخذ من هذه التجارب مادة لأشعاره ، يصور فيها واقع مجتمعه ، ومعاناة أهله "فالأدب الصادق ليس معزولاً عن المجتمع ، فعلى الأدباء أن يعيشوا تجربة عصرهم ويعكسوها في أعمالهم "[2] .

والشاعر وهو يحمل هم مجتمعه ، يضنيه ما يحدث فيه ، يحاول جاهداً تغيير الواقع المرير ، والتأثير في مجتمعه ، دون أن ينساق وراء أهواء مجتمعه ، أو أن يسعى لتملق الجماهير والخضوع لها ، بل لابد أن يكون له موقف وإرادة قوية لا تذوب في إرادة مجتمعه وأهوائه ، وربما أحدث ذلك حتى لو كان معارضاً لمجتمعه " فالأديب العظيم يستطيع أن يؤثر في مجتمعه ، وأن يكسب رضاه دون أن يخضع لإرادة هذا المجتمع ، بل ربما استطاع تحقيق ذلك وهو يقف معارضاً للمجتمع " [3] ، فوظيفة الشعر هي الكشف عن حياة المجتمع ومواطن الخلل فيها ، والعمل على إصلاحها ، وتغييرها للأفضل ، ويقوم بنشر المبادئ والقيم الفضلى في مجتمعه بطريقة فنية وأدبية ، حتى لو خالفت آراؤه ومعتقداته آراء غيره ممن لا يريدون لمجتمعه الخير ، ويسعون لإفساده ، ولو وافق الشعر هؤلاء وتملقهم لأصبح شعراً تجارياً ، وقائله شاعراً تجارياً ، يبيع بضاعته على أبوابهم ، ويرتزق من شعره .

ولابد للشعر أن يحمل رسالة نحو مجتمعه ، يهدف من خلالها تصوير واقع مجتمعه ، وعكس أحواله ، ونقل هذه الأحوال نقلاً صحيحاً صادقاً ، والتأثير فيه ، فالشعر يسعى لتحقيق مصلحة اجتماعية ، خاصة في المجتمعات النامية ، التي تعاني من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية صعبة " الشعر الذي لا يحمل رسالة ولا يخدم هدفاً اجتماعياً ، يصبح نوعاً من الأصوات المجردة التي قد تكون جميلة ، وربما مفيدة في الظروف السوية للمجتمعات المتقدمة، ولكنها مهما كان جمالها غير مفيدة ولا جميلة لدى المجتمعات التي تعاني من التخلف والظلم السياسي والاجتماعي " [4] .

---

[1] – انظر : الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، ص 82 – 83 .

[2] – مجلة شئون اجتماعية ، ص 162 .

[3] – الأدب وفنونه ، ص 45 .

[4] – الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، ص 83 .

والشعر يسعى لتغيير المجتمع و إعادة تشكيله ، وظهوره بأبهى صورة ، من أجل ذلك سطر الشعر في ثنايا قصائده العديد من القضايا الاجتماعية ، ورسم صورة ناصعة للمجتمع الذي يتمناه ، وبث فيه الكثير من القيم والمبادئ " فهو بما يقدم إليه من قيم جديدة يساعد على تغييره وتشكيله " [1] ، والشاعر وهو يدون قصائده ، ويضمنها العديد من المثل والقيم ، لا يكون بعيداً عن واقع مجتمعه ، فهو لا يرسم مدينة فاضلة ، يصعب تحقيقها ، ولكنه مرتبط بواقعه محدد به " فالمجتمع كائن قبل العمل ، ذلك أن الكاتب محدد به ، فهو يعكسه ويعبر عنه ، ويتطلع إلى تغييره " [2] ، وينظر الكثيرون إلى حركة الشعر ويصفونها بأنها صورة انعكاس إلى حركة الواقع وقوانينه التاريخية، هذا الشعر وظيفته الإسهام في تغيير الواقع[3].

ويبقى سؤال : هل لتناول القضايا الاجتماعية الأثر الحاسم في العمل الأدبي عامة والشعر خاصة ؟

إن معظم دارسي الأدب يحاولون أن يعزلوا مجموعة خاصة من ألوان النشاط والإبداع البشري ، ويجعلونها وحدها لها الأثر الحاسم في العمل الأدبي ، فمنهم من ينظر للأدب على أنه نتاج مبدع فرد ، ويفحص هذا الأدب من خلال ترجمة حياة المؤلف ودراسة نفسيته ، ومجموعة ثانية تبحث عنها في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ومجموعة أخرى تبحث في التفسير السببي للأدب بصفة خاصة ، وأخيراً هناك مجموعة من الدارسين تشرح الأدب في ضوء نظرية " روح العصر " ، ويبدو أن الرجوع بالأدب إلى أن يكون أثراً لسبب واحد من الأسباب خطأ ظاهر [4] .

---

1 – الأدب وفنونه ، ص 46 .

2 – النقد الأدبي الحديث في القرن العشرين ، ص 115 .

3 – انظر : د . خالد الأعرج ، في تأويل خطاب النقد الأدبي الاجتماعي ، عبد المنعم ناشرون ، الطبعة الأولى، 1999 ، ص 82 .

4 – انظر الأدب وفنونه ، ص 47 – 48 .

الفصل الأول

التركيبة الاجتماعية للسكان

- الفئات الاجتماعية

- الموظفون
- الطلاب
- العمال
- التجار
- المزارعون

- الحركات الوطنية والإسلامية

التركيبة الاجتماعية للسكان

تعرض الشعب الفلسطيني في مسيرة حياته إلى كثير من الأزمات والنكبات التي تركت أثراً بالغاً على التركيبة الاجتماعية للسكان ، فقد قامت إسرائيل عام 1948م باحتلال ما يقارب 76.5% من أراضي فلسطين، وأعلنت دولتها على هذا الجزء ، وكذلك شردت قواتها " نحو 156 ألفاً من الفلسطينين والذين شكلوا نحو 10.6 % من تعداد هذا الشعب" [1] .

هذا أدى إلى تهجير الفلسطينين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة وأجزاء من الدول العربية ، وبقي هناك عدد من الفلسطينيين لم يهاجروا ، وظلوا متشبثين بأرضهم ووطنهم حتى الآن ، وهم في ازدياد دائم ، حيث سبب هذا مأزقاً كبيراً للكيان اليهودي ومشكلته الديمغرافية ، فالزيادة السكانية الطبيعية للعرب في إسرائيل تشير إلى ارتفاع تلك النسبة بشكل كبير مقارنة بالنسبة الضئيلة لليهود في إسرائيل " وقد توقع كثير من الباحثين أن يصل عدد العرب إلى نحو 1.2 مليون نسمة في مطلع القرن الجاري ، مقابل 4.1 مليون يهودي ، وأن نسبتهم سترتفع إلى حوالي 22% من مجموع السكان داخل إسرائيل "[2] .

وكذلك أوجدت هذه الهجرة واقعاً ديموغرافياً جديداً في الضفة الغربية وقطاع غزة ، إذ ازدادت الكثافة السكانية بشكل كبير ، وازداد الأمر سوءاً عام 1967 م ، حيث تدرجت إسرائيل في تطبيق سياسة مصادرة أراضي الضفة والقطاع وإنشاء المستوطنات عليها ، الأمر الذي جعل قطاع غزة من أكثر مناطق العالم ازدحاماً بالسكان .

وبعد حرب الخليج الأولى وما ترتب عليها من طرد الفلسطينيين العاملين في دول الخليج وعودتهم إلى قطاع غزة والضفة الفلسطينية ، وكذلك بعد توقيع اتفاقية أوسلو وعودة الكثير من قوات منظمة التحرير وعائلاتهم إلى مناطق الحكم الذاتي أضحت المشكلة السكانية بالغة التعقيد ، وارتفعت كثافة السكان في قطاع غزة إلى ما يزيد على أربعة آلاف نسمة لكل كيلو متر مربع [3] .

---

1 - عادل عبد القادر منصور ، الخصائص السكانية وأثرها في التنمية في دولة فلسطين ، دراسة في الجغرافيا الاجتماعية – رسالة دكتوراه – ص 114 .

2 – السابق ص 114 .

3 – انظر د. ماجد محمد الفرا ، د. علاء الدين الرفاتي ، تغيرات مؤشرات سوق العمل الفلسطيني خلال انتفاضة الأقصى ، الجهاز المركزي للإحصاء ، حزيران / يونيو 2005 م ، ص 30 .

ويعتبر المجتمع الفلسطيني مجتمعاً فتياً ، فنسبة كبيرة منه تندرج ضمن فئة الشباب والأطفال إذ " تظهر التقديرات السكانية أن نسبة السكان دون سن 15 سنة في عام 2000 بلغت 69.9 % من عدد السكان "[1] ، وهذا يقلق الأعداء كثيراً ، فالشباب سند الأمة ، ورمز القوة والفتوة ، وثروتها في حاضرها ، وذخرها في مستقبلها .

ويتركب المجتمع الفلسطيني من الشرائح التالية :

1 – الفئات الاجتماعية

أولاً : الموظفون :

وهي شريحة مهمة من شرائح المجتمع الفلسطيني ، يتوزع أفرادها على مختلف الوظائف العامة والخاصة ، وقد ازداد دور القطاع العام في التوظيف بعد عودة منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنشاء السلطة الوطنية وتشكيل أجهزتها الأمنية وزاراتها ومؤسساتها عام 1994م.

وبلغ عدد الموظفين في القطاع العام لدى السلطة الوطنية الفلسطينية 160 ألفاً، ما بين موظف مدني وعسكري .

هذا بالإضافة إلى العاملين في مؤسسات وكالة الغوث الدولية ، والذين يعملون في الجامعات الفلسطينية ، والمؤسسات الخاصة .

ثانياً : الطلاب :

وهي شريحة كبيرة من شرائح المجتمع الفلسطيني – من حيث العدد – وهي في ازدياد مستمر ، نتيجة للزيادة الطبيعية في عدد السكان ، فقد " بلغ عدد الطلبة في فلسطين 617.868 طالباً وطالبة في العام 1994 / 1995 م ، وارتفع هذا العدد إلى 1.017.443 طالب وطالبة في العام 2003 / 2004 م بمتوسط زيادة سنوية مقداره 5.7 % "[2] .

وتعكس هذه النسبة المرتفعة في عدد الطلاب والدارسين في مختلف المراحل التعليمية حرص الشعب الفلسطيني على التعليم ، وتدلل على إدراكه لأهمية التعليم في مقاومة الاحتلال والمحافظة على النسبة الضئيلة الباقية في أيديه من أرض الضفة والقطاع، كذلك رأى في التعليم وسيلة من وسائل استرجاع الأراضي المغتصبة والحقوق الضائعة ، إضافة إلى ما يحوزه المتعلمون من وظائف تكفل لهم العيش الكريم والمكانة الاجتماعية اللائقة .

---

[1] - تغيرات مؤشرات سوق العمل الفلسطيني . ص 21 .

[2]- د. على الدراغمة . مستويات التعليم واتجاهاته في الأراضي الفلسطينية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، شباط فبراير 2005م ، ص24 .

ويتوزع الطلاب على مراحل التعليم المختلفة ،كرياض الأطفال والتعليم الأساسي والثانوي والجامعي ، وتشرف على كل مرحلة من مراحل التعليم المختلفة جهة مسؤولة ، تتابع هذه المرحلة وتراعي شؤونها مثل القطاع الحكومي المتمثل في وزارة التربية والتعليم ، ومجال عملها كل ما يخص المدارس والتعليم الأساسي حتى نهاية المرحلة الثانوية العامة ، ووزارة التعليم العالي التي تشرف على الجامعات والمعاهد والكليات ، ويشرف التعليم الحكومي على 75% من مجموع المدارس ، وهناك مدارس تتبع وكالة الغوث الدولية التي تشرف على مدارس اللاجئين الفلسطينيين ، إذ تبلغ نسبة الطلبة فيها 24.8% من مجموع الطلاب في الأراضي المحتلة ، وهي تشرف على 13 % من مجموع المدارس ، وهناك القطاع الخاص إذ تشير الإحصاءات أنه يشرف على 12% من مجموع المدارس ، ونسبة الطلبة فيها 5.8 % [1] .

ويتمتع الطلاب في الأراضي المحتلة باهتمام بالغ ، منذ دخولهم المدارس حتى تخرجهم من الجامعات ، فيحرص الأهل على تعليم أبنائهم ومتابعتهم وتوفير كل ما يحتاجون إليه ، ليتمكنوا من مواصلة تعليمهم .

وفي المقابل عند الحديث عن التعليم وعناية الفلسطينيين به ، يجب ألا نغفل الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، فهم مازالوا منتشرين بنسبة غير قليلة في المجتمع الفلسطيني، وقد عرف الأمي " بأنه الفرد الذي لا يستطيع القراءة والكتابة بأي لغة كانت ولم يحصل على أي شهادة من التعليم النظامي " [2] .

وظهور الأمية في فلسطين نتج عن العديد من الأسباب ، نذكر منها :

- ممارسات الاحتلال الإسرائيلي القمعية ضد الفلسطينيين ، وحرصه على تجهيلهم من خلال إغلاق المدارس والجامعات ، وإقامة الحواجز وإغلاق الطرق ، وتضييق الخناق على الخريجين وتحويلهم إلى عاطلين عن العمل ، وغير ذلك من الممارسات التي جعلت الفلسطينيين يعيشون في ظروف صعبة حالت دون مواصلتهم لتعليمهم .
- الضائقة الاقتصادية الصعبة التي يعاني منها الشعب الفلسطيني جراء الحصار ، وعدم توفر فرص العمل عند الكثير من الأهل ، حيث أجبر العديد من الطلاب على التوقف عن الدراسة عند مراحل معينة والبحث عن عمل لمساعدة أسرته في تيسير أمور حياتها .

---

[1] – انظر مستويات التعليم واتجاهاته في الأراضي الفلسطينية ، ص 23 .

[2] – د. عثمان شركس ، خليل مطاوع عمرو ، خصائص الحضر والريف في الأراضي الفلسطينية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، سلسلة التقارير التحليلية الوطنية ، تموز / يوليو 2003 م ، ص60 .

هذه بعض الأسباب التي أدت إلى ظهور الأمية في المجتمع الفلسطيني وانتشارها إذ " بلغ عدد الأميين في الأراضي الفلسطينية من السكان الذين يبلغون من العمر 15 سنة فأكثر حوالي 13.9 % من السكان " [1] .

ثالثاً / العمال :

هم فئة كبيرة جداً من فئات المجتمع الفلسطيني ، وتدخل نسبة كبيرة من الشعب الفلسطيني ضمن فئة العمال إذ " تعرف القوى العاملة بأنها تلك الفئة من السكان المدنيين الذين يبلغون سناً معينة ، ويعملون في القطاعات الإنتاجية أو الخدمية مقابل أجر ، أو كانوا عاطلين عن العمل ولديهم القدرة أو الرغبة والاستعداد للعمل " [2] .

ونسبة كبيرة من هؤلاء العمال كانوا يعملون في المناطق الواقعة داخل الخط الأخضر ، ونسبة قليلة تعمل داخل الأراضي المحتلة بعد عام 1967 ، وذلك لأن سوق العمل الإسرائيلي كان يستوعب باستمرار النمو في القوى العاملة في المناطق المحتلة ، وأن حاجة الاقتصاد المحلي من القوى كانت ثابتة تقريباً .

ويتركز العمال الفلسطينيون العاملون داخل الخط الأخضر في مجالات عدة ، منها مجال الصناعة حيث بلغت أعلى نسبة له 24.7 % في عام 1987 م ، ثم تقلص عدد العمال العرب العاملين في هذا المجال ، وذلك بعد قدوم العديد من الهجرات اليهودية خاصة من الدول الاشتراكية ، وهناك مجال الخدمات العامة إذ شكل هذا المجال 18.2 % عام 1987 ، وارتفع عام 1988م ولكنه أخذ في الانحدار عامي 1989 ، 1990 ، أما بالنسبة للبناء فإنه آخذ في الارتفاع المستمر دون توقف ، وهذا عائد إلى التهافت على مشاريع البناء والاستيطان داخل الخط الأخضر وفي الأراضي المحتلة [3] .

والسؤال المطروح هنا هل ما زال العمال الفلسطينيون يعملون داخل الخط الأخضر ، أم أثرت عليهم سياسة الإغلاق وأحداث انتفاضة الأقصى ؟

---

[1] – السابق ص 60 .

[2] – الخصائص السكانية للشعب الفلسطيني ، ص 188 .

[3] – انظر السابق ، ص 164 .

لم يعد الوضع بالنسبة للعمال الفلسطينين كما كان عليه في السابق ، قبل أحداث انتفاضة الأقصى ، فبسبب سياسة الإغلاق المستمر للأراضي الفلسطينية من قبل قوات الاحتلال انخفض عدد العمال الفلسطينين داخل الخط الأخضر بشكل كبير، ويبين لنا المركز الفلسطيني للإحصاء هذا الانخفاض فيذكر : " قد انخفض عدد العمالة الفلسطينية في سوق العمل الإسرائيلي خلال نفس الفترة من 117 ألف عام 2000 إلى 50 ألف عامل عام 2002 ، أي بنسبة انخفاض قدرها 57.3 % ، أما في الربع الأخير من عام 2004 فكان هناك انخفاضاً شديداً في عدد العمالة الفلسطينية في سوق العمل الإسرائيلي حيث بلغ فقط 4% فقط من إجمالي العاملين" [1] .

كل هذه الظروف والإجراءات من السجن والغرامة ، وإلغاء جميع تصاريح العمل سارية المفعول ، أصبحت من الممارسات الاعتيادية في حق العامل الفلسطيني ، ويضاف إلى ذلك حالة عدم الاستقرار النفسي الدائم ، وحالات التمييز التي تطبق حيالهم ، وقد امتدت هذه المعاناة لتشمل سائر الفئات الاجتماعية التي تعيش على دخل العمل ، الذين تأثروا بسبب الإغلاق والمصاعب الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية وغيرها [2] .

ولم يعد الأمر كذلك ، بل تعداه ، فقد منع العمال الفلسطينيون عن العمل داخل الخط الأخضر بشكل نهائي بعد الإغلاق المستمر للأراضي المحتلة ، وهذا أدى إلى وجود نسبة كبيرة من العمال العاطلين عن العمل داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة التي تعاني من ضعف الاقتصاد الفلسطيني وعدم توفر فرص عمل .

أهم الخصائص التي تميز العمال الفلسطينين داخل الخط الأخضر :

1- غالبية العمال الفلسطينيين داخل الخط الأخضر من الذكور ، ونسبة عمل النساء قليلة جداً مقارنة بالرجال ، وكذلك نسبة المشاركة النسائية في سوق العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة متدنية جداً مقارنة بالدول الأخرى .
2- غالبية العمال الفلسطينيين من الشباب من سن (16 -32) سنة ، وقد انخفضت هذه النسبة مع انخفاض عدد العمال داخل الخط الأخضر ، ومع تحديد إسرائيل عمر العمال المسموح لهم بدخول الخط الأخضر ، وغالباً ما يكونون فوق 30 سنة، وذلك نتيجة

---

1 - تغيرات مؤشرات سوق العمل الفلسطيني ص 22 .

2 - انظر مجلة العمل العربية – مجلة ربع سنوية ، تصدرها منظمة العمل العربية . العدد (57) 1994/3 من تقرير عن أوضاع العمال العرب في فلسطين والأراضي المحتلة الأخرى . ص 96 .

الإجراءات والأوضاع الأمنية التي تفرضها سلطات الاحتلال ، خاصة بعد العمليات الاستشهادية والفدائية التي ينفذها المقاومون في قلب الكيان الصهيوني .

3- تتسم العمالة الفلسطينية داخل الخط الأخضر بانخفاض المستوى التعليمي ، فمعظم من يتجه للعمل داخل الخط الأخضر من الذين لا يكملون تعليمهم ، أو المنقطعين عن الدراسة .

هذه بعض سمات العمالة الفلسطينية داخل الخط الأخضر ، لكن هذه العمالة لم تستمر ، فقد انخفض عدد العمال الفلسطينين بشكل كبير جداً ، ولم يعد هناك إلا القليل ممن يسمح لهم بالدخول للعمل ، وفي أوقات محدودة تسمح بها سلطات الاحتلال ، كل ذلك زاد في ارتفاع نسبة البطالة في الأراضي الفلسطينية ، وأصبح كثير من الفلسطينين بدون عمل ، وهذا يدعونا للحديث عن البطالة في المجتمع الفلسطيني .

البطالة :

البطالة ظاهرة مزمنة يعاني منها المجتمع الفلسطيني ، وهي من أخطر الأمراض التي تصيب المجتمعات ، ويشمل تعبير البطالة كل الأفراد ذكوراً وإناثاً فوق السن المحدد للعمل ، والذين يتصفون بالصفات التالية :

1- لا يعملون ، فلا يمارسون أي عمل مقابل أجر أو لحسابهم الخاص .

2- لديهم الرغبة والاستعداد للعمل بأجر أو لحسابهم الخاص .

3- يبحثون عن العمل ، واتخذوا خطوات محددة خلال فترة حديثة ، للبحث عن عمل بأجر أو لحسابهم الخاص [1] .

وتركزت البطالة في الأراضي الفلسطينية بهذه النسبة الكبيرة بسبب الاحتلال الإسرائيلي، وممارساته اللاإنسانية ضد أبناء الشعب الفلسطيني ، والمتمثلة في سياسة الإغلاقات المستمرة للأراضي الفلسطينية ، ومنع عدد كبير من الفلسطينيين من العمل داخل الخط الأخضر ، والعمل على خنق الاقتصاد الفلسطيني ، كل ذلك ضاعف من أعداد العاطلين عن العمل في الأراضي المحتلة ، حيث أجرى الجهاز المركزي للإحصاء مسحاً للبطالة ، وأظهرت النتائج " أن معدل البطالة بلغ 26.8% بين الذكور مقابل 20.1% بين الإناث ، كذلك فقد تركزت أعلى نسبة للبطالة بين الشباب في الفئة العمرية (15 -24) سنة لكلا الجنسين حيث بلغت 39.8% " [2].

---

[1] - انظر مجلة العمل العربي ، العدد الستون 1995/2 ، ص 194 .

[2] - الجهاز المركزي للإحصاء ، مسح القوى العاملة الفلسطينية ، التقرير السنوي : 2004 ، أيار / مايو 2005 ، ص30 .

في الأراضي الفلسطينية عام 2002 إلى 42.6 % [1] ، وما زالت البطالة تنمو بشكل مطرد ، وتزيد يوماً عن يوم .

وتفاوتت نسبة البطالة بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، فلوحظ أن نسبة البطالة في قطاع غزة مرتفعة جداً مقارنة بمثيلتها في الضفة الغربية ، إذ أشارت الإحصاءات إلى "أن نسبة البطالة في الضفة الغربية بلغت 22.9% وفي قطاع غزة بلغت 35.4% " [2] .

وللبطالة آثار سيئة على المجتمع الفلسطيني - الذي ما زال يرزح تحت نير الاحتلال الإسرائيلي - فهناك مشاكل اقتصادية : حيث تعاني بسببها كثير من الأسر الفقر والحرمان ، الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض الآفات الاجتماعية كظاهرة التسول ، والسرقة ، والنزاعات العائلية .. ، هذا بالإضافة إلى تدهور الأوضاع الصحية نتيجة لنقص الأدوية والمعدات الطبية ، وانتشار بعض الأمراض النفسية بين أفراد شريحة الشباب ، كالكآبة والقلق والعقد النفسية والاضطراب السلوكي .

رابعاً / التجار:

عمل الإسرائيليون منذ احتلالهم للأراضي الفلسطينية على بسط هيمنتهم على الاقتصاد الفلسطيني ، وإلحاقه باقتصادهم ، لذلك يقع على كاهل شريحة التجار عبء كبير في تحرير الاقتصاد الفلسطيني من تبعية الاقتصاد الإسرائيلي ، إذ يسيطر هذا الأخير على مجمل الحياة الاقتصادية للشعب الفلسطيني وذلك بما يفرضه من قيود على تجار الأراضي المحتلة ، فلا يزال الاحتلال " يسيطر على مسار التجارة الخارجية للضفة الغربية وقطاع غزة ، ولا يزال الكيان الصهيوني يحتكر لنفسه هذه التجارة " [3] .

وقد عرفت دائرة الإحصاء المركزية التجار بقولها " يعرف النشيطون اقتصادياً بأنهم جميع الأفراد الذين ينتمون لسن العمل وينطبق عليهم مفهوم العمالة أو البطالة " [4] .

---

1 - انظر التركيب الأسري في الأراضي الفلسطينية ، الجهاز المركزي الفلسطيني ، حزيران / يونيو ، 2005 م ، ص 84 .

2 - الجهاز المركزي للإحصاء ، مسح القوى العاملة ، ص 30 .

3 - الخصائص السكانية للشعب الفلسطيني ، ص 181 .

4 - دائرة الإحصاء المركزية ، 1999م ، مسح القوى العاملة الفلسطينية ، التقرير السنوي 1998 ، رام الله ، فلسطين، ص 16 .

وعليه فيمكن دخول الكثير من السكان ضمن هذه الفئة من فئات المجتمع ، ولكن هذه الفئة قليلة نسبياً في المجتمع الفلسطيني مقارنة بغيرها في الدول العربية المجاورة، وهذا عائد إلى الظروف الصعبة التي يحياها الشعب الفلسطيني ، من جراء الاحتلال وممارساته على الأرض ، وضعف الاقتصاد الفلسطيني ، وتبعيته للاقتصاد الإسرائيلي ، وعدم استطاعته الافكاك منه ، خاصة بعد توقيع اتفاقية باريس الاقتصادية ، المجحفة بحقوق الشعب الفلسطيني وحقه في إدارة اقتصاده الوطني بنفسه ، حيث " يؤخذ على اتفاق باريس أنه لم يخول الفلسطينين حق إدارة تجارتهم الخارجية ، تبعاً لمصالحهم الوطنية " (1) .

وقد كان الاقتصاد الفلسطيني حتى قبيل قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية وتوقيع اتفاقية باريس الاقتصادية يعاني من ضعف وتضاؤل كبير ، بسبب سيطرة الاحتلال على الصادرات والواردات في الأراضي المحتلة ، فاقتصاد المناطق المحتلة حتى عشية الانتفاضة كان قد تضاءل ، قياساً بالاقتصاد الإسرائيلي الذي استوعب ما نسبته 45% من اليد العاملة في المناطق المحتلة ، وسيطر على نحو 90% مما تحتاجه الأراضي المحتلة من واردات (2) .

ويعاني الاقتصاد الفلسطيني من تأزمات كبيرة ، ترجع لأسباب متباينة فالسيطرة الإسرائيلية لا تزال كاملة على الحدود والمعابر ، التي تربط الأراضي الفلسطينية مع الدول المحيطة والعالم ، وهي لا تزال تقطع أوصال الوطن ، وتمنع التواصل ما بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، هذا بالإضافة إلى أنَّ " السياسات المالية والنقدية لم تزل مرتبطة تماماً بحاجة الاقتصاد الإسرائيلي ومصالحه ، بعيداً عن المصالح الفلسطينية " (3) ، وما يقوم به الأردن من إجراءات صارمة في وجه الاقتصاد الفلسطيني ، وذلك بتحديد كميات الإنتاج الزراعي المسموح بإدخاله إلى أراضيه ، وعدم السماح بتصدير المنتجات الصناعية الفلسطينية للأردن إلا بشروط معينة (4) . الأمر الذي أدى إلى اتجاه تجارة الضفة الغربية وقطاع غزة نحو إسرائيل ، مما زاد

1 – واقع التجارة الفلسطينية وأفاق تنميتها المستقبلية ، مؤسسة صادر الاقتصادي ، السنة الحادية والعشرون العدد 118 ، كانون أول 1999 م ، ص 164 .

2 – انظر مجلة الدراسات الفلسطينية ، فصيلة تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ، العدد الخامس شتاء 1991 م . من مقال د. جورج العبد بعنوان " المجتمع المدني في ظل الانتفاضة " ، ص 113 .

3 – مجلة رؤية ، شهرية بحثية متخصصة ، تصدر عن الهيئة العامة للاستعلامات ، العدد السادس ، شباط 2001 ، من مقال للدكتور : محمد إبراهيم مقداد ، بعنوان " أثر الحصار الإسرائيلي على قطاع الأعمال الصغيرة في قطاع غزة" ، ص 106 .

4 – انظر الخصائص السكانية وأثرها في التنمية في دولة فلسطين ، ص 181 .

من تبعية الاقتصاد الفلسطيني للاقتصاد الإسرائيلي ، ونتيجة لذلك تدهور الاقتصاد الفلسطيني كثيراً ، وزادت نسبة العجز التجاري ، " فالعجز التجاري في الضفة والقطاع سجل زيادة بنسبة 25% "[1] ، وتفاوتت نسبة العجز التجاري ما بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، فغزة هي الأسوأ حالاً في الأراضي الفلسطينية ، وذلك لارتفاع نسبة اللاجئين المحرومين اقتصادياً "[2] .

كان لهذه الظروف الصعبة التي يمر بها الاقتصاد الفلسطيني ، الأثر البالغ على التجار ، وعلى هذه الشريحة من شرائح المجتمع الفلسطيني، فتقلص عدد التجار في الأرضي الفلسطينية بشكل كبير ، وأدت إجراءات الاحتلال إلى عزوف كثير من المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال عن استثمار أموالهم في فلسطين، وإلى كبح أي محاولة تنموية لأي قطاع اقتصادي كان .

ولا خلاص من هذه الأزمة المستمرة إلا بتحرير الاقتصاد الفلسطيني من التبعية للاقتصاد الإسرائيلي ، وما لم يتم الافكاك من هذه التبعية فلن يحدث نشاط تجاري ، ولن يتوقف انكماش وتراجع النشاط الاقتصادي في المجتمع الفلسطيني .

خامساً / المزارعون :

وهي إحدى شرائح المجتمع الفلسطيني المهمة ، فالمجتمع الفلسطيني مجتمع قروي مزارع في أكثره ، وذلك قبل النكبة واغتصاب أرض فلسطين عام 1948 م، وتهجير معظم الشعب الفلسطيني عن أرضه التي يزرعها ويعتاش منها ، أما أراضي الغربية وقطاع غزة فتبلغ " مساحة أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة 6.200.000 دونماً ، منها 5.556.000 دونماً في الضفة الغربية ، 364.000دونماً في القطاع "[3] .

وفي عام 1967 م ابتلع الاحتلال ما تبقى من فلسطين ، وبدأ بالقضاء على هذه الرقعة الزراعية المتبقية من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأقام عليها المستوطنات التي ظلت تمتد حتى أكلت الكثير من الأراضي الفلسطينية ، فالاستيطان أدى إلى تغيير خصائص الأرض الفلسطينية وتركيبها السكاني ، وبسبب ذلك لم يتبق للفلسطينيين أراضٍ زراعية .

ويمكن تقسيم الأراضي الفلسطينية على النحو التالي :

1- الأرض الزراعية وتبلغ مساحتها 1.962.400 دونماً .

2- الأرض الرعوية والحرجية ، وتبلغ مساحتها 2.040.000 دونماً .

---

1 – واقع التجارة الفلسطينية ، ص 162 .

2 – مجلة صامد الاقتصادي ، العدد 103، السنة الثامنة عشرة ، كانون الثاني / شباط آذار 1996 م ص248.

3 – الخصائص السكانية وأثرها في التنمية في دولة فلسطين ، ص 173 .

3- أرض أخرى (سكنية ، بور... الخ) وتبلغ مساحتها 1.916.000 دونماً [1] .

لقد ذهبت معظم الأراضي الفلسطينية ، ولم يعد للمزارع الفلسطيني إلا مساحات محدودة من الأراضي الصالحة للزراعة ، لذلك بذل كل جهده في استغلال كل شبر من هذه الأراضي المتبقية ، فاستصلح الأرض ، وصان التربة وحافظ عليها، وحفر الآبار واستخدم مياهها الاستخدام الأمثل .

ومع اندلاع انتفاضة الأقصى زاد العبء على المزارعين الفلسطينين ، بسبب ما أقدمت عليه سلطات الاحتلال من تجريف للأراضي ، وقطع للأشجار ، وتدمير الدفيئات الزراعية ، فتكبد المزارعون خسائر مادية فادحة ، وانحسرت رقعة الأراضي الزراعية بشكل ملحوظ ، وترك العديد من المزارعين أراضيهم ، وبحثوا عن مصدر رزق آخر ، الأمر الذي أدى انخفاض إلى عدد المزارعين في الأراضي الفلسطينية، وتراجع القيمة الإنتاجية الزراعية .

كما أدى ازدياد عدد السكان المفرط إلى تقلص الأراضي الزراعية ، خاصة في قطاع غزة ، فاتجه السكان إلى هذه الأراضي يقيمون عليها المباني والبيوت السكنية ، حتى يستوعبوا العائدين من أبناء الشعب الفلسطيني بعد حرب الخليج ثم بعد توقيع اتفاقية أوسلو.

2 - الفئات الوطنية و الدينية :

يتمتع الشعب الفلسطيني بخاصية تميزه عن غيره من الشعوب والأمم ألا وهي قوة اندماجه الداخلي وانصهاره في بوتقة واحدة ، وتوحده في وجه الخطوب والخطر، فهذا الشعب يرزح تحت ظلم الاحتلال وبطشه ، وهو كغيره من الشعوب به العديد من الفئات الدينية والوطنية.

المجتمع الفلسطيني مجتمع مسلم في معظمه ، باستثناء قليل من يعتنقون الديانة المسيحية، ويتواجدون في مدن مثل : بيت لحم ، ورام الله ، وغزة ، وداخل الخط الأخضر في الناصرة وغيرها ، ويوجد أيضاً أعداد من الطائفة السومرية في نابلس ، وهذه الفئات تمثل مجتمعة وحدة متماسكة ومترابطة ، فلا تكاد تلمس فرقاً بينها ، وخلافاتها الدينية لا تظهر على السطح ، لأنها تتعرض لنفس الخطر ، وتقع جميعها تحت سطوة المحتل الذي لا يفرق بين مسلم ومسيحي وسومري .

[1] - السابق ، ص 173 .

وكذلك يقسم المجتمع الفلسطيني على أساس تنظيمي وحزبي إلى تقسيمات وفئات أخرى، كالحركات الوطنية المنضوية تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية ، كحركة التحرير الوطني الفلسطيني" فتح" ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وغيرها من الحركات الوطنية ، وهناك الحركات الإسلامية ، كحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وحركة الجهاد الإسلامي ، وغيرها.

وسأتناول بشيء من التفصيل هذه التنظيمات الوطنية والإسلامية ، كتركيبة مهمة من تركيبات المجتمع الفلسطيني :

أولاً / الحركات الوطنية :

1) حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح" :

تعتبر حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " كبرى الحركات الوطنية على الإطلاق، وأكثرها انتشاراً وشعبية في صفوف الشعب الفلسطيني ، وحركة فتح تحمل على كاهلها السهر على إقامة المشروع الوطني الفلسطيني ، فهي أول حركة ثورية تتحمل عبء مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ، وجاءت انطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " في 1/ 1/ 1965م بتفجير جسر عيلبون ، وتحويل مجرى مياه نهر الأردن ، ليعتبر الشرارة الأولى لانطلاق العمل العسكري المنظم ضد الاحتلال الإسرائيلي ، وقد استغرق الإعداد لانطلاقة فتح مدة طويلة ، كما يقول صلاح خلف [1] في كتابه فلسطيني بلا هوية: " مرحلة إعداد الأطر والكوادر والتي تمتد من عام 1959 إلى عام 1964 ، أوجدنا مئات الخلايا على أطراف دولة إسرائيل ، وفي الضفة الغربية ، وغزة ، وفي مخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان وكذلك داخل التجمعات الفلسطينية في البلدان العربية الأخرى ، وفي أفريقيا وأوروبا وحتى الأمريكتين الشمالية والجنوبية " [2] ، وبدأت عمليات فتح العسكرية تزداد كثيراً ، وانخرط الشباب الفلسطيني المتحمس في صفوف هذه الحركة الفدائية ، ولكن هذا لا ينفي عدم وجود مقاومة للاحتلال الإسرائيلي قبل انطلاقة حركة فتح عام 1965م ، ولا يعني أنه لم يكن قبلها حركات تعمل على مقاومة المحتل ، فقد كان الشعب الفلسطيني متعطشاً لذلك خاصة بعد نكبة 1948 ، وهزيمة

---

[1] – صلاح خلف " أبو إياد " أحد قادة ومؤسسي حركة فتح ، اغتاله الموساد الإسرائيلي بتاريخ 14 / 2 / 1991 م .

[2] – أبو إياد صلاح خلف ، فلسطين بلا هوية ، ص 70 .

الأنظمة العربية مجتمعة أمام إسرائيل ، وتشتت الشعب الفلسطيني وتهجيره في كل البقاع ، فكانت هناك حركة القوميين العرب ، وكان هناك كذلك جيش أحمد الشقيري ، الذي عين فيما بعد أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ، لكن هذه الحركات المقاومة كانت تعمل تحت مظلة الأنظمة العربية ، ووفق أجندتها ومصالحها ، ومنذ تشكيل حركة فتح أرادت أن تخرج النضال الفلسطيني من تحت عباءة الأنظمة العربية ، وحاولت ألا يكون تحت سيطرة أي نظام عربي، وفي ذلك يقول أحمد عبد الرحمن [1] : " طرحت فتح منطلقات جديدة لإحياء الحركة الوطنية تتمحور في الأساس والجوهر على مركزية الدور الفلسطيني لمواجهة التحدي الصهيوني " [2] .

وأصبحت حركة فتح هي حلم كل فلسطيني مخلص ، يطمح لمقاومة الاحتلال ، فهي التي أعطت الحركة الوطنية بعداً آخراً ، وهي التي وجهت بوصلة النضال الفلسطيني نحو الاحتلال ، ولها الفضل في توحيد جهود المخلصين ، والمتعطشين لمحاربة الاحتلال الصهيوني ، الذي اقتلعهم من بيوتهم ، وشردهم من ديارهم ، وتركهم هائمين حيارى لا دليل لهم في المنافي ومخيمات اللجوء ، " فيعود الفضل لحركة فتح في انبعاث الحركة الوطنية الفلسطينية بعد النكبة ، والتي أطاحت بالكيان الوطني ، واقتلعت الشعب وشردته لاجئاً في المنافي عام 1948 م "[3] .

هذا كله أعطى حركة فتح شعبية واسعة ، خاصة بعد تصاعد العمل العسكري ، وهزيمة الأنظمة العربية ، وخيبة أمل الشعب الفلسطيني والعربي في قدرة هذه الأنظمة على تحرير فلسطين ، أضف إلى ذلك استبسال المقاومة الفلسطينية في مواجهتها للاحتلال ، حيث ظهر ذلك جلياً في معركة الكرامة ، التي تعتبر أول انتصار عربي على دولة الاحتلال الإسرائيلي ، فأوقفت زحفه ، وقتلت من جنوده ، ودمرت مركباته ودباباته ، هذا رفع من أسهم حركة فتح ، وأخذ الشباب يتهافتون على الانضمام لها ، وتسجيل أسمائهم في صفوفها ، ليقاتلوا تحت رايتها ، وبذلك صارت فتح أكبر الحركات الفلسطينية المقاومة ، فهي " تشكل – بلا منازع – كبرى التنظيمات الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة وخارجها ، وهي بالإضافة إلى ذلك تتمتع بشعبية واسعة في الأراضي المحتلة " [4] .

---

1 – أحمد عبد الرحمن أحد قادة حركة فتح وأمين عام مجلس الوزراء الفلسطيني سابقاً .

2 – الندوة الفكرية السياسية " خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني ، حزيران / يوليو 2000 ، غزة– فلسطين ، ص 514 .

3 – السابق ، ص 514 .

4 – من مقال صالح عبد الجواد بعنوان : فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد 7 ، صيف 1997 ، ص 91 .

ومازالت حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح" تعتبر كبرى الحركات الوطنية في فلسطين ، والمتنفذة في القرار السياسي في كثير من القضايا المصيرية والمهمة للشعب الفلسطيني، وذلك بما تمثله من أغلبية في المجلس الوطني الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية، التي جاءت باتفاقية أوسلو ، وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية – التي تعد فتح العمود الفقري لها – وعودة بعض القوات الفلسطينية على أجزاء من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

2) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

إحدى الحركات الوطنية التي لها باع طويل في مقاومة الاحتلال ، وهي امتداد لحركة القوميين العرب ، التي كانت تضم في صفوفها العديد ممن يؤمنون بالقومية العربية من شتى الأقطار العربية ، وتأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتاريخ 11 / 12 / 1978 م ، ومعظم قيادتها والمنضوين تحت لوائها من القوميين العرب ، وذلك بعد تبدد أحلام القوميين الفلسطينين في الأنظمة العربية ، وانهيار حركة القوميين العرب ، وسقوط الوحدة المصرية السورية .

وأصبحت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، أحد أهم الحركات الوطنية الفلسطينية وانضوت تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي كما يقول عنها أبو علي مصطفى [1] : " مثلت الجبهة الشعبية بما ورثته من تاريخ سياسي ووطني مكانة وطنية مرموقة ، وقطباً وطنياً فاعلاً في الحركة والكفاح الوطنيين ، ومن ثم في إطار منظمة التحرير الفلسطينية " [2] .

وتتخذ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المنهج الاشتراكي سبيلاً لها ، ومنذ تأسيسها ترأسها الدكتور جورج حبش ، وظل أمينها العام لفترة ليست بالقصيرة ، ثم تنحى عن منصبه لظروف صحية ، وخلفه أبو على مصطفى الذي اغتيل في مكتبه في مدينة رام الله، وأمينها العام الحالي أحمد سعدات يقبع في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، بعد اختطافه من سجن أريحا المركزي إذ كان محتجزاً لدى قوات الأمن الفلسطيني .

---

[1] – أبوعلي مصطفي: الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، اغتالته قوات الاحتلال الإسرائيلي في 27 / 8 / 2001 م .

[2] – من مقال لأبي علي مصطفي بعنوان " الخبرات السياسية لحركة القوميين العرب والجبهة الشعبية خلال القرن الماضي " ، الندوة الفكرية السياسية ، ص 234 .

وللجبهة الشعبية دور بارز في مقاومة الاحتلال ، والقيام بالعديد من العمليات الفدائية والاستشهادية ، التي قضت مضاجع الصهاينة ، وإلى جانب عملها العسكري تضطلع بدور هام في العمل السياسي الفلسطيني .

3) الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين :

فصيل مهم من فصائل المقاومة الفلسطينية ، كانت ولادتها في 22 شباط عام 1969 ، بعد أن انشقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وهي امتداد لحركة القوميين العرب، ولكنها تختلف عن الجبهة الشعبية في الطريقة والفكر الذي تتبناه ، إذ اتبعت الطريقة الماركسية اللينية ، يقول قيس عبد الكريم [1] :" في النظام الداخلي الأول الذي تبنته بأنها جبهة يسارية متحدة ، مع التشديد على أهمية أن تقودها نواة ماركسية لينيية " [2].

والجبهة الديمقراطية تؤمن بالقومية العربية وحركة القوميين العرب ، ولكن شأنها شأن كثير من الحركات خاب أملها في القومية العربية ، وفي الأنظمة العربية وقدرتها على تحرير فلسطين ، لذلك تشكلت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين "وكانت إحدى نتائج الأزمة العميقة التي عانت منها الحركة القومية العربية " ، وعملت على تحرير فلسطين بكل السبل ، وانخرطت في حركة المقاومة المسلحة في وجه الاحتلال الإسرائيلي.

هذه هي أهم الحركات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية ، وهناك أيضاً بعض الحركات والتنظيمات الوطنية الفلسطينية الصغيرة المنضوية تحت لواء منظمة التحرير ، والتي تعمل جنباً إلى جنب مع غيرها من الحركات الأخرى ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- جبهة التحرير العربية.
- جبهة النضال الشعبي.
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقيادة العامة .
- منظمة الصاعقة الفلسطينية .

---

1 – قيس عبد الكريم: أحد قادة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وهو الآن عضواً في المجلس التشريعي الفلسطيني.

2 – من مقال لقيس عبد الكريم بعنوان " الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، الجذور والمسيرة " الندوة الفكرية السياسية ص 243 .

ثانياً / الحركات الإسلامية :

ظهرت الحركات الإسلامية الفلسطينية متأخرة نسبياً مقارنة بظهور الحركات الوطنية الفلسطينية الأخرى ، ولكن هذا التأخير لم يمنعها من أن تصبح من أهم الحركات العاملة على الساحة الفلسطينية ، وتقوم هذه الحركات بدور مميز في العمل الوطني الفلسطيني ، وسأتحدث – إن شاء الله – عن حركتين لأهميتهما ودورهما في مقاومة الاحتلال ، وهما : حركة المقاومة الإسلامية " حماس " ، وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين .

1) حركة المقاومة الإسلامية "حماس" :

جاء انطلاق حركة المقاومة الإسلامية " حماس " مع بداية الانتفاضة الأولى التي حدثت في 1987/12/9 م ، إذ كانت انطلاقة حماس في 1987/12/14م ، ومن أول يوم لانطلاقتها تبنت فكراً جديداً مختلفاً عن غيرها من الحركات الوطنية السابقة ، ففي حين تبنت حركة فتح المنهج العلماني ، وتبنت الجبهتان الشعبية والديمقراطية المنهج الماركسي الاشتراكي ، اتخذت حركة حماس المنهج الإسلامي منطلقاً لتفكيرها وفلسفتها ، وجاء في المادة الأولى من ميثاقها أنها " حركة المقاومة الإسلامية ، الإسلام منهجها ، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان ، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها ، ومنه تستلهم ترشيد خطاها "[1] .

وهي امتداد لحركة الإخوان المسلمين في فلسطين ، التي تتبع منهجاً معتدلاً ، وتهتم بإعداد النشء وتربيته تربية إسلامية ، ولم يكن لها دور واضح في مقاومة الاحتلال قبل ذلك ، فقد " جاءت مشاركة الإخوان المسلمين في الانتفاضة بمثابة تحول في موقف الجماعة من القضية الفلسطينية " [2] ، فهم اعتمدوا في تلك الفترة – وما يزالون – على منهج التربية وإعداد الشباب والكوادر ، حتى يحين وقت الجهاد والمقاومة ، لذا لم يظهر لهم نشاط مقاوم في تلك الحقبة ، ولكن مع اندلاع الانتفاضة شاركوا فيها بفاعلية ، وقاموا بتأسيس حركة المقاومة الإسلامية " حماس" ، التي تعتبر مشروعاً إسلامياً يهدف إلى تحرير فلسطين من بحرها إلى نهرها.

يقول المهندس إسماعيل أبو شنب [3]عنها : " إنها مشروعاً تحررياً إسلامياً نهضوياً ، يقوم على فكر ومنهج الإخوان المسلمين ، وجناحاً من أجنحة الإخوان بفلسطين "[4] .

---

[1] – ميثاق حركة المقاومة الإسلامية " حماس" 8 آب / أغسطس 1988م ، ص3 .

[2] – زياد أبو عمرو : الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، دار الأسوار ، عكا ، أيلول 1989م، ص87.

[3] – إسماعيل أبو شنب : أحد قادة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" اغتالته إسرائيل في 2003/8/21م .

[4] – من مقال للمهندس إسماعيل أبو شنب بعنوان " حركة المقاومة الإسلامية حماس" ، الندوة الفكرية السياسية، ص223

وتنظر حماس إلى فلسطين على أنها أرض وقف إسلامي ، لا يجوز التفريط فيها أو التنازل عنها تحت أي ظرف . وتعتبر نفسها وراء اندلاع الانتفاضة الأولى ، وإذكاء شرارتها الأولى ، حيث اندلعت الانتفاضة من المساجد وعبر نداء مكبرات الصوت ، كما يقول العديد من قادتها أمثال الشيخ أحمد ياسين ، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي ، ويذكر المهندس إسماعيل أبو شنب ذلك : " واكب انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية حماس عام 1987 ، بداية انتفاضة الشعب الفلسطيني " [1] .

وانتشرت حماس واتسعت اتساعاً واسعاً ، وأصبح لها أنصار ومؤيدون داخل الأراضي المحتلة وخارجها ، وصارت قوة سياسية لا يستهان بها ، وأيد ذلك نتائج الانتخابات البلدية و التشريعية ، إذ فازت الحركة بمعظم المجالس البلدية التي شاركت فيها ، واكتسحت أغلبية مقاعد المجلس التشريعي ، وقامت بتشكيل الحكومة الفلسطينية .

إلى جانب ذلك ظلت حماس قوة عسكرية لا يشق لها غبار ، فجناحها العسكري كتائب الشهيد عز الدين القسام قام بالعديد من العمليات النوعية والاستشهادية ، التي قضت مضاجع الصهاينة ، وإلى جانب عملها السياسي والعسكري ، تضطلع حماس بدور مميز في مجال الخدمات الاجتماعية ، فجمعياتها الخيرية ترعى أسر الشهداء والجرحى ، وتكفل الأيتام ، وتقدم المعونات العاجلة للفقراء والمعوزين ، كما أنشأت العديد من المدارس الخيرية ، والنوادي الرياضية ..

كان لبروز حماس في شتى المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية والإنسانية أهمية كبرى في ازدياد شعبيتها ، وكثرة مؤيديها وأنصارها على امتداد الوطن .

2) حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين :

نشأت حركة الجهاد الإسلامي بعد ظهور الحركات الوطنية بمدة من الزمن ، وهي حركة تحمل الفكر الإسلامي الثوري وتعمل على تحرير فلسطين واستردادها ، و "ترجع البذور الأولى لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين إلى مرحلة حديثة نسبياً ، وبالتحديد منتصف السبعينات " [2] ، كانت نشأتها على يد الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي [3] ، وذلك بعد خلافه مع

---

[1] – السابق 223

[2] – من مقال الدكتور محمد الهندي بعنوان " حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين " الندوة الفكرية السياسية ، ص 171.

[3] – الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس وأمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ، اغتالته قوات الاحتلال في منصف تشرين أول عام 1995 م في مالطا .

جماعة الإخوان المسلمين حول العمل العسكري ، إذ كانت ترى الأخيرة أن الجهاد لم يحن بعد ، ولا بد من التربية والإعداد قبل خوض الجهاد ، وكان يرى أنه لا بد من الجهاد الآن وأن خصوصية فلسطين تستوجب الجهاد ، وفلسطين هي قضية المسلمين المركزية ، وهكذا تبلورت هذه الأفكار عند الشقاقي ، وقام بتجميع عدد من الطلبة المثقفين حوله ، ممن آمن بفكره ومنهجه ، وعملوا على نشرها بين الشباب الجامعي ، لاستقطاب أعداد منهم في صفوف حركتهم ، حيث " شكلت الطلائع الأولى لحركة الجهاد الإسلامي مجموعة متجانسة من الشباب الجامعي المثقف والحائر "[1] .

وضمت حركة الجهاد بين جنباتها عدداً من الشباب الإسلامي المتحمس للقتال والجهاد ، الذين نفذوا العديد من العمليات الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلي ، وشاركت كغيرها من القوى الوطنية والإسلامية في الانتفاضة الأولى ، ولعبت فيها دوراً هاماً ، ومع اندلاع انتفاضة الأقصى شاركت فيها بفاعلية ، وبرز ذلك من خلال العمليات الاستشهادية التي نفذتها .

ورفضت حركة الجهاد الإسلامي المشاركة في الحياة السياسية الفلسطينية من خلال رفضها الدخول في الانتخابات التشريعية الأخيرة ، وذلك لأنها ترى أن هذه الانتخابات هي إحدى إفرازات عملية أوسلو ، ولكنها شاركت في انتخابات المجالس البلدية التي جرت في المدن والقرى الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

وهناك أيضاً العديد من الجماعات والحركات الإسلامية، ولكنها صغيرة الحجم ، مقارنة بحركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي ، ومن هذه الحركات أيضاً على سبيل المثال لا الحصر :

1- حزب التحرير .
2- جماعة الدعوة والتبليغ .
3- جماعة أهل السنة والجماعة .
4- جماعة التكفير والهجرة .

---

[1] - السابق ، ص 179

الفصل الثاني

الظواهر الاجتماعية في الشعر الفلسطيني

- ظواهر إيجابية

- ظواهر سلبية

الظواهر الاجتماعية في الشعر الفلسطيني

لقد تناول الشعر الفلسطيني العديد من الظواهر الاجتماعية ، المنتشرة في المجتمع الفلسطيني ، وعالج كثيراً من الأمراض التي يعاني منها المجتمع، وصور جوانب متعددة من الظواهر الاجتماعية الايجابية ، وحفل الشعر بألوان شتى من صور الطبقات الكادحة والفقراء والطبقات المسحوقة ، فقد تناول ما يعانيه اللاجئون والفقراء من حرمان ، وما يلاقيه الأطفال والأيتام من بؤس وشقاء ، ودعا إلى التكافل الاجتماعي والوحدة ، ونبذ الخلافات والشقاق ، وحث على رص الصفوف ، وأكثر من معالجته لقضايا المرأة ودورها في النضال والجهاد ، وتربيتها لأولادها وتعليمها وزواجها ... ، ولم يبق الشعر الفلسطيني جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية إلا وتطرق له .

وسأحاول جاهداً إلقاء الضوء على بعض الظواهر الاجتماعية التي عالجها الشعر الفلسطيني ، الإيجابية منها والسلبي .

ظواهر إيجابية

أولاً / القيم الأخلاقية : [1]

تنوعت القيم الاجتماعية في الشعر الفلسطيني ، إذ نجد الكثير من النماذج التي تنهض شاهدة على قدرة الشعر على تصوير القيم المثلى والأخلاق العليا ، وترينا مدى اندماج الشعراء في قضايا مجتمعهم ، واشتمال دواوينهم على العديد من القصائد التي تدعو للأخلاق الحسنة ، مثل :

1 - الدعوة للعمل والجد والمثابرة :

حمل الشعراء الفلسطينيون لواء التمسك بالجد والاجتهاد والعمل ، فقد رأوا في واقعهم اليومي ، ومعاناة أهلهم ، ما يدعوهم للدعوة إلى ذلك ، والحض عليه بكل السبل ، وعدم الركون

---

[1] – القيمة في اللغة : من قيم الشيء أي قدره ثمنه ، ومنه كتاب قيم أي ذو قيمة ، وتقييم الشيء وإعطاؤه قيمة يهدف إلى ترتيب الأشياء حسب الأفضلية ، أما التقويم فهو التصحيح ليصبح الشيء مستقيماً بعد اعوجاج . انظر : د. إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1972 م ، مادة قوم .

وتعرف القيمة بأنها " ما يكون به طلب الشيء واستحقاقه التقدير ، إذا كانت لذات الشيء فهي قيمته المطلقة ، وقيمة الفعل الأخلاقية هي ما فيه من خير ، وبقدر اقترابه من صورة الخير في الذهن بقدر زيادة هذه القيمة . وصورة الخير في الذهن قيمة مثالية وهي أساس أحكام القيمة ". انظر : د. عبد المنعم الحنفي، المعجم الفلسفي ، دار إدارة الشرقية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1990 م ، ص 272 .

للأمر الواقع ، والقبول بالراحة ، فنجد الشاعر " محمود درويش " يدعونا إلى العمل ، وأن نجد لأنفسنا حياة سعيدة ، لنكون كما ينبغي لنا أن نكون ، يقول[1] :

من سماء إلى أختها يعبر الحالمون
حاملين مرايا من الماء حاشية للفراشة
في وسعنا أن نكون كما ينبغي أن نكون
من سماء
إلى أختها
يعبر الحالمون

إنها دعوة للجد والسعي ، وعدم التشاؤم ، فلننظر إلى السماء ، ولنحلم بواقع جديد ، نصنعه بأيدينا كيفما نشاء ، واقع يتطلب منا أن نجاهد ونكابد ونتطلع بعينيين مفتوحتين لنحقق ما نصبو إليه ، كما يقول الشاعر " سميح القاسم "[2] :

فجاهد .. كما ينبغي أن تجاهد
تأمل بعينين مفتوحتين وقلب بصير
تأمل .. وكابد !
كما ينبغي .. لا تكرر حماقة سيزيف[3] .. قف
في أعالي العذاب .. تأمل .. وراجع ..
وطالع .. وتابع ..
وشاهد !
وصارع .

لابد من المجاهدة والتأمل بقلب بصير لتغيير الحال ، وتحمل المصاعب والعذاب والآلام دون النظر إلى الخلف ، ولا نكرر حماقة سيزيف الذي كرر حمله للصخرة في فعل غير مجدٍ

---

[1] – محمود درويش ، لماذا تركت الحصان وحيداً ، مطبوعات وزارة الثقافة ، دار فنون للطباعة ، الطبعة الأولى ، 1995 ، ص 107 .

[2] – سميح القاسم ، ملك أتلانتس ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 49 .

[3] – أسطورة يونانية تحكي قصة غضب الآلهة على سيزيف والحكم عليه بالشقاء ، فقد حكم عليه بأن يرفع صخرة من أسفل جبل إلى قمته ، وكان كلما وصل إلى أعلى الجبل سقطت الصخرة إلى أسفل ، ويعود سيزيف يكررها مرة ثانية وثالثة ورابعة وهكذا . انظر : د. أحمد جبر شعث ، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة القادسية ، خان يونس ، فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2002م ، ص89 .

بلا هدف وبلا نهاية ، لأننا نعيش واقعاً مريراً يحتاج منا الجد والعمل والمثابرة ، فالشاعر " سميح القاسم " يعتمل قلبه ونفسه بما يشاهده من آلام وواقع مرير يحياه الفلسطينيون ، لذا يقول [1] :

تفقد مع البرق أطراف جسمك .. وانهض . عسير نهوض
البراكين بعد الخمول الممل .. عسير نهوض الضحايا
ولا تنتظر جسداً في خداع المرايا
ووهم المرايا
تفقد شرايين قلبك
وأرجاء رعبك
وحطم سراب المرايا
وغادر مع البرق أطلال حبك .

يطلب الشاعر " سميح القاسم " منا النهوض من هذا الليل البهيم ، وانتهاز أي فرصة للخروج من هذا الواقع المؤلم ، حتى لو كانت قصيرة مثل البرق ، وألا نركن للخمول ، فيصعب التوقف عن الكسل بعد التعود عليه ، هذا الكسل الذي وصل لكل جوانبنا ، ودخل بيوتنا، وهيأت لنا المدنية الحديثة كل سبل الراحة ، والتعود على الكسل ،حتى تعودنا النوم الطويل حتى الظهر ، كما يقول[2] :

هرمت ظهيرتنا .. وأدركنا النعاس بلا ظلال
نمنا .. وفاجأنا صياح الديك في الحاسوب .. وأوكلنا
مراجعنا لإنترنت .. كان أمامنا نفق .. وضوء في
نهايته يموت .. وننتهي نفقاً بلا ضوء يقود
على احتمال .

هذا النفق المظلم ، الذي ينتهي ويموت الضوء في نهايته ، سيؤدي بنا إلى ضياع، إذن لابد من التحرك و الجد والنشاط ، والعمل على تغيير هذا الواقع ، وفي جانب ذلك لابد من الإيجابية، والمشاركة الفاعلة في مجريات الحياة ، وعدم الانشغال بأمور لا تجدي نفعاً ، بل يثابر الإنسان ويكون له دور في الحياة ، وفي ذلك يقول الشاعر " عز الدين المناصرة "[3] :

لا تقل للشجرة

---

1 – ديوان ملك أتلانتس ، ص 45 .

2 – السابق ، ص 68 .

3 – عز الدين المناصرة ، لا أثق بطائر الوقواق ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص 91 .

أي أغصانك أجمل

إنما مشط لها الروح وأهداب الرموش

وتغزل

ليعمل المرء ويجتهد ليرى الواقع حلواً وجميلاً , ولا يتكلم فقط , ويسأل دون فائدة , ولا يترتب على كلامه شيء مفيد , وإنما يبادر ويكون ايجابياً في مجتمعه , فالإنسان الصالح هو الذي يترك أثراً صالحاً خلفه في المجتمع ، ينتفع به غيره من الناس , حتى ولو تعرض للإساءة من غيره , فلا يقف غبن الآخرين له عائقاً عن العمل والتأثير في مجتمعه , مثل المحار التي تتعرض للرمل والقاذورات ولكنها تمنحنا لؤلؤاً لامعاً جميلاً , كما يسجل ذلك الشاعر " كمال غنيم "[1] :

ربنا امنحنا حكمة هذا الكون الواسع

واجعلنا خيراً من حلم محار لامع

تبغته ذرات الرمل ,

وقاذورات البحر,

فيفرز لؤلؤه الرائع

يلجأ الشاعر هنا إلى الله متضرعاً أن يمن عليه بالحكمة والصبر, ويجعله كريماً معطاءً , لأبناء شعبه وأمته , دون انتظار المقابل من أحد , والشاعر يسعى هنا ليحيا مجتمعه حياة أفضل , ينتفي منها الشر والحقد والبغضاء , ويسودها الفرح والسعادة والإيجابية , وهذه هي طبيعة الشعر الجيد إنه " ذو طبيعة اجتماعية هي دعوة الناس إلى حياة أفضل , فيها الحرية والسعادة "[2] .

ولتحقيق هذه الحياة السعيدة لا بد أن يكون الإنسان إيجابياً في مجتمعه , يأخذ على يد المخطئ , ويقومه ويصوبه ويقدم النصح للآخرين ، حتى لا يتمادى الإنسان في خطئه , ويكبر الخطأ ويستشري الفساد , ولا يكفي أنك ملتزم بالأخلاق والأنظمة والقوانين , وليس لك شأن في غيرك , فإن خطره سيصل إليك ويدهمك , إذا لم توقفه عند حده , يقول الشاعر " كمال غنيم " في قصيدة بعنوان " شاحنة "[3] :

بكل هدوء أسير كسائق !

وجنبي أعز صديق يصادق .

أتابع سيري بكل نظام .

---

[1] – د . كمال غنيم ، جرح لا تغسله الدموع , مؤسسة فلسطين للثقافة , الطبعة الأولى , 2006 م ، ص208 .

[2] – د. خالد الأعرج , في تأويل خطاب النقد الاجتماعي, عبد المنعم ناشرون , الطبعة الأولى 1999، ص44.

[3] – جرح لا تغسله الدموع , ص 133–134– 135– 136

أطبق شرع المرور وكل انسجام

***

ولكن تمزق هذا السكون .

بصوت صرير الإطار اللعين !

كوحش فظيع مضت نحونا .

وكادت تدوس جميع الجوانب .

وقهقه منها دخان المصائب .

***

فقال صديقي مشيراً إليها :

أتحسب أنك إن سرت وحدك .

بريئاً تطبق شرع المرور,

فلست تخالف (خط المشاة) ,

و(قف) , و(تريث)

أتحسب أنك تنجو وغيرك يهلك ؟!

تنبه صديقي !

فأنت بدار اختبار

لتترى عليك المصائب , حولك !

***

تذكر صديقي ...

أتيت محاطاً بجمع غفيرٍ,

لتلعب دورك !

(ترهب) ولكن حذار ,

تنَعّم بالنور وحدك !

فدورُك ليس التزام نفسك

وإلا تُزلزل عند فساد الأمور.

وتهلك نسلك .

لقد عاش الشاعر ويلات شعبه , وتحمل أوزارها وتجرعها حتى الثمالة , ولكنه يريد لمجتمعه حياة سعيدة , لا تتحقق بدون أخذ روح المبادرة , والضرب على أيدي الفاسدين والعابثين بمجتمعه , وعلى الإنسان ألا يتقوقع في صومعته ويترك الآخرين, ينعزل عن الناس ,

يقول قد كفيت نفسي , ولا يخالطهم ويؤثر فيهم , ويقدم لهم النصيحة , بل لا بد لــه أن يــزرع بذور الفرح في وسط الظلمة ووسط غابات الأحزان والألم , وليشعل سراج الأمل في القلــوب , وليمارس الحياة سعيداً متفائلاً إيجابياً , كما تقول سلافة حجاوي [1] :

لكنني

أحب أن أمارس الحياة مثلما

يعرفها السنبل والبلبل والقنفد والبرق

والشجر الضارب في العمق

أحب أن أدفق كالمياه

أسطع كالنجم

أرعد كالرعد .

نمارس الحياة كالسنابل والبلابل والبرق , نكون كالشجر المتجذر في قــاع الأرض نعطــي دون انتظار الثناء , نتدفق كالماء رقراقاً في كل الأنحاء , نرتفع كالنجوم فــي الــسماء تــضيء الكون في دياجير الظلام , ويكون صوتنا رعداً في وجه الطغاة والمتجبرين .

ولقد تنبه لذلك الشاعر " ماجد الدجاني " , فدعا للعمل الدؤوب ، وحــث الخطــى وإشــعال العزيمة في القلوب ، لتنطلق نحو هدفها التي تصبو إليه , نحو المعالي , غير آبهــة بالمتاعــب والأشواك التي في الطريق , فطريقنا ليس مزروعاً بالورود ولكنه محفوف بالأشــواك والآلام , فقال [2] :

سنجدُّ الخطى وبالعزم نمضي رغم شوك الدروب نحو المعالي

سينطلق ليحقق غايته وهدفه بالعزم والمثابرة والجد , هدفه هو تحقيق الأمن والأمان لأبنــاء وطنه , ونشر العدل بين الربوع , وإقامة صرح للإخاء والمحبة بين الناس , يقول [3] :

الأمن غايتنا لكل مواطن والعدل ننشده وصرح إخاء .

2- بر الوالدين :

يجسد الوالدان مظاهر الحب والحنان والتضحية لأبنائهم , لذلك كان البر بهما , والعمــل على راحتهما حقاً من حقوقهما , كفله لهما الدين الإسلامي الحنيف , حين قرن بين عبــادة الله – سبحانه وتعالى – وبين طاعة الوالدين , فقال القرآن الكريم مصوراً ذلــك : "وَقَــضَى رَبُّــكَ أَلاَّ

---

1 – سلافة حجاوي , سفن الرحيل , مطبوعات وزارة الثقافة , الطبعة الأولى ,1998 م , ص8

2 – ماجد الدجاني , قمر على شباكنا , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , القدس , الطبعة الأولى , 1999 م ، ص28

3 – السابق , ص 32 .

تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا "(1) ، ويعتبر بر الوالدين وطاعتهما دين في أعناق الأبناء , وقد أشاد الشعراء الفلسطينيون بدور الوالدين ومكانتهما في المجتمع , وبينوا منزلتهما لدى الأبناء , فهذا الشاعر "خضر محجز" يصف العلاقة الحميمة التي تربطه بأمه , وأنها عنده أغلى من كل شيء في الوجود , يقول(2):

أرفع ساعدي , أعلى شارتي

أقول يا أمي : نعم

إليك يا أمي : نعم

الكل : لا .. وأنت يا أمي :

نعم .

فالأم فقط أولاً وأخيراً , فهي نبع الحنان , ورمز الأمان , وهي فيض متدفق بالحب والإخلاص والتضحية من أجل أبنائها , تسهر على راحتهم لكي يناموا نوماً هنيئاً , تقضي الليالي الطوال في سبيل سعادتهم وسرورهم , تأخذ ابنها في حضنها ليشعر بالدفء والطمأنينة والأمان , فيذهب عنه الخوف ويشعر بسيل الحنان الدافق من صدرها , فيعيش في عالم آخر , يقول "خضر محجز" (3):

أمي شعار دائم ضاعت به كل الليالي

كالمنارة

نادت : إليَ

تعال .. جدف يا بني ..

عندي حكايات , عندي الدفء في

حضني .. وعندي الأمن ..

فالإنسان مهما بلغ به العمر يظل محتاجاً لأمه , يود لو يرمي بنفسه في حضنها يبث إليها همومه ومتاعبه , يبكي على صدرها فتحرقه دموعه الحارة من طيب قلبها وعظيم حنانها وجزيل كرمها , ويظل يحن المرء لأمه حتى بعد موتها , ويشعر بشدة حاجته إليها كلما ادلهمت عليه الخطوب , وضاقت به الدنيا , فهذا الشاعر "أحمد دحبور" يصور ذكرياته مع والدته ،

---

[1] - سورة الإسراء ، الآية 23-24 .

[2] - خضر محجز, اشتعالات على حافة الأرض , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , القدس – غزة , وبالتعاون مع شركة فنون للطباعة والنشر , ص 11 .

[3] - السابق ، ص15 .

وكيف أنها جاءته بعد مرور السنين ، لترجعه إلى كوخه الصغير الذي تربى فيه , ويصور علاقته بوالده كيف كان حريصاً عليه , وعلى تعليمه , وتحليه بالأخلاق النبيلة وحضه على الصلاة ، خاصة صلاة الفجر التي ينام عنها الكثيرون , وحين لا يجده هناك في المسجد , يعود إلى البيت يعاتبه عتاباً يوحي بمدى حرصه عليه , يقول [1] :

فماذا أيقظ الأموات فجراً ؟
كيف تقبل , من صميم غبارها , أمي ,
فترجعني إلى كوخي ,
وتجبلني فأصبح جرة الفخار ,
يكسرني أبي فيهز عرش النوم ,
يطلق من رخيم ندائه , فجراً ,
فتنسكب الصلاة ولا أكون هناك ,
يسألني : لماذا غبت ؟
أين هربت ؟

ويسجل " أحمد دحبور" في ديوانه "كسور عشرية " أيضا صورة الوالد الحاني , الذي يدعو لولده , ويتمنى أن يراه أفضل منه , ولحيته تخضل بالدمع , بينما كان يصب له ماءً كي يتوضأ , يقول [2] :

يدعو إلى الله والدي ,
ولحيته تخضل بالدمع ,
بينما أصب له ماء الوضوء .

وتظهر هنا العلاقة بين الولد ووالده , الوالد مشفق على ابنه , يدعو الله ويلجأ إليه متضرعاً ، ويصل به الانفعال إلى درجة البكاء , فتفيض عيونه بالدمع يبلل لحيته , والولد بار بأبيه مطيع له , يصب على يديه الماء , ويقوم على خدمته راضياً سعيداً, ويظهر هنا أثر التربية الدينية الإسلامية في شعر " أحمد دحبور" , فكلما تذكر والديه ذكر معهما حرصهما على نشأته نشأة دينية مستقيمة , وتعليمه الصلاة والحض عليها , فالدين " لا يشك أحد في سلطانه القوي في الآداب , وربما كان الباعث الأسبق على ابتكار الأناشيد التي تلتها الجماعات البشرية في المعابد"[3] .

1 – أحمد دحبور , ديوان هنا وهناك , دار الشروق , الطبعة الأولى , 1997 م ص 114 .

2 – أحمد دحبور , كسور عشرية , مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي , فلسطين , 2002م , ص 58 .

3 – أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي , مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ص 88 .

ويصور الشاعر محمود درويش علاقة الإنسان بوالده عندما يكبر الوالد في السن , ويصبح عاجزاً عن تحمل متاعب الحياة ومشاقها , فينهض الابن ليحمل عن أبيه هذا الحمل , ويخفف عنه آلامه ومصاعبه , مثلما تحمل الأب أهوال الدنيا ومآسيها في سبيل أن يرى ابنه رجلاً كبيراً , فهذا الحوار الذي أجراه الشاعر بين الولد وأبيه يبين وفاء الابن لأبيه وبره له وهو كبير ، يقول [1] :

يا أبي , هل تعبت

أرى عرقاً في عيونك ؟

_ يا ابني تعبت ... أتحملني ؟

_ مثلما كنت تحملني يا أبي ,

وسأحمل هذا الحنين

إلى

أوّلي وإلى أوّله

وسأقطع هذا الطريق إلى

آخري .. وإلى آخره !

وسيكمل الشاعر المشوار عن أبيه , ويحمل عنه هذا العبء الثقيل ، الذي حمله على ظهره سنين طويلة صابراً محتسباً , يحافظ على هذه الأمانة , ويواصل الطريق إلى آخره , ولن يخون عهد أبيه .

3- الدعوة للعلم واحترام المعلمين :

لا يغيب عن أحد ما للعلم من قيمة وأهمية في حياة الناس , وخاصة لدى أبناء الشعب الفلسطيني , الذين يرزحون تحت نير الاحتلال الإسرائيلي الغاشم , والذي يسعى جاهداً بكل السبل لتجهيلهم وطمس نور عيونهم , ليسهل عليه ترويضهم كيفما يشاء , من هذا المنطلق حمل الشعراء الفلسطينيون مشاعل الدعوة إلى العلم , والحض عليه منذ أوائل القرن العشرين ، وقد حملوا تلك الدعوة بعد أن رأوا الجهل يخيم على ربوع البلاد , وطالبوا بحياة يضيء العلم أرجاءها .

---

[1] – محمود درويش , لماذا تركت الحصان وحيداً , ص42 .

ومن أعلام الشعر الفلسطيني الذين حضوا الناس على العلم والإقبال على منابع المعرفة في تلك الحقبة " إسعاف النشاشيبي " , إذ نراه يتألم لأوضاع الجهل والتخلف السائدة في المجتمعات العربية فيقول [1] :

العرب مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا
قد كنت أطمع أن أرى وطني بهيجاً زاهيا
فوجدته من كل علم أو علاء خاليا
فرثيته وندبته وسكبت دمعي غاليا
فسعادتي يا ابن الكرام وبغيتي ومراميا
أن تصبح العرب الأذلة سادة ومواليا

ثم جاء بعده العديد من الشعراء الذين تصدوا لمحاربة الجهل والتخلف , وانبروا يدافعون عن أهمية العلم في رفعة الأمة وإعلاء شأنها , وطالبوا بورود منابع العلم الأصلية , واللحوق بركب الحضارة والمدنية , ورغم واقع الشعب الفلسطيني الصعب ومعاناته اليومية جراء الاحتلال , وانصراف العديد من الشعراء لتصوير تلك الحياة وتبعاتها , إلا أن الشعر الفلسطيني خلال هذه الفترة لم يغفل عن أهمية العلم ودوره في الخلاص من هذا الواقع المرير , من ذلك قول الشاعر رشاد الصغير يقول[2] :

فبالعلم ننهض بالحائرين وبالصدق نعبر أعتى حصار

فالعلم وسيلة النهوض بالحائرين الباحثين عن الخلاص , المتطلعين إلى حياة أفضل , مليئة بالصدق والعمل لكي يستطيعوا التخلص من أي حصار يقعون تحته من الاحتلال , وأدى اهتمامهم بالعلم إلى اهتمامهم بالدراسة ومقاعدها والمذاكرة والحرص عليها , وحث الأبناء على طلبها , وعدم التسرب من المدرسة والغياب عنها , هذا ما صوره لنا الشاعر "أحمد دحبور" من خوفه أن يظن به معلمه الكسل ؛ بسبب غيابه عن المدرسة , مع أنه غاب عنها بعذر منعه الذهاب إليها , يقول [3] :

هل محلي سيبقى شاغراً في الصف ؟
خوفي , إذا سأل المعلم , أن يقولوا :
كسول غاب ...

[1] – د . عبد الرحمن ياغي , حياة الأدب الفلسطيني الحديث , المكتب التجاري للنشر والتوزيع . بيروت , ص164 , (عن " هل الأدباء بشر " ص74 , 75) .
[2] – رشاد الصغير , محطات , وزارة الثقافة – الخليل – , الطبعة الأولى , نيسان 2000 م ، ص 46 .
[3] – ديوان كسور عشرية ، ص52 .

وهذا يوضح مدى الاهتمام بالعلم ، والحرص من قبل الطلاب والأهل على عدم ترك مقاعد الدراسة , وتحصيل العلم بشتى الطرق الممكنة , وفي مقابل ذلك حظي المعلمون بمكانة مرموقة في الشعر الفلسطيني ؛ لما يقومون به من نفض رداء الجهل عن أبناء شعبهم واهتمامهم بالعلم , فالمعلم يقدر ويحترم في كل مكان , وينظر له طلابه نظرة كلها فخر واحترام , وتمتلئ نفوسهم هيبة منه , وإجلالاً لقدره , وتعظيماً لشأنه , حتى بعد أن يتخرج الطالب من مدرسته يظل يحفظ الوَّد والجميل لمعلمه , وهذا ما سجله الشاعر " أحمد دحبور" عند حديثه عن مدير مدرسته وهو صغير , كيف ظل يحفظ له الاحترام والهيبة , يقول[1] :

لكنما مديرنا لم يخسر الهيبة

حتى وإن تعدل المشهد والإطار

للمعلم دور كبير في تربية النشء وتعليمهم , فهم قادة المستقبل , ورواد الشعوب إلى حاضرها, لذا يجب رفع شأن المعلم لاضطلاعه بهذه المهمة الصعبة , التي قام بها الرسل والأنبياء, كما قال أمير الشعراء "أحمد شوقي " في بيته الشهير :

قم للمعلم وفه التبجيلا　　　كاد المعلم أن يكون رسولا

وهذا الشاعر الفلسطيني " فرج البرعي " يتحدث عن فضل المعلم , فيقول[2] :

فضل المعلم فوق كل مقال　　　باني الحضارة منشىء الأجيال

هو الذي يبني الشباب فإنهم　　　ذخر البلاد ومعقد الآمال

ويقول أيضاً [3] :

فإذا البلاد تنكرت لمعلم　　　فاعلم بأن قد آذنت بزوال

فلترفعوا قدر المعلم إنه　　　رمز التقدم نحو كل مجال

وهنا ينفر الشاعر من التنكر للمعلمين والمربين , ويبين أن أي أمةٍ لم ترفع شأن علمائها ومعلميها فهي إلى زوال , لأنهم عنوان التقدم ورمز الحضارة .

---

1 – السابق ، ص 27 .

2 – فرج البرعي , ديوان حديث الوجدان , سلسلة إبداعات فلسطينية (7) ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى , 2005 م ، ص 27 .

3 – السابق ، ص 27 .

4- الأخوة والصداقة :

الأخوة من أهم الروابط التي يتمتع بها شعبنا الفلسطيني , نتيجة لتفاقم الأخطار التي تحيط به , وتوالي الحوادث عليه , فلم يكن أمامه من وسيلة لمجابهة هذه التحديات إلا التوحد والإخوة , وإذكاء روح الصداقة , بين أفراد المجتمع , ولقد دعا الشعراء لذلك ، فسطروه في شعرهم , يصفون به خلجات القلوب , وتدفق المشاعر والأحاسيس , من ذلك قول الشاعر " كمال غنيم " في وصف معاني الأخوة , ومدى ارتباط الأخ بأخيه , وسرعة استجابته له عند الحاجة , يقول [1] :

وجعٌ يشدّ على القلوب فتصرخ :

(آخ) .. , وهل (آخ) سوى

نبض الأخوة , يستجيب

لصرخة تدمي القلوب

وتشرخ ؟ !

يلجأ الأخ لأخيه عند الضيق والألم , فإذا أحس بوجع صرخ بكلمة (آخ) , وكأنه يستغيث بأخيه مما يشعر به من ألم يوهن قلبه , ويضعف عزيمته , ويحدث صدعاً في جسده , فيستجير بأخيه لينقذه مما أصابه , ويدفع عنه البلاء والضيق .

ويصور الشاعر "معاذ الحنفي" حنينه لأخيه , الذي تغرب عن بلاده , في قصيدة كتبها لأخيه " قصي " يصف له دروب الغربة بأنها ليست كباقي الدروب لا ينبت على جوانبها الياسمين , يبث فيها أحاسيسه ومشاعره وحنينه لأخيه في الغربة , فيقول [2] :

يا أخي الغربة طين

... والليالي تنهمر

حدها صلد ومتين

حدها لا ينكسر

يا أخي الأيام سور وسنين

ياه ... كم بعدك مر .

---

1 – جرح لا تغسله الدموع , ص 178 .

2 – معاذ الحنفي , أعلق في ليلك الليلك , سلسلة إبداع المعتقلين رقم (1) , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , مطابع الجراح , غزة , 1998 م , ص 50 – 51 .

هذه الزفرة الحرى من الشاعر تبين مدى مرارة البعد , وصعوبة الفراق , وشوق الأخ لأخيه , فيصف الشاعر الغربة بالطين , والليالي تتتابع عليه في قسوتها وشدتها , وهو بحاجة إلى أخيه , يبثه أحاسيسه وهمومه .

ويحتل الصديق الوفي مكانة الأخ عند صديقه , فهو عونه عند الحاجة ومستودع أسراره, ورفيق دربه يشاركه أفراحه وأتراحه , فهو مصباح الدجى , وصديق ملاعب الصبا , وذكريات الشباب , وعندما يغيب الصديق عن صديقه يشتاق إليه كثيراً , خاصة إذا كان غيابه خلف القضبان , في سجون القهر والظلم , فإن إحساسه يموج بالحزن والأسى , بعد أن طال الغياب , واتسع مداه , هذا ما حدث مع الشاعر " يوسف المحمود " عندما كتب قصيدته بعنوان " برقية " إلى الشاعرين "المتوكل طه " و" عبد الناصر صالح " ، اللذين يقبعان في جهنم الصحراء , معتقل أنصار " 3 " في النقب [1] ، يقول فيها [2] :

اشتاق لكم يا أحبائي

حين يهيج البحر

وتعزف بالحجر أغاني الدم الأسواق

اشتاق إليكم

آه يا أحبائي كم اشتاق .

يبين لنا الشاعر مدى لوعته واشتياقه لصديقيه خلف سياج المعتقل , فهو يتذكرهما مع موجات البحر وهيجانه , ومع سيلان الدم النازف من الجرح الفلسطيني , ومع صمود أبنائه ومقاومته للاحتلال بالحجر المقدس .

ويصور الشاعر "عز الدين المناصرة" صورة لصديقين كل منهما يؤثر الآخر على نفسه, فالشاعر وصديقه يدور بينهما الحوار التالي [3] :

أخيراً بكى صاحبي حين عز الصديق

عندما شاف (كرسيه) شبه مشروخةٍ

ثم قال : أموت أنا .. أو تموت

قلت : خذه .. لكي لا يموت رفاق الطريق .

---

[1] – يوسف المحمود , زغاريد على بوابة الصباح , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , الطبعة الأولى , 1989 , ص 65 .

[2] – السابق ، ص 68 .

[3] – لا أثق بطائر الوقواق , ص119 .

يبكي الأصحاب عندما يُتخلى عنهم وقت الشدة , ويعز الصديق , ويظن بنفسه الموت , فيفتديـــه صاحبه لكي لا يموت رفقاء الطريق , ولكن إذا خان الصديق الحب , وغدر بصديقه , وانبـــرى يفجر حقداً عليه , ماذا عسى الصديق أن يفعل ؟ أيقابل الإساءة بالإساءة ؟ أيفجر مثله ؟ وينصب كل منهما منبراً لفضح الآخر والتشهير به ؟ يجيب " سليم الزعنون " قائلاً [1] :

فإن أنكر الصحـــب الـــوداد فإنني | عشقت من الأخلاق ما كان عاليا
سأعذر منهم من تصرف جاهـــلاً | وأصفح عمـــن قد أ ساء معاديـــا
وما هزني في قول من الحقد نابع | ولا ضرني طعن أتى من ورائيا

سيعذر الشاعر من أساء إليه , ويصفح ويغفر للذين آلموه , وأعلنوا الحرب عليه والعداء له .

يرفض الشاعر " خضر محجز " الشعارات الكاذبة , و الابتسامة الزائفـــة التـــي تعلـــو الوجوه , لتخفي وراءها خبثاً ولؤماً , فهو يريد الابتسامة الصادقة النابعة من حب حقيقي صادق, وقولٍ صادق , يقول[2] :

سئمت كل هذه البضائع المزورة .
سئمت كل هذه العواطف الصغيرة
المهزوزة المصورة .
أريد حباً صادقاً ,
أريد قولاً صادقاً ,
ولا أريد بسمة ممطوطة محوّرة .

كل ذلك يأتي نتيجة الحب الصادق والودّ بين الناس , كما قالت الشاعرة " سلافة حجاوي "[3] :

لا بد من حب لأن الحب
يوصلنا إلى
باب يدق
إلى نوافذ لا تسد على الطريق

---

[1] – سليم الزعنون , نجوم في السماء , دار الكرمل للنشر والتوزيع , عمان , الطبعة الأولى , 2001 م ، ص 209 .

[2] – ديوان اشتعالات على حافة الأرض , ص 5 .

[3] – ديوان سفن الرحيل ص 7 .

هناك ارتباط وثيق بين انتشار الحب بين الناس , وبين عيش الإنسان سعيداً , فالصديق يخلص لصديقه إذا أحبه , ويكون عونا له وجسراً يعبر عليه لبر الأمان , والحب ينفي الحقد والبغضاء التي تشتعل في القلوب كاشتعال النار في الهشيم , ويجعل للحياة معنى , كما تقول " سلافة حجاوي " [1] :

لحياتي معنى
لا أؤمن بالحقد أو البغضاء
ولا أخشى
قدراً
إن جئت إلى هذه الدنيا
في لحظة شوق أو حمى
في لحظة وزن أو فوضى .

5- الوفاء :

الوفاء صفة تخلق بها أبناء المجتمع الفلسطيني , فكان الفلسطيني وما زال وفياً مخلصاً لأبناء وطنه , وفياً لأرضه وموطنه وقضيته , ما خان العهود ولا نقض المواثيق , وشاعت صفة الوفاء بين فئات المجتمع الفلسطيني كله , من فقراء وأغنياء وعمال وفلاحين ومتعلمين ... ولقد شارك الشعراء أبناء مجتمعهم في الحث على الوفاء , والتصدي للخائنين وناقضي العهود لتخليص المجتمع منهم , وكانوا يعتبرون أن من قطع على نفسه عهداً فهو دين عليه لا بد أن يوفيه , ويصدق في وعده وعهده , كما نلمح ذلك عند الشاعر "ربحي محمود " عندما يقول[2] :

والعهد دينٌ .. ونحن نسدُّ الديون
ونحن نرد العهود
وتصدق منا الوعود

كما صور الشعراء وفاء الفلسطيني لبلده , وإخلاصه لها , رغم تعرضه لصنوف العذاب والقهر , فقد تحمل ذلك محتسباً صابراً , ووقف شامخاً كالطود , لا تهزه العواصف والكروب , فهذا الشاعر " شهاب محمد " يقول قصيدة في مدح مواطن فلسطيني هدم بيته مرتين , وتعرض

---

[1] – ديوان سفن الرحيل ، ص 57 .

[2] – ربحي محمود ، نقوش على ثوب أمي , عناة للطباعة والنشر ، رام الله – فلسطين ، ط1 ، 2004م ، ص 74 .

لألوان شتى من العذاب , وحلّ به المرض حتى أفقده قدميه , ولكنه ظل صابراً محتسباً , وفيـــاً لوطنه وأرضه ، ولم يحن للغاصب هامه , ولم يرَ منه خنوعاً واستسلاماً [1] , بل أصبح علمـــاً يقتدي به الآخرون ويتعلمون منه قيم المحبة والوفاء , يقول [2] :

يا أيها الرجل الوفي لأهله　　ولموطن , عصفت به الأنـــواء
يا أيها الإنسان في وجدانه　　تسمو السماء , وتسهر الصحراء
علمتنا قيم المحبة , والوفاء　　بذلاً , وأنت رسولها المعطـــاء

وفي المقابل نرى الشاعر" سليم الزعنون ", يصف مجموعة من الناس لا يعترفـــون بقيمـــة الوفاء في الوقت الحاضر , ولم تبق طيبة النفس على ما كانت عليه, وأصبحت المداهنة والنفـــاق في نظرهم سياسة , ممكن أن تظلم غيرك وتخدعه وتسلبه حقه باسم النفاق والسياسة , ويتقلبـــون على كل لون وجهة ، يعادي صديقه ويصادق مبغضه حسب الأهواء والمصالح , يقول [3] :

فبعض الناس يرى الوفاء جريـــرة　　لأن صفاء النفس ما عاد باقيا
وبعض يرى أن النفـــاق سياســـة　　تجيز ظلمـــاً وتخـــدع ناديـــا[4]
وبعض يـــرى أن التقلـــب خلـــة　　يعادي صديقاً أو يصادق قاليا[5]

وهنا تظهر قوة الشعر في وصف حقيقة المجتمع , وتفسير الظواهر المختلفة فيه تفسيراً دقيقـــاً , والوقوف على أسبابها ودوافعها , وهو ناتج عن التصاق الشاعر والأديب بمجتمعه , وارتباطـــه به بعرى وثيقة , , فالشاعر مهتم بقضايا مجتمعه , يحمل على المتقلبـــين وأصـــحاب المـــصالح والمنافع , الذين يقابلونك بوجه , ويقابلون الآخرين بوجه آخر , ويحمل على المنـــافقين الـــذين يظهرون غير ما يبطنون, ويحمل على من تركوا الوفاء وطيبة القلب ونقائه .

أما الشاعر " رشاد الصغير " فنراه يحض على الأخلاق الكريمة وعزة الـــنفس وصـــون الأرض ، يقول [6] :

عزيز النفس ليس له مكان　　يغالـــب واقعـــا ما فيه رفـــق

---

1 – شهاب محمد , وثبة للغزال قبلة للقمر , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , القدس , الطبعة الأولى , 2001 م ، ص 67
2 – السابق ص 69
3 – نجوم في السماء , ص 215 .
4 – مجموعة من الناس .
5 – المبغض .
6 – ديوان محطات ، ص 23 .

فدع حب الحياة إلى ذليـــل وصن أرضاً , فأنت بها محق

وليس البّر أن تحيا طويلاً فبيـــن العـــز والإذلال فـــرق

يحمل الشاعر على الذليل الذي هانت عليه نفسه , مبيناً الفرق بين الحياة الكريمـــة العزيـــزة والشقاء بحياة ذليلة مهينة .

ثانياً / التكافل الاجتماعي

شارك شعراء فلسطين في الدعوة للتكافل الاجتماعي ، وتناولوا الحـــوادث الاجتماعيـــة والمناسبات للحديث عن ذلك ، ودعوا للأعمال الخيّرة، وضرورة الإسهام فيهـــا، فـــسجلوا فـــي شعرهم المواقف النبيلة حتى تكون مصابيح مضيئة في ظلمة الطريق ، فتحدث الـــشعراء عـــن الدعوة للبذل والعطاء، والمحبة بين أبناء البشر، وعن إغاثة الملهوف وسرعة إنقـــاذ المحتـــاج، والعطف على الضعفاء وأصحاب الإعاقات، وغيرها، وهم في تناولهم لهذه القضايا يتفاعلون مع ظروف مجتمعهم ، ويتأثرون به ويؤثرون فيه.

وأخذ التكافل الاجتماعي عدة أشكال منها :

أ. البذل والعطاء:

ويبقى نهر العطاء يتدفق، ويظل الفلسطيني ــ رغم كل ما حلّ به ــ نبعاً للبذل والعطاء ، ولهذا وقف الشعراء يحضونه على ذلك ويبثون بداخله روح التضحية والإيثار، فنجـــد الـــشاعر" محمود درويش" يدعو لتضافر جهود أبناء شعبه واتحادهم ، ليكونوا معطائين حتى يقفوا جميعـــاً في وجه الطامعين، فلا تتنازعهم الأهواء، والمصالح حتى يستعيدوا حكاياتهم مـــن الغاصـــبين، يقول [1] :

وإن كان هذا الخريف النهائي، فلنتحد بالسحب

لنمطر من أجل هذا النبات المعلق فوق أناشيدنا

لنمطر فوق جذوع الأساطير والأمهات اللواتي وقفن

على أول العمر كي يستعدن حكاياتنا من رواة

أطالوا عليها فصول الرحيل.

والشاعر " توفيق زياد " يدعو إلى تكاتف الأيادي ، وتوحيد الجهود ، ورص الصفوف ، والعمل معاً بروح الفريق ، حتى نقضي على الظلم، ونصنع مستقبلنا المشرق القائم على الحريـــة والعدل، يقول [2] :

---

[1] – محمود درويش ، ديوان أحد عشر كوكباً ، دار توبقال ، الطبعة الثانية ، 1993 م ، ص70.

[2] – توفيق زياد ، ديوان أنا من هذي المدينة ، مجموعة من أعماله الشعرية والقصصية ، ط1 ، ص 27 .

فتعالوا وتعالوا
بالأيادي ،
والمعاول
نهدم الظلم
ونبني غدنا ..
حراً و عادل .

ومن الدعوة للبذل والعطاء تتوجه دعوة من الشاعر" سميح القاسم" للمحبة بين أبناء البشر، ونشر صورة الحق، واختفاء الزور والبهتان، حتى ترتسم البسمة على شفاه الناس، وتختفي آلام المظلومين والثكالى، ويصبح الورد والحق تحية البشر، يقول [1]:

متى يصبح الحق حقاً وتعفى العدالة من مهنة الزور؟
كيف السبيل لكي يصبح الورد والحق روح التحية بين الخلائق؟
هل تستعيد بديهتها الكائنات ؟
وتنسى القواميس كل اللغات ؟

ويذكر الشاعر " هارون هاشم رشيد " في هذا المضمار , أنه بقى طوداً شامخاً منافحاً عن حرمة الدين والوطن , وما هان وما ضعف رغم جرحه الذي لم يبرأ منه بسبب اغتصاب وطنه, فحب وطنه أصبح نبضاً في دمه , ولحمه , ونخاعاً في عظمه , فهو لهذا لم يخنه ولم يتخاذل في الذود عن حياضه يقول [2] :

هنا ..
عن حرمة الإسلام
دافعت
وناضلت
أنا والله ما هنت
ولا يوماً تخاذلت .

---

1 – ديوان ملك أتلانتس، ص 106 .

2 – هارون هاشم الرشيد , قصائد فلسطينية , عمان , دار مجدلاوي , الطبعة الأولى ،2003م , ص 113.

ويواصل الشاعر " رشاد الصغير " دعوته لتضافر الجهود , والنهوض للعلياء, وعدم الالتفات للجبناء والمثبطين , فهؤلاء عشقوا الذل وألفوه , فلا قيمة لهم في الحياة , ولا ذكر لهم عند الناس , يقول [1] :

هيا إلى العلياء , لا تبغي سوى		حسم الصراع ولا تدعه قريرا
إن الذي ألف الحياة ذليلة		كيف الحياة بها يكون جديرا
يا إخوتي هل للجبان مآثر		فيها يصير إلى القلوب أثيرا

وهذا الشاعر " شهاب محمد " يفخر بنفسه وأهله وأبناء شعبه , تتجمع كل الصفات الحميدة فيهم , فرغم مظاهر العسف والاضطهاد , تبقى إرادتهم قوية صامدة كصمود جبال فلسطين , أقدامهم راسخة ثابتة , لا تزحزحها الأنواء , فهم الشجاعة والإقدام والقيم , يقول[2] :

نحن الأصالة , في أرواحنا ألق		ونحن فينا طباع الخلق تزدحم
وفي إرادتنا الأبعاد ما ارتحلت		فينا المسافات .. أو زلت لنا قدم
أعود أعلنها في كل موقعة		نحن الشجاعة, والإقدام والقيم

ب . إغاثة الملهوف :

الشعب الفلسطيني شعب يتصف بالرجولة والشجاعة، تثور في عروقه النخوة والكرامة ، يهب لإغاثة الملهوف ، وتقديم المساعدة للمعوزين، ومن تقطعت بهم السبل، فذا الشاعر" أحمد دحبور" يصف لنا مشهد طفل ضاع ، يتسارع الجميع للبحث عنه، وآخرون يبحثون عن أهله، يقول [3]:

ضيعه أخوه
وجوم كلها هذى الوجوه
ضعوه الآن في الجامع
ونادوا .. من له ضائع؟
...
عرفنا أنكم لم تعرفوه

---

1 - ديوان محطات , ص 48 .
2 - وثبة للغزال قبلة للقمر, ص 39 .
3 - ديوان كسور عشرية، ص53.

إلى الشرطي، فوراً أرسلوه.

كما يسجل الشاعر" أحمد دحبور" في موضع آخر لوحة تفيض روعة وبهاءً ، عندما يصور سرعة اندفاع الجيران لإطفاء النيران التي هبت ببيت الجيران نتيجة القصف ، وتعريض أنفسهم للموت حرقاً ، فيوقفون اندلاع النيران ، وينقذون طفلة صغيرة ، يقول [1]:

ذرفت السماء دمعة بحجم القنبلة
عندما هرع الجيران والمنقذون
وبعد فوات الوقت،
سيارات الإسعاف،
كانت الأصغر على قيد الحياة
ولم تكن لتفهم
سر الزحمة واختلاف الوجوه.

ويستثير الشاعر " أحمد دحبور" الجميع على النخوة ، ومد يد العون للمحتاجين ، وسرعة تلبية طلباتهم ، يقول [2]:

لن نؤلف معجزةً،
غير أنا بخمسة أرغفةٍ،
سوف نكفي الحشود،
وتتسع الدار حتى يعود إليها العباد،
وتكفي.

وهذا الشاعر" عمر خليل عمر" يبين مظهراً بهياً للتكافل والتعاون بين الجيران وأهل البلدة الواحدة ، يتسارعون من سيكون له شرف المساعدة ، فقد كانوا أهلاً وأقارب ، يقول [3]:

كنا يا ولدي ... أهلاً وأقارب
إن ضاع حمار أو بقرة
قمنا فوراً نتبع أثره
أو شب بناحية الجيران حريق
أطفأناه جميعاً بالجرة... والإبريق.

---

1 – أحمد دحبور ، ديوان أي بيت ، الهاني الثقافية ،غزة ، فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2004 م ، ص100.

2 – السابق ، ص107.

3 – عمر خليل ، مرثية الشرف العربي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، أغسطس، 2001م ، ص 8 – 9 .

ج. التهاني وتبادل الزيارات:

ومن صور التكافل الاجتماعي المنتشرة بكثرة في المجتمع الفلسطيني، صورة التهاني وتبادل الزيارات في المناسبات الاجتماعية المختلفة ، "إن الأثر الذي ينشأ من ظروف اجتماعية طيبة ، أو من نزعات اجتماعية طيبة، هو أثر أدبي طيب " [1]، كما تناول الشعراء صور التعازي، وتقديم العون وتخفيف آلام المرضى والمصابين.

ومن التهاني قول الشاعر" عبد الخالق العف" في التهنئة بالحج وتوديع الحجاج قبل رحيلهم للأراضي المقدسة ، طالباً منهم الدعاء له ولأبناء شعبه في طوافهم ، عسى أن تتنزل عليهم رحمة رب الكون ، يقول [2]:

يا راحلين إلى أرض الحجاز ألا	بلغتم الوجد فيمن ضمه القبر
خيل الكرامة أسرج واقتفى أثراً	تلقاء مكة فيها يجمل السفر
ثم اذكرونا وأنتم في طوافكم	لعل رحمة رب الكون تنهمر

وشارك الشاعر" عبد الخالق العف" أبناء أمته العربية في النوازل التي لحقت بهم ، وأحس بشعورهم وآلامهم ، فصور ما حلّ بأهل بلدة قانا ، إذ امتدت يد القتل لتغتال الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء ، والشاعر هنا يستصرخ الضمير والشرف العربي الذي ماتت فيه النخوة والرجولة ، يقول [3]:

قانا توشي منتهانا بالحرير
فاحفروا اللحد عميقاً
وادفنوا فيه الضمير
كفنوا الشعب الذي
يبكي على قد الرياح

---

1 – ديفيد ديتشس، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة: د. محمد يوسف نجم ، مراجعة د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت، 1967م،ص555.

2 – د . عبد الخالق العف , شدو الجراح , مكتبة آفاق , غزة , د.ت , ص73.

3 – السابق ، ص47.

ويستجير...

بل كفنوا الشرف الأسير

ويدعو الشاعر" رشاد الصغير " إلى عظيم الأخلاق , وإلى الإحسان إلـى الآخـرين حتـى لـو قاطعوك وجفوك, فالزمان كفيل بأن يرجعهم ويعرفوا الصواب من الخطأ, يقول[1]:

وإذا أصبت من الخلائق جفوة دعها على مرّ الزمان تثوب

واعمل بخلات العظام , فإنها نبع بـه ألق الوجود رحيب

ومن مظاهر التكافل الاجتماعي تصوير العلاقة الحميمة بين الأب وأولاده، ومدى ارتباط الأبناء بأبيهم ، خاصة إذا كان الأب بعيداً عنهم لسبب ما ، هذا ما سجله الشاعر" صالح فروانـه" على لسان طفلة تبعث لأبيها المبعد رسالة [2] ، تقطع أوتار القلوب، تتـذكر أيامـه التـي كـان يقضيها معها في منزلهم، وكيف كان يحضر لها اللعب، ويقبلهـا ويـداعبها ويلاعبهـا، وحـين تمرض يسهر على راحتها، يقول [3]:

أبي الحبيب

في كل لعبة حملتها إلىّ في المساء

عند عودتك

أحس قبلتك

في كل جرعة أو حبة من الدواء

كنت تستميلني لأخذها

وحيث لا يفيدني تصنع البكاء

ولا التخفي خلف جدران اليدين

ألاحظ ابتسامتك

وكذلك كان للعطف على الضعفاء والفقراء وذوى الاحتياجات الخاصة نصيب من الشعر الفلسطيني ، فقد دعا الشعراء إلى مد يد العون للضعفاء ومـساعدتهم ، فنجـد الـشاعر" فـرج البرعي" يصور أصحاب القلوب الكريمة التي ترق وتعطف على الضعفاء ، محذراً من الغلظـة

---

1 – ديوان محطات , ص 26 .

2 – المبعد هو: د. عمر فروانة ابن الشاعر صالح فروانة ، حيث أبعدته سلطات الاحتلال إلى مرج الزهور ، فأرسلت له ابنته أيه هذه الرسالة. انظر مفردات فلسطينية، ص42.

3 – صالح فروانة ، ديوان مفرادت فلسطينية ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2004م ، ص42.

والقسوة عليهم، وإلا ستدور عليه الدوائر، ويصبح في يومٍ من الأيام مثلهم ، ويحث على الإنفاق عليهم، يقول[1]:

واعطف على الضعفاء إنــك مــثلهم   ستكون يومــاً موضــع الإشــفاق

واسمح بما لك إن مــن يبخــل بــه   سيعيش في بــؤس وفــي إمــلاق

ويرسم الشاعر " فرج البرعي" صورة لأصحاب الإعاقــة، الــذين يتحــدون إعــاقتهم وعجزهم ، ويعلنون للملأ عن دورهم الإيجابي في مجتمعهم ، وعن رغبتهم في الانخــراط فــي مجتمعهم والتفاعل معه ، فلن تقف الإعاقة حائلاً دون اندماجهم في أمتهم وخدمتهم لها ، فكم من معاق أصبح مبدعاً خلاقاً، يقول [2]:

لا تحــسبوني عــاجزاً أو تنظــروا   بالعطف نحــوي واتركــوا الإشــفاقا

سأعيش فــي أمــل وأخــدم أمتــي   وأكــون فــرداً مبــدعاً خلاقــاً

سأعيش في أمــل وفــي ثقــة ولــن   تبقى الإعاقــة فــي الطريــق نطاقــاً

سأسير فــي ركــب الحيــاة فــإنني   رغــم الإعاقــة أســتطيع لحاقــاً

ثالثاً / الوحدة الوطنية:

لقد دعا الشعراء للوحدة والوطنية، ولتضافر جهود أبناء الشعب وتــضامنهم للوقــوف صفاً واحداً أمام مخططات الأعداء والطامعين ، وترك أسباب الفرقة والتشرذم، فالموقف عصيب والأمر بحاجة للتوحد والإخاء وتنسيق الصفوف ، فهذا الشاعر " سليم الزعنون " يهيب بأبنــاء شعبه ليكونوا يداً واحدة ، حتى يعمَّ الحب ربوع الوطن، وعدم التعصب للرأي والفكر ، فالحوار هو أفضل الطرق لتحقيق الوحدة، يقول [3]:

فلنــسر، فلنــسر، بوحــدة شــعب   يمــلأ الحــب أرضــنا وســمانا

---

[1] – ديوان حديث الوجدان ، ص47.

[2] – السابق، ص29.

[3] – سليم الزعنون ، ديوان وهكذا نطق الحجر، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، ص 138-139.

واتقـــوا الله لـــيس يعبـــد رأي   والحـوار الرشـيد أقـوى بيانـا

ولـــيكن بيننـــا مواثيـــق صـــدق   لـــيس ظلمـــاً بهـــا ولا اذعانـــا

وليكن للخـلاف فـي الـرأي حـدٌّ   يرفض الـضرَّ يحفـظ الإخوانـا

وأشـــداء فـــي العـــدا ... رحمـــاء   بيـــنهم يمكـــث الـــوداد مـــصانا

ويكرر الشاعر دعوته لأبناء شعبه للوحدة والتلاحم ، فالقدس تنادينا وتدعونا للتـضامن ونبذ التنازع والشقاق ، وتفويت الفرصة على الأعداء ، الذين يتربصون بنا الـدوائر، ويتمنـون يوماً يرون فيه شعبنا متناحراً ومتقاتلاً ، يقول [1]:

يـــا أهلنـــا اتحـــدوا فـــي موقـــف أزمٍ   جاروا على القـدس إن القـدس تـدعونا

مـــا عـــاد ينفـــع لا لاءٌ ولا نعـــم   ســـوى إرادة شـــعب ســـوف تحيينـــا

إن يدفعوا لاحتـراب فاحـذروا شـركاً   دومـــاً يـــداعب شـــوقاً فـــي أعادينـــا

إنَّ الـــسفينة فـــوق الـــصخر يـــدفعها   نحـــو الهـــلاك ريـــاح لـــيس تهـــدينا

وتثمر دعوات المخلصين للوحدة والتكاتف ، ويقف الـشعب بجميـع فـصائله متآخيـاً ومتضامناً يقف صفاً واحداً في وجه الاحتلال وممارساته ، ففتح وحماس والجهـاد الإسـلامي ، وغيرها من الفصائل تتوحد ، وتحرم الاقتتال والاحتراب، يقول " سليم الزعنون " [2]:

يتـــسابق الأخيـــار فـــي بلـــدي   فـــــالحق والآلام ترتـــــدُّ

وتعـــود وحـــدتنا إلـــى وطنـــي   فيـــسوده الإخـــلاص والجـــدُّ

---

1 – السابق ، ص130.

2 – السابق ، ص40.

وحمـــاس والقربـــى لهـــا رجعـــت فالمـــــسلمون بواســـــل أُســـــد

هـــــذا جهـــــاد كلـــــه شـــــرف والنـــــار يـــذكي نارهـــا الوقـــد

هـــي دعـــوة قامـــت علـــى أســـس جبـــــارة أحجارهـــــا صُـــــلدُ

ويستبشر الشاعر بهذه الوحدة والاتفاق ، ويرى أنها الأمل الذي يوصل لبر النجاة ، فهي صمام الأمان لصون دماء الشعب ومقدراته ، يقول الزعنون [1]:

والحـــق قـــد هلـــت بـــشائره وعـــسى يزيـــد لرفعـــه جهـــد

والوحـــدة الوطنيـــة انتـــصرت والكـــل بـــالتوفيق يعتـــدُّ

والـــشعب يـــصمد كلـــه ثقـــة مـــا عـــاد فيـــه اليـــوم مرتـــدُّ

ويكثر الشاعر " سليم الزعنون" من الحديث عن الوحدة الوطنية ، وربما سبب ذلـك نـشاطه السياسي ، وموقعه كرئيس للمجلس الوطني الفلسطيني ، المكان الذي يجمـع كـل الفلـسطينيين فصارت هموم شعبه وقضاياه محور شعره ، يبث فيه خلجاته وأحاسيـسه، " أصـبحت القـضية والأحداث المتصلة موضوعاً للشعر، وإنما أعنى ما الذي خلقته من مواقـف وأسـاليب شـعرية ووعي شعري، وإلى أي حد غيرت العطاء الشعري، وبلورت المفهومات والمنطلقات الـشعرية" [2].

ويسجل الشاعر "هارون هاشم رشيد" ، بأن انتماءه لفلسطين ولكل ذرة رمل فيهـا ، ولـيس لحزب أو تنظيم، فالشعب هو التنظيم الذي يجمعه مع غيره من أبناء شعبه، يقول [3]:

الانتماء لكل حبة رملة
بالدم خضبها الشباب الأمجد
" شعبي هو التنظيم " قلت مجلجلاً
فيه نجمع للجهاد، ونحشد

---

1 – السابق ، ص48.

2 – إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة، 2001م ، ص50.

3 – هارون هاشم رشيد ، ديوان وردة على جبين القدس ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، 1998م ، ص 42.

..

نظمت منذ ولدت بين صفوفه

والثأر تنظيمي الذي لا يجحد

ويستمر نهر العطاء يتدفق ، وينبوع الشعر يسيل ، يدعو للوحدة والاجتماع، ونبـذ الفرقـة والاقتتال ، فهذا الشاعر " ماجد الدجاني " يدعو للوحدة الشاملة، والتضامن والإخاء ، والابتعـاد عن الفتنة ومسبباتها ، لأنها مطلب وحلم الأعداء، ويدعوه لنفض رداء الخنوع ، وغذّ السير نحو الخلاص، فالطريق صعبة وطويلة ، يقول [1]:

فـارفعوا أخـوتي البنـاء بزنـد	حمل السـيف صـامدا والمعـالي
وأزيلـوا شـوك النـزاع انبـذوه	واجعلـوا الـود باقـة الاحتفـال
خـصمنا مـاكر يتـوق لنبقـى	نتبـارى فـي حومـة الاحتفـال
دعـوا الفتنـة العميـاء تغفـو	واهملـوا صـوت أعـور الـدجال

***

حكمـوا العقـل والأنـاة وحلمـاً	لا يـشل البنـاء كالارتجـال.
دربنـا اليـوم فـي البنـاء عـصي	فاعـدوا الأعـصاب للاحتمـال.

ويواصل الشاعر حديثه عن الوحدة الوطنية، فقد تنبه الشعب وفصائله لدسائس الأعـداء وعملائهم ، فتوحدوا في وجهه كالبنيان المرصوص ، ليقيموا دولتهم ويشقوا طـريقهم للعليـاء ، يقول [2]:

نمـضي جميعـاً فالفـصائل أخـوة	ومعـاً سـنبني دولـة العظمـاء
خابـت مكائـدهم وخـاب مـرامهم	ما في عيون الـشعب مـن أقـذاء

---

[1] – ديوان قمر على شباكنا ، ص 26 – 27 – 28 .

[2] – السابق ، ص32 .

فأنا ابن هذا الــشعب أعــرف خطــوتي   وأميز لحــن القــول مــن أعــدائي

نمـــضي بمعركـــة البنـــاء ونرتقـــي   بـــالعزم يـــا شـــعبي إلـــى العليـــاء

مهما حاول الأعداء أن ينالوا من الإنسان الفلسطيني فلن يفلحوا، فقــد غــرس الفلــسطيني جذوره في أعماق أرضه، ومهما احلولك الظلام فلابد لخيوط الفجر من الانتشار، وهذا لن يكون إلا إذا وضعنا أكفنا بأكف بعض ، وعاهدنا الله على مزيد من الإخاء والتضامن ، حتــى نغــسل بالدماء الزاكيات ما دنسه الأعداء ، كما يقول الشاعر " كمال غنيم" [1]:

كفى بكفك كي نعاهد ربنا...
إنَّا سنغسل بالدماء الطاهرات،
ووحدة مالطخوا

وهذا الشاعر " رفيق أحمد على " يرى ألا وقت للحــديث والمراحــل ، فــالأمر صــعب والخطب جلل ، فلتتوحد جميع الفصائل وتتشابك أيديها ، ومن أبى ذلك فليتركنا ويبتعد ، فما من مجال أمامنا إلا أن نتفق ، يقول ([2]):

لا وقت فينا للمراحل
فلتشتبك أيدي الفصائل
ولتقترب منا لنخطو نحوها...
وليبتعد عنا المفارق.

والشاعر " رشاد الصغير " يتفاءل خيراً بوحدة أبناء شعبه ، داعياً إلـــى تربيـــة الـــنشء ، وصقل النفوس عليها ، لتصل بنا إلى بر الحرية والانتصار، يقول [3]:

قـــد أشـــرقت عـــن وحـــدة شـــعبية   مزدانـــــة، بـــــتلاحم الأرجـــــاء

لابد مـــن صـــقل النفـــوس بهـــديها   حتـــى ورود النـــصر والجـــوزاء

---

[1] – ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص179.

[2] – رفيق أحمد علي ، ديوان خيوط الفجر، الطبعة الأولى ، 2005 م ، ص18.

[3] – ديوان محطات ، ص19.

ظواهر سلبية

شارك الشعراء أبناء شعبهم في معاناتهم , فقد امتلأ الشعر الفلسطيني على امتداد تاريخه , بألوان من النقد الاجتماعي , وتصدى لتخليص المجتمع من العادات السيئة التي تبدو شاذة وغير مألوفة داخله , ويهدف الشعراء من وراء حديثهم عن هذه العادات السيئة , والآفات الاجتماعية إلى إصلاح المجتمع وتوجيهه , "إن النقد الذي يوجهه الشاعر للحياة عن طريق شعره مبعثه الحب , وذلك الحب الرهيب الذي يستطيع أن يتوغل في أشد الدوافع الإنسانية ظلمة وحطة "[1] .

وتحدث الشعراء عن آفات اجتماعية , مثل : الفوضى والفساد , وانحلال الأخلاق , والغدر والخيانة , والاستكانة والخنوع والقبول بالذل , والغرور والحسد, والغيبة ...

وسأتناول فيما يلي هذه الآفات التي ضمنها الشعراء في شعرهم بشيء من التفصيل:

أولاً / الفوضى والفساد :

لقد حمل الشعراء على الفوضى والفساد , واختلال الموازين , وامتهان المثل العليا , والانحراف عن جادة الصواب , فالفوضى والفساد استشرت بشكل كبير في المجتمع خاصة بعد انتهاء الانتفاضة الأولى , وتوقيع اتفاقية أوسلو وقدوم السلطة الوطنية الفلسطينية , التي استغلها البعض لمصالحه الخاصة , وشاع الفساد الذي نخر جسد هذه السلطة , ولوّن حياة المجتمع بلون قاتم , هذه الفوضى والجنون يصورها الشاعر " علي الخليلي " بأنها تصادر الحياة , وتدعو للجنون الذي يقتل الحقيقة , فيقول[2] :

لم يبق لنا سوى الجنون , أو الفوضى
_ أيها المجانين , تحركوا !
_ أيها الفوضويون , تحركوا !
ولكنني حزين ,
فالجنون يقتل الحقيقة ,
والفوضى تصادر الحياة .

---

1 – ستيفن سبندر : الحياة والشاعر , ترجمة : محمد مصطفى بدوي , مراجعة : د . سهير القلماوي , الهيئة المصرية للكتاب , 2001 م ص 73 .

2 – علي الخليلي , هات لي عين الرضا هات لي عين السخط , مطبوعات وزارة الثقافة , الطبعة الأولى , 1996 م ، ص 175 .

وبسبب هذه الفوضى والجنون يعتصر قلب الشاعر ألماً وحسرة فهو حزين لما يحدث حوله من أحداث تعطل عقل الإنسان , وتمنعه من الإبداع , وتخفي الحقيقة , وتجعل حياة الناس جحيماً لا يطاق .

وينتقد الشاعر " صالح فروانة " مجتمعه , وكيف استشرت فيه الفوضى حتى أصبحت هي القانون , وتحكم جماعة في رقاب الناس , وفي يدها مقاليد الأمور , فتبدلت الألوان , وتغيرت الأدوار , وصار الصادق كاذباً , والكاذب صادقاً , والأمين خائناً , والخائن أميناً , يقول الشاعر صالح فروانة [1] :

لكن قل لي ما دمت عليماً بالألوان

كيف احتل اللون مكان اللون

وتبدلت الأدوار

والفوضى صارت قانوناً

أو ليس غريباً أن يصبح للفوضى قانون ؟

لقد طفت الفوضى على السطح , وانتشر الفساد في كل الأرجاء , وتبدلت الأحوال وتغيرت , وأصبح الكثيرون عبيداً لمآربهم الشخصية , وانصرفوا عن هم الوطن , وهاموا بالمناصب والمراكز , يجرون خلفها ولو على حساب شعبهم، تاركين بلادهم نهباً للمستعمرين , ومؤامرات اليهود , وقد صور الشعراء فترة قدوم السلطة , وتولي كثير من الفاسدين والدجالين من محترفي الوطنية الزائفة مناصب حساسة فيها , جعلتهم يلهثون وراء المطامع والأهواء الشخصية , وإرضاء شهواتهم ونزواتهم الحيوانية , فهذا الشاعر" المتوكل طه" يصف لنا حياة بعض الوزراء في السلطة الوطنية الفلسطينية , كيف يعيش في النعيم يأتي لمكتبه في وقت متأخر بعد نوم عميق في الفندق الأثير , وقضائه ليلة ساهرة يبحث عن إشباع شهوته الجامحة, يريد أن يغير ويبدل الموظفة التي تم توظيفها للطباعة فقد ملها , يقول [2] :

من فندق للنعاس اللذيذ يجيء

على وجهه ما تبقى من حمرة زائدة

يلف بعينيه , يبحث عن لبن في العذارى

---

[1] – ديوان مفردات فلسطينية , ص40 – 41 .

[2] – المتوكل طه , حليب أسود , منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين , مطبعة أبو غوش , الطبعة الأولى 1999 م ، ص 62 .

فقد ملّ آخر من تم توظيفها للطباعة

في مكتب الوزارة .

لقد انكب في مزالق الغواية والضلال , واندفع في مهاوي الرذيلة والانحلال , وتهتك في المجون , يبحث عن لذته هنا وهناك , يدور بعينيه كالذئب المفترس , أضاع الأمانة وفرط فيها , همه إشباع رغباته وشهواته , وامتلاء بطنه ,فيصفه " المتوكل طه " في موضع آخر وقد جاء الليل يجلس في أفخم المطاعم وأرقاها , يحتسي الويسكي بثلج يذهب عقله , ويزيده غواية ورجساَ, حتى يرى نفسه القائد الأوحد , يقول [1] :

يذهب للمطعم الأرجواني

يدلح في جوفه كأس ويسكي بثلجٍ

ليفتح أنفاسه للطعام

ويبدأ بالقضم واللضم

يشرب كأساً

ويبقى إلى أن يري نفسه قائداً للجموع .

هذه صورة لجانب من الفساد الذي استشرى في بعض وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية ، والذي أسفر عن وجهٍ كالح لهؤلاء المفسدين , الذين يخدعون غيرهم بدعاوى الصلاح وإدعاء الوطنية , ويدعى أنه القائد الفذّ الذي لا يشق له غبار , وقد وصل انتقاد الشعراء للثورة , فقد صب الشاعر " سليم الزعنون " سهام نقده اللاذع على هؤلاء الفاسدين الذين يتلاعبون بالثورة , ونعتهم بالذئاب التي تعدو في ساحتنا , ويرجع سبب تماديهم في ذلك إلى السكوت عنهم والتغاضي عن أفعالهم البشعة بحق الثورة , وحق الشعب والوطن , ويطالب بضرورة محاسبتهم والحسم في ذلك , كي يتوقف طوفان شرهم , يقول[2] :

يا من يراقب وجه ثورتنا   إن الذئاب بحقلنا تعدو

إن الفساد بها يواكبه   ذاك النفاق ومالها صدٌّ

إن التغاضي اليوم أخرنا   والحسم في حدٍّ هو الحدُّ

فلابد من الحسم مع هؤلاء , والضرب على أيديهم ليكونوا عبرة لغيرهم , ولا يسترسلوا في عبثهم وفسادهم واستهتارهم بحقوق أبناء شعبهم , وتخريب الثورة .

---

[1] – السابق , ص 64 .

[2] – ديوان وهكذا نطق الحجر , ص46

وينتقد الشاعر محمود درويش ما وصلنا إليه من واقع مرير , مستخدماً الرمز في شعره , حيث لا يظهر في الأفق بوادر أمل , ولا يرى في نهاية النفق إلا نفقاً آخر , بسبب عدم وضوح الرؤيا , واللهث وراء مصالح لا تسمن ولا تغني من جوع , فهو يصفهم بخداع الشعب , وترك الوطن مثخناً بالجراح , ويصور حالة الفلسطيني المشرد في بقاع المعمورة , وقد خانه الدليل وأخطأ العودة إلى الديار , فهو لا يرى بصيص أملٍ للعودة وتحرير البلاد , يقول[1] :

أنا هدهدٌ – قال الدليل – نحن قلنا : نحن سرب من طيور

ضاقت بنا الكلمات أو ضقنا بها عطشاً وشردنا الصدى

إلى متى سنطير . قال الهدهد السكران : غايتنا المدى

قلنا: وما خلفه ؟ قال المدى خلف المدى خلف المدى

ويرمز الشاعر هنا للهدهد بهدهد سليمان عليه السلام , الذي أتى بخبر الملكة بلقيس , ولكنه كان دليلاً صادقاً , أما دليلنا هنا فينعته بالسكران الذي ضل الطريق , وتاه فيها مع غيره في سماء لا يعرف لها مدى .

هذا الواقع المؤلم الذي آلت له القضية الفلسطينية بعد توقيع اتفاقية أوسلو، وتنكر الاحتلال لكثير من التزاماته وتعهداته , حدا بالشاعر " معاذ الحنفي " إلى التوجع والألم من مرِّ الحقيقة , التي استيقظ على بشاعتها , بعد أن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة – كما يقولون في المثل – وسقط القناع عن الوجه الحقيقي للاحتلال والاتفاقيات, فانبرى معاذ يقول [2] :

آه من وجع الحقيقة !!! ؟

سقط الحلم

سقط القناع عن الألم

ما أبشع الألم المقيت إذا تعرى في دقيقة !!!

تبدد الحلم , وطارت الأمنيات , وضاعت الدولة والحياة الكريمة التي كانوا يمنوننا بها , لم تتحول غزة إلى " سنغافورة " كما زعموا , لم يتغير واقع الفلسطيني كثيراً , بل ازداد بؤساً , ظل الفقير فقيراً , وانفرد بالثراء جماعة من الفاسدين يمصون دماء الشعب وقوتهم , هذه الخرافة السحرية كما يصفها الشاعر أيضاً ستؤدي بنا إلى الانهيار , يقول معاذ الحنفي [3] :

موت ونيف

وخرافة سحرية .. يا ليته صدق المعرّف ..!!

---

[1] – محمود درويش , ديوان محمود درويش , المجلد الثاني , دار العودة , بيروت , الطبعة الأولى , 1994 ، ص 464- 465 .

[2] – أعلق في ليلك الليلك , ص 95

[3] – السابق , ص 92 .

الانهيار

تلك الحقيقة أننا ماضون صوب الانهيار .

يضعف الشاعر أمام واقعنا المهين , فهو الموت والنهاية والانهيار , وهي صورة تفيض باللوعة والحسرة على ما وصلنا إليه , تعطينا فكرة عن هذه الأحوال المزرية , هذا الواقع الأليم يصوره الشاعر " عبد الخالق العف " بأنه هشيم ورماد , لم يعد علينا بشيء , خابت أمانينا , وضاعت آمالنا بتحقيق حلمنا , يقول [1] :

حصدنا الهشيم
جنينا الرماد
قبضنا الأكف
على رملتين .

هذه هي الحقيقة , واقعنا المرير , انتشر فيه الفساد وانتشرت الفوضى في كل مكان , مزقت البلاد وهدّت قواها , لا يوجد من منقذ لهذا الوضع , كما يسخر الشاعر " عبد الخالق العف " من هذه البلادة والقبول بالواقع الصعب , وتعاظم الفساد ولا من جديد , يقول [2] :

يطل علينا نهار جديد ولا من جديد
ولا من لهيب يذيب الزمان الجليد
فحتام تبقى طيور الصباح
تردد ذاك النشيد البليد
وحتام تبقي الأماني العذاب
رهينة خطو الوليد الوئيد .

ويواصل الشاعر " عبد الخالق العف " تألمه وتوجعه على ما حل بشعبه , يتفاعل مع هموم الناس وقضاياهم , يستجير بالدموع وتسيل الآهات والحسرات لهفة عليه ، يقول [3] :

وأنا المتيم يعتريني الصمت
يكوي أضلعي لهب الخضوع
وأستجير من التوجع بالدموع
وتنزف الآهات من لهفي عليك .

---

1 – شدو الجراح , ص 45 .
2 – السابق , ص 45 .
3 – السابق ، ص 23 .

ينتقد الشاعر النظام القائم على كبت الحريات ، وتكميم الأفواه ، في عالم يتـبجح بالمدنيـة والحضارة والحرية ، فالصمت يعتريه ، والخضوع يكوي أضلعه ، والسياسيون يمنعونـه مـن الكلام ، ولكنه يرفض ذلك " لكن مهمة الشاعر لا تبيح له أبداً أن يضع فنه تحت رحمة السياسة، وإلا نفر منه الناس ، ولم يتقبلوه ولم يسمعوا لشعره " [1] .

واهتم الشعراء بقضايا الفساد التي سادت في مجتمعهم ، وسجلوا ذلك في شعرهم ، فهذا الشاعر " أحمد دحبور" يصف السنين التي سبقت انتفاضة الأقصى بأنها عجاف ، عقيمة لم تـأتِ بخير على الشعب ، انتشر فيها الفساد ، وتطاول المفسدون ، ولكن هاهي الأرض تـنهض مـن جديد ، تثور وتنقض على تلك السنين القاحلة، فتنبـت قمحـاً وخـصباً لأبنائهـا المخلـصين، يقول [2]:

هل يواسيني الدم الشاهق أم يحنو عليّ ؟
بل تفور الأرض قمحاً،
بعد سنوات شبعت عقماً وملحاً فاسداً.

ويصور الشاعر " توفيق زياد " هذا الزمان الصعب تصويراً دقيقاً ، فقد تبـدلت الحقـائق ، وساد الشك والريبة ، واستشرى الظن ، يقول[3] :

في الزمان الصعب ينمو الشك
والريبة تزداد ،
وتستشري الظنون
فاحذروا يا أيها الناس
دكاكين المساحيق
و(تسفيط) الكلام
والصنانير التي
يلقى بها في البحر
بعض الأدعياء التافهين .

---

1 – الحياة والشاعر ، ص 139 .

2 – ديوان " أي بيت " ، ص93.

3 – ديوان أنا من هذي المدينة ، ص 114 .

ويعود الشاعر ليتحدث عن هذا الزمان الصعب ، الذي كثر فيه المرتدون ، وأصحاب النفوس الضعيفة ، وأصبح التصيد للآخرين والصيد في الماء العكر صنعة يعتاش منها الفاسدون ، والتقلب على كل شكل ولون ، والرقص على كل الحبال فناً يبتغى ، يقول [1]:

في الزمان الصعب ينمو الشك ،
والريبة تزداد ،
وتستشري الظنون
وعلى أعقابه ينكس مرتداً
ضعيف العزم والإيمان..
نحو اللا يقين
ويصير الصيد في الماء العكر
مهنة مربحة.
في الزمان الصعب تضحي البهلوانيات ،
والرقص على الحبل
فنوناً رائجة .

ويسجل الشاعر " سليم الزعنون" وصفاً دقيقاً لفساد الأحوال ، وتردي الأوضاع التي وصلت إليها البلاد في تلك الفترة ، فقد انقلبت الأمور، واختلط الحابل بالنابل ، يقول [2]:

سهم العداوة أقسى ما يهددنا — والفاسدون غدوا، ندا، وأقرانا

والكاذبون بطانات معذبة — للشعب تجلب أسقاماً وأحزاناً

والجاهلون قضاة في محاكمنا — والصادقون غدوا، زوراً، وبهتاناً

ويدعو الشاعر" خضر أبو جحجوح" إلى عدم التعجب والاستغراب ، فلقد تحول حال المجتمع من شدة انتشار الفساد إلى مستنقع مليء بالأوساخ والقاذورات، والإنسان المخلص يبحث له عن بقعة صالحة فلا يجد ، يقول [3] :

1 – السابق ، ص 91 .

2 – ديوان وهكذا نطق الحجر، ص146.

3 – خضر أبو جحجوح ، ديوان عرس النار، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص12-13.

لا تعجب يا صاح إذا علقت

في شصك ضفدع

فلقد ألقيت الصنارات بوحل المستنقع.

وهذا الشاعر " صالح فروانه" ينتقد من بدّلوا جلودهم، وتحولوا من ثوار يغلي دم الثأر في عروقهم ، إلى تجار وسماسرة همهم بطونهم وفروجهم ، يقول [1]:

وحينما ينقلب الثوار تجاراً

وينشر الفساد في البلاد

فليحفظ الله البلاد والعباد

ويسدد الشاعر " صالح فروانه " سهام نقده اللاذع على المفسدين، الذين انغمسوا في مواكب الرذيلة ، يقول [2]:

لكنهم من شدة انتمائهم لموكب الرذيلة

وشهوة الشموخ تزكم الأنوف

تراجعت طلائع الفضيلة

وعشعشت عناكب الخريف في العقول

ومن الآفات الاجتماعية التي تعرض لها الشعراء بالنقد والهجوم ، ضياع الرجولة والوفاء ، وإغضاب وجه اللّه، فقد تبدلت الأحوال وأصبح الكثيرون يسعون لبناء السعادة على أنقاض شقاء الآخرين، وعصيان الخالق من أجل الثراء والغني وهذا ناتج من انتقالنا من مرحلة إلى مرحلة " انتقال الأمة من طور إلى آخر يغير من نظم الحياة عندها ، فتستقر بعد الاضطراب وتغني بعد الفقر، وتغير كثير من تقاليدها الاجتماعية، وربما فشا فيها اللهو والعبث، وانحلت مقاييس الأخلاق"[3] ، لذا يقول الشاعر " جمال قعوار " مبيناً ذلك [4] :

أسفي على زمن

تضيع به الرجولة

والأمومة

والوفاء !

---

1 – ديوان مفردات فلسطينية، ص15.

2 – السابق ، ص31-32.

3 – أصول النقد الأدبي ، ص84.

4 – جمال قعوار، ديوان شجون الوجيب ، مؤسسة الأسوار، عكا، 1998م، ص41.

ويجد فيه البحث
عن إغضاب وجه الله
من أجل الغنى
والأغنياء

يتأسى ويتأسف الشاعر على هذا الزمن الذي تبدلت فيه القيم ، وتغيرت العادات والتقاليد، فلم تعد تعرف معاني الرجولة والأمومة والوفاء ، ويحمل على أولئك المترفعين والمتكبرين الذين يلهثون وراء الغنى والمال من أي مصدر كان.

ويسجل الشاعر " خضر أبو جحجوح" نقده للأوضاع التي وصلت إليها مدينة غزة ، وانتشار السفور والتبرج في الشوارع ــ خاصة بعد انتهاء الانتفاضة الأولى، وقدوم السلطة الوطنية الفلسطينية ــ حتى ليخال الإنسان نفسه في مدينة "تل أبيب" كما يصورها الشاعر[1]:

ريري..ريري
ريري
والقلب عصافيرٌ،
وحماماتٌ، وصقور،
ونور، .. ، ونمور،
وأسود، .. في قفص
مذبوحة...
أأنا..؟ أأنا..؟
أأنا في غزة..،
أم في تل أبيب المخمورة حتى العري
العريانة حتى العهر.

ويصور الشاعر" رفيق أحمد على" كيف مرّ عليه أحد هؤلاء واقترب منه كثيراً ولكن لم ينتبه ، بل كانت عيناه مشغولتين في متابعة مفاتن الفتاة التي كانت بالمكان، يقول[2]:

وصار مني قاب قوسين أو سهمين
لكنه مع ذاك لم يطرح السلام!
عيناه في البنان واليدين

1 – ديوان عرس النار، ص76-77.

2 – رفيق أحمد علي، ديوان النقش على الهواء ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، غزة ، الطبعة الأولى 1999م ، ص142.

منها وفي الصدر والنهدين

فهذا خروج عن سنن الوقار والحشمة المعهودة في بلادنا الطاهرة المقدسة، فلابد من اتباع سبل الأخلاق الكريمة ، التي دلنا عليها الدين الحنيف ، وعدم الانجراف وراء الزخارف والإغواءات ، والمحافظة على قيم مجتمعنا وعاداته وتقاليده.

ثانياً / الغدر والخيانة:

تناول الشعراء بنقدهم الغدارين والخائنين، خاصة غدر الصديق لصديقه، ونكرانه لجميله، حيث انكشف عن وجهه القناع الحقيقي، ولم يجده حين طلبه، بل نكص وهرب، وقد وجه الشاعر" أحمد دحبور" سياط نقده إلى هؤلاء الأخلاء غير الأوفياء ، يقول[1] :

وظن في خله الوفي أخاً

فكان خلاً .. وعزّ مشربه.

من أي بحر أتى وقاربه

من خشب الوهم.. كله عقد؟

كان يعتقد في صديقه أخاً له ، يلبي نداءه عند الحاجة، ولكن الحقيقة غير ذلك، يهرب منه و يتركه في محنته وحيرته، لقد هان عليه صديقه فغدر به ، ولم يقف معه في ضائقته، هنا يعود الشاعر أحمد دحبور ليؤكد أن الصديق هو من يفدي صديقه بكل ما يملك ، لا من يتخلى عنه باحثاً عن مصلحته في مكان آخر ، يقول[2]:

وأين خلي الوفي؟

ذاكرتي تدعو،

فيدعو لها.. ويبتعدّ !

من لم يجئني أوان أطلبه

فلم يكن مرة معي، وقاربه

لغير بحري .. ولست أفتقد

يتحسر الشاعر على صديقه ، متسائلاً أين الوفاء ، مازال يتذكره، ولكنه يقرر الحقيقة الراسخة بأنه لن يفتقده ويبكي عليه ، لأنه قد خان وغدر بصديقه، ولم يأته أوان طلبه ، وقاربه

1 – ديوان أي بيت ، ص37.

2 – السابق ، ص38.

لغير بحره، ويعود ويكرر الشاعر " أحمد دحبور " تلك الحقيقة متحسراً متألماً على هذا الـــصديق الذي تركه وباعه مقابل منصب حقير أو مغنم تافه، يقول[1]:

يا مستحيل الرؤى أأنت وفي؟
أم أنت خل الجنون ،
تسكن في رعد
وخير الجنون ما يَعِدُ..!

وحذر الشعراء إلى جانب ذلك من غدر الزمان، وتبدل الأحوال، فلم يعد الزمان زمانـــاً، ولا الأهل أهلاً ، ولا الدار داراً ، فلم تعد للفرحة حياتها، انقطعت الأواصر، وستدور علينا الـــدوائر فحاذر، يقول " سميح القاسم "[2]:

فحاذر.. وحاذر
زمانك وغد وغادر
تنح .. وغادر
إلى حيث ألقتْ..
فلا الأهل أهل .. لا الدار دار .. ولا أنت أنت..
وما من أواصر
تدور عليك الدوائر
عليك تدور الدوائر

فالزمان وغد وغدّار ومتقلب ، وقليل هم المخلصون فيه، الذين يحفظون الود والجميل، لذلك ترى سياط الشاعر" سميح القاسم" تلسع جلود الأوغاد والخونة الغدارين . ويستخدم الشاعر " كمال غنيم " الرمز ليجلّي لنا صورة ناكري الجميل، الذين يخونون من قدّم لهـــم المعـــروف ، يقدمها لنا الشاعر " كمال غنيم " قائلاً [3] :

ولم تمر ساعتان
إلا وأسفر العراك عن ذويئب رضيع
أصر صاحبي على حماية الجريح
***
وكلما نصحت صاحبي الرقيق

---

1 – السابق ، ص39.

2 – ديوان ملك أتلانتس، ص39.

3 – د. كمال غنيم ، شهوة الفرح، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى، 1999م، ص43- 45.

أدار وجهه

وراح يذرف الدموع

***

ودارت السماء دورتين

وعندها أظلنا الربيع

واستيقظت عيون صاحبي من نومها الفظيع

لم تبصر الخيول والقطيع

بل أبصرت بحيرة من العظام والنجيع.

ينتقد الشاعر هنا الغدر والخيانة ونكران الجميل والمعروف ، فهؤلاء قد فقدوا القدرة على التعامل مع الناس ، لا يحسنون إلا لغة الخيانة والغش ، أوقعهم الشيطان في حبائله ، وزينت لهم أنفسهم حب الشهوات ، فباتوا يغدرون بالجميع ، حتى من أحسن إليهم وقدم لهم المساعدة ، وهذا هو ديدنهم وطبعهم لا يتخلون عنه ، فهم مثل العقرب كما يصورهم الشاعر " جمال قعوار " في قصيدته التي يستخدم فيها الرمز ، يقول [1]:

العقرب تمتطي ظهر الضفدع

لتعبر الجدول

لسعتها

فقالت الضفدع: سنغرق معاً

قالت العقرب: أجل فهذا هو طبيعي .

وبعض الناس كالعقرب تلسع بمكر، من صفاتهم المكر والخديعة، وأمنياتهم ذهاب الخير عن الجميع حتى عن أنفسهم، يسفرون عن وجه كالح، لا يحب الخير للناس ولا لأنفسهم، ونجد الشاعر " جمال قعوار" يعود ويؤكد أن هذه الصفات أصبحت موضة العصر ، يفتخر بها أصحابها ويعتزون بها ، أما قيمة الوفاء فهي أمر الضعفاء ، يقول[2]:

الخيانة كبرياء العصر

والغدر موضع اعتزاز

أما الوفاء فأمر الضعفاء

ولقد أضحت ظاهرة العملاء والخونة من أشد الآفات الاجتماعية فتكاً بالأمة ، وتحطيماً لآمالها ، وإفساداً لشبابها ، فقد حرص المحتلون في كل زمان ومكان على التغرير بأصحاب

---

1 – ديوان شجون الوجيب ، ص 140 .

2 – السابق ، ص135.

النفوس الضعيفة ، الذين باعوا ضمائرهم، وقتلوا روح الوطنية في نفوسهم، لكي يصنعوا فئة من العملاء والخونة، تنخر في جسد المجتمع، وتنشر الفساد والرذيلة ، وتكون عيناً على الشرفاء والمخلصين، ترصد تحركاتهم وهمساتهم ضد أسيادهم ، هذا هو ديدن الاحتلال فوق كل أرض يطأها.

وقد ابتلى الشعب الفلسطيني بهذه الآفة على مر العصور، فمنذ الاحتلال البريطاني للأرض الفلسطينية سعى جاهداً لإسقاط العديد من أبناء البلاد في حبائله ، ليتعاونوا معه ضد أبناء شعبهم ، ويقوموا ببيع أراضيهم والتخلي عنها ، وقد اتّبع العدو الصهيوني سياسة المحتلين من قبله ، في تجنيد العملاء والجواسيس ، وإسقاطهم في براثن العمالة والخيانة ، حتى يتم لهم توطيد حكمهم واحتلالهم للأرض، وقد استخدم في سبيل ذلك العديد من الوسائل، منها: الإغراء بالمال والمنصب والجاه، أو بالنساء الجميلات ، أو بالمخدرات بأنواعها ، وذلك بإيقاع الضحية وتصويره ثم تهديده بالفضيحة إذا لم يتعامل معهم، إلى غير ذلك.

وقد حرص الكثير من مخلصي هذا الشعب على التخلص من هذه الآفة الخطيرة، من خلال نشر الوعي الوطني ، وبيان مخاطر العملاء على الشعب، والتحذير من الوقوع في مصائد "الشاباك" [1]، وملاحقة العملاء ومحاسبتهم وكشفهم وتعريتهم أمام الناس ، ومع قيام الانتفاضة الأولى ، ومن ثم انتفاضة الأقصى أخذت هذه الآفة في التقلص شيئاً فشيئاً بسبب افتضاح أمر العملاء وتعقبهم ، ولكنها على كل حال يبقى لها أذناب وذيول في بعض النفوس المريضة والضعيفة، التي لا يهمها أمر الوطن وأمنه.

ولقد تنبه الشعراء لهذه الآفة الفتاكة، فأخذوا يطاردونها، ويفضحون أصحابها ، وينبذونهم من بلدهم ، ويذمونهم في شعرهم.

فهذا " هارون هاشم رشيد" يلهب بسياط شعره ظهور العملاء والخونة، ويكشف دورهم النجس، في تعقب المجاهدين والمناضلين ، يتسترون كخفافيش الظلام ، ويطعنون الشعب في خاصرته بأعمالهم الجبانة ، يقول [2] :

الغـــادرون وراءنـــا كثـــروا   والخـــائنون أمامنـــا كثـــروا

جبنـــاء ، تحـــت الليـــل خطـــواتهم   فـــي كـــل حـــدب قاتـــل أشـــر

---

[1] – أحد أجهزة الأمن الإسرائيلي ، يسمى جهاز الأمن الداخلي ، متخصص في إسقاط العملاء وتجنيدهم.

[2] – هارون هاشم رشيد ، ديوان طيور الجنة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1998 م ، ص95.

يترصـــــــدون خطــــى شــــبيبتنا جبنــاء مــا بــانوا ، ولا ظهــروا

فـــي الظهـــر ضـــربتهم مـــسددة فكـــأنهم فـــي ظهرنـــا حفـــروا

وحين أقدمت إسرائيل على اغتيال الشهيد المهندس" يحيى عياش" وقف الشاعر " هارون هاشم رشيد" باكياً هذه الحادثة المأساوية ، مصوراً دور العملاء في تلك الحادثة ، إذ كـان لهـم دور واضح في الوصول للشهيد واغتياله يقول (1) :

كيف تغتال ؟ ألا شــلت يــدً دبرت مــا دبــرت خــتلاً وســراً

ويصف هؤلاء العملاء بأنهم معنا يأكلون ويشربون من أمامنا وخلفنا ، يقول (2) :

وإذا العيــون..أمامنــا ، ووراءنــا وإذا البغــاث بأرضــنا يستنــسر

وهذا الشاعر" أحمد دحبور" يحمل على العملاء ، ويتساءل عن دورهم وعملهـم المخـزي الذي ينشر الظلام ، يقول (3) :

من شقوق الوجوه تطل العيون وتبرق
من أي هذا ؟
لماذا العيون تقصّبني، وترش الظلاما ؟

وحياة العميل تتحول إلى ضنك وحزن، وإلى جحيم لا يطاق، فهو يتـوارى مـن النـاس خوف أن يكشفوه ، يبدي لهم الصلاح والتقى ، ويضمر في قلبه الحقد والغل ، يحسب كل صيحة عليه ، من ذلك ما سجله الشاعر " ماجد أبو غوش" (4) :

توارى في الظل
واحذر أن تكشفك الشمس
وأن تلمحك أعين
من كانوا أصحابك

1 – السابق ، ص102.

2 –هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، دار العهد الجديد ، تونس ، الطبعة الأولى ، 1988م ، ص49.

3 – ديون هنا هناك ، ص28.

4 – ماجد أبو غوش ، ديوان قالت لي الأرض ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 1989 م ، ص36.

حياة كلها بؤس وشقاء، يجلب العار والصغار لأهله وأقربائه، أمه تبكي حزينة، وأخوه لا يستطيع الخروج للشارع ، والأبواب التي كانت مشرعة أمامه أغلقت ، يقول [1] :

أمك تبكي في الليل

وأخوك يعود من الشارع

محمر العينين...

وفي وجهك تغلق أبواب

كانت مفتوحة!

وتوعد الشعراء العملاء بالويل والثبور ، والمصير المحتوم بالضرب أو القتل ، وهم في ذلك يصورون واقع مجتمعهم ، الذي رفض العملاء ولفظهم ، وطاردهم في كل مكان ليوقع بهم العقوبة التي يستحقونها ، فها هو ذا الشاعر "كمال غنيم" يصب جام غضبه على العملاء المتاجرين ببؤس شعبهم ، الذين لم يحسوا بجراح الوطن ، ويقول لهم إنَّ يوم الحساب قد حان ، ولا مفر لكم من غضب الشعب[2] :

يا أيها الأنذال هذا سيفنا يشق نحوكم خطاه

يطارد الطغاة والبغاة والعصاة

لا يعرف السكوت

وإننا قادمون!

وخلفنا الزحوف في جنون

ثم ينصحه أن يتوب ويعود إلى صفوف شعبه ، وألا يخاف من الأعداء ، أو من الفضيحة، فالفضيحة أشرف من الارتماء بأحضان اليهود، وأفضل من نهايته الأكيدة على يد الثائرين ، يقول [3] :

واسلك طريق التائبين

وانفض غبار الخوف عنك

فالعار أن تبقى هناك

ما بين سكين اليهود وانتقام الثائرين

---

1 – السابق ، ص36.

2 – كمال غنيم ، ديوان شروخ في جدار الصمت ، آفاق للطباعة والنشر ، غزة ، فلسطين ، ط1 ،1994م، ص142.

3 – السابق ، ص144.

ونتيجة لنشر ثقافة المقاومة ، وزرع روح الفداء والجهاد في نفوس أبناء فلسطين ، بعد انطلاق شرارة الانتفاضة الأولى ، وبعد أن استبان الشعب خطر العملاء وشرهم الماحق ، وجّه لهم الشعب نداء رحمة واستغاثة ، ليتركوا هذا العمل المشين ، وينضموا إلى صفوف الشرفاء ، فتحركت الدماء في عروق بعض العملاء، وأفاقوا من سباتهم العميق ، ونفضوا عن عيونهم الغشاوة ، وأخذوا بإعلان التوبة والعودة إلى أحضان الوطن ، فمنهم من ذهب إلى المساجد ليقف أمام الناس يشهر ندمه وتوبته، وآخرون التجأوا إلى المناضلين ليتوبوا على أيديهم ، وآخرون أرادوا أن تكون توبتهم على شكل آخر، فرأوا أنَّ الذي يغسلهم من عارهم وخيانتهم هو القيام بعمل مشرف ، فأقدموا على الاستشهاد وقتل ضابط المخابرات المسؤول عنهم ، هذا ما سجله الشاعر" سليم الزعنون" [1] :

من ذا سيسعف ضابط الشاباك	قد صار ممدوداً بغير حراك
كم أوقع الأغرار في أحباله	ومضى بهم للبؤس والأشواك
متعاونون استيقظوا من غفلة	وضلالة والكل فيهم باكي
" متعاون" أرداه وسط رجاله	أضحى قتيلاً في عزيز حماك
هي ثورة العملاء توبة عائد	قد سُجّلت فوق الشريط الحاكي
أنا ابن الشعب فاقبل توبتي	يا رب. إني أستحق هلاكي
يا قلة العملاء ثوروا واقتلوا	من كان جندكم من الشاباك

إلى جانب العملاء وخطرهم ، ابتليت أرض فلسطين بشرذمة أخرى من الخائنين والمتاجرين بقضية شعبهم ، وهذه الفئة وإن كانت ترتدي ثوب الوطنية ، وتتستر خلف الثورة ، فإن وجودها لا يقل خطورةً عن دور العملاء ، بل ربما يزيد، فقد مزقت البلاد وهدّت قواها، وقدمتها لقمة سائغة لعدوها ، ليتحكم في مصيرها كيفما يشاء ، من أجل دراهم معدودة ، ومغنم

---
[1] – ديوان نجوم في السماء ، ص 245-246.

زائل أو منصب زائف، وقد واجه الشعراء الفلسطينيون هذه الفئة الساقطة، ناعتين إياها بـأخس الصفات وأحقرها.

والشاعر عندما يصور ذلك فإنه يعبر عن نفسه وعن تقاليد مجتمعه الرافضة لتلك الحفنة من الخونة ،" إن الموضوع العام في الشعر الاجتماعي هو نفس الشاعر من جهة ، وتقاليد مجتمعه من جهة أخرى ، وشعره هو الرسول الأمين الذي يترجم عن أحاسيسه إزاء هذه التقاليد" [1] .

فها هو الشاعر " أحمد دحبور " يفتح قلبه لوطنه ، يحدثه ويبث إليه همومه وشكواه ، ويحاول أن يخفف عنه عندما باعه أشباه الرجال ، والغربان تنهش لحمه أمام سمع الدنيا ونظرها، يقول [2] :

يا جبل المحامل باعك الأشباه

ولكن لا عليك

ولكن حين تنهش لحمنا الدنيا،

على مرأى من الدنيا،

سأفتح راحتي وأطلق الغربان بالشعل.

ويعود الشاعر متألماً على وطنه، يستشعر ما حل به من مصائب ، فقد تكالبت عليه الدنيا بأسرها ، فالعدو يطحنه بآلته الحربية ، وعتاده العسكري المخيف ، وهناك الغربان تنهش لحمه، يقول [3] :

ولكني أحسك بين مذبحتين،

لحمك عالق بمجنزرات الفيل،

عظمك يطعن الأعداء،

والغربان تنهش فيه.

ويحمل " المتوكل طه" على المرجفين والمثبطين ، الذين لا يمدون للوطن يداً ، ويمتصون دماء المقاتلين والفقراء ، ويتسلقون على حسابهم في الصحف والإذاعات، ويصب عليهم الشاعر جام غضبه عندما يصفهم بالنعال التي سينتعلها الشعب يوماً ، وسيقطع هذه الأطراف النافرة ، ويلقي بها إلى مزابل التاريخ ، يقول [4] :

هناك في كل الشعوب جماعة

تمتص من نسغ المقاتل والفقير

---

1 – البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص419.

2 – ديوان أي بيت ، ص127.

3 – السابق ، ص125.

4 – المتوكل طه ، ديوان فضاء الأغنيات ، دار الكاتب ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1989م ، ص 95-96.

وتعتلي موج الإذاعات الموجهة الكثيرة

والصحافة ، إنما هي في الحقيقة عندنا

نعل سنلبسه لنقطع بعض أوحال المراحل

أو غصون نافرات سوف نقطعها

لتطرح كرمة الشعب الظلال

وخمرة النصر الأكيد.

وينتقد الشاعر "عبد الناصر صالح" المتخاذلين والخائنين ، الذين يخدعون النـاس بـسمت التقي ، ويتخفون وراء القناع ، يقول [1] :

والممثل يخفي ملامح ذئب وراء القناع

فمن يرث الأرض يا إخوتي

هؤلاء الذين يخونون

يّساقطون

يبيعون ورد قصائدهم

للملوك الشياطين

من يرث الأرض

أعداؤها المستبيحون

أم حبل سرتها الفقراء ؟

كما حمل الشعب الفلسطيني على الأمتين العربية والإسلامية لتقاعسهم عن نصرة فلسطين ، وتركها نهباً للغاصبين ، ولم يحرك مشاعرهم ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من ذبـح وإبـادة في كل حين ، لقد هان عليهم شعبهم وأمتهم ، وهانت عليهم نفوسهم ، فأقصى ما يفعلـون هـو عبارات الشجب والاستنكار.

من أجل ذلك انبرى الشعراء الفلسطينيون يجلدونهم بسياط شعرهم ، ويصفون ذلك الواقـع العربي المهين ، فنجد الشاعر" محمود درويش" متألماً إلى ما وصل إليه العـرب والمـسلمون ، ويكاد اشتعال كلماته يحرقهم ، فيفتش بين أضلعه فلا يجد مصر ولا فاس ، وتتركه الشام مبتعدة، ويعد العواصم فيرى العواصم كلها زبد، يقول[2]:

كن لجيتارتي وتراً أيها الماء. لا مصر في مصر، لا

---

[1] – عبد الناصر صالح ، ديوان فاكهة الندم، بيت الشعر ، ط1 ، 1999 م ، ص7.

[2] – ديوان أحد عشر كوكباً، ص22

فاس في فاس ، والشام تنأى. ولا صقر في
راية الأهل، لا نهر شرق النخيل المحاصر
بخيول المغول السريعة. في أي أندلس انتهى؟ ههنا
أم هناك ؟ سأعرف أني هلكت وأني تركت هنا
خير ما فيّ: ماضي. لم يبق لي غير جتيارتي.

ويواصل الشاعر ألمه وحزنه ورفضه لهذه المواقف ، ويحمل على الدول العربية وزعمائها وملوكها، لتخاذلهم عن تحرير فلسطين ، يقول [1] :

كيف أكتب فوق السحاب وصية أهلي ؟ وأهلي
يتركون الزمان كما يتركون معاطفهم في البيوت ، وأهلي
كلما شيدوا قلعة هدّموها لكي يرفعوا فوقها
خيمة للحنين إلى أول النخل. أهلي يخونون أهلي
في حروب الدفاع عن الملح . لكن غرناطة من ذهب
من حرير الكلام المطرز باللوز ، من فضة الدمع في
وتر العود. غرناطة للصعود على ذاتها..

ويصور الشارع" أحمد دحبور" ما حصل للفلسطيني المغدور والمذبوح ، بما حصل للحسين في كربلاء ، فالفلسطيني يذبح في كل البلاد ، والقريب يتفرج والصديق تخاذل ، ولكنه كالعنقاء ، يقول [2] :

ولم نزل في كربلاء ،
وإن تنقلت البلاد ،
فغيرت في دربها الأسماء
وأن المنتشين بكأس نصف الليل تبكيهم " أضاعوني" ،
فيضحك منهم الندماء
وأنك واحد يتكاثرون عليك ،
سوف تموت .. لولا أنك العنقاء .

وهذا الشاعر " سليم الزعنون" يصف اليهود بأنهم جبناء ، يحرصون على حياة ، ولكن تخاذل العرب عن الدفاع عن فلسطين ، قد مكنهم منها ، فأحكموا سيطرتهم عليها ، يقول[3] :

---

1 – السابق ، ص9.

2 – ديوان أي بيت ، ص123.

3 – ديوان أحد عشر كوكباً ، ص9.

جبنـــــاء لـــــولا تخـــــاذل قـــــومي يوم قـــادوا واســـتهتروا اســـتهتارا

نحن فـــي الـــدين والعروبـــة شـــعب واحـــــد لا يلـــــين أو ينهـــــارا

نحن في الهـم والمـصائب شـرق فلنسر ... فلنـسر كبـاراً كبـارا

ويقف الشاعر " عبد الخالق العف" ينادي أمته العربية والإسلامية ليهبوا لنصرة فلسطين، فهم أكثر من مليار مسلم ، ولكنهم غثاء كزبد البحر، لا تتحرك فيهم النخوة ، ولا تجـري فـي عروقهم دماء الثأر، يقول [1] :

يا سادتي الكرام
يا مليار يا زبد
ألا تغلي دماء الثأر

ثالثاً / الاستكانة والخنوع:

إنَّ أصعب ما ابتلى به بعض الناس من الآفات الاجتماعية هـو الاسـتكانة والخنـوع ، والقبول بالأمر الواقع ، وضعف الروح الوطنية، وإصابتها بالوهن والتشاؤم، ففي ظل هذا المناخ لا يمكن تحقيق النجاح أو النصر على الأعداء.

وقد انبرى الشعراء الفلسطينيون يحذرون من هذه الآفة الفتاكة، موجهين سهام نقدهم لهؤلاء الذين ارتضوا حياة الذل والهوان، فهذا الشاعر "سميح القاسم" يصوب سياط نقده على الخـانعين والمثبطين، الذين يقفون موقفاً سلبياً لما يدور حولهم، ولا يحركون ساكناً ، فهم كـالقطيع يـساق للذبح راضية خانعة لا تقاوم، يقول[2]:

هنا أنت .. حولك هذا الجدار الكثيف
وهذا الهمود الكفيف ، وهذا الخمود المخيف
وحول جنونك تقع الملايين حول الملايين..
فوق الملايين .. تحت الملايين .. تمضي إلى الذبح .. قطعان ماعز
وتولد للذبح قطعان ماعز

1 – ديوان شدو الجراح ، ص35.

2 – ديوان ملك أتلانتس ، ص38.

الشاعر يستثير فينا النخوة والرجولة، ويرفض الخمود والهمـــود المخيـــف، لا يريـــد قطعان ماعز تذبح دون مقاومة، يمقت ذاك المثل القائل(حط رأسك بين الروس، وقول يا قطّـــاع الروس) ، لابد من التحرك والاعتراض والمقاومة وعدم السلبية، كما يصور الشاعر " محمـــود درويش" الخانعين بأنهم يفكرون بقلوبهم، حياتهم صارت كلها مألوفة، ينعمون بكسلهم، لا قيمـــة لأوقاتهم ، ولا لحياتهم ، يسيرون من غير غاية، يقول [1]:

ويفكرون بقلوبهم. عادوا من الأسطورة الكبرى لكي يتذكروا
أيامهم وكلامهم، عادوا على المألوف فيهم وهو يمشي
فوق الرصيف ويمضغ الكسل اللذيذ ووقته من غير غاية
ويرى الزهور كما ترى الناس الزهور. بلا حكاية.

ويصب الشاعر "علي الخليلي" جام غضبه على الذين يرضون بالهوان والاستكانة ، ويقبلون الرضوخ واستمراء الذل، فهم لا يحركون شيئاً، ولا يثورون ولا يفور في عروقتهم دم ، قبلـــوا بالسلبية المفرطة ، مستسلمين لأبعد الحدود ، قانعين بواقعهم الذليل، يسجدون لقاتلهم ويعتـــذرون إليه مما قصروا في حقه، يقول "علي الخليلي" [2]:

لا تعتذر الرصاصة بعد أن تخترق الكبد
ولا تتلطف الكارثة
ومع ذلك ، يقوم من ترابه
رجل مات مرة،
ويسجد لقاتله
فإذا بصق في وجهه عصفور عابر
قال: رزقي على الله
بشارة.
وقال : قانع بما أتاني
كما قنع الأجداد
ليموت مرة ثانية.

---

1 - ديوان محمود درويش ، المجلد الثاني ، ص424.

2 - ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، ص63-64.

ويستمر الشاعر في نقده اللاذع لهذه السلبية والخضوع، والاستسلام للقتل المريح دون ضجر ولا تمرد، ويتساءل من علّم هذه الرقاب والأعناق الإقبال على المقصلة مطمئنة خانعة ، يقول [1] :

لتسألوا قاتلنا

من علم الأعناق

أن تطمئن دون غاية لها للمقصلة ؟

وقال أن السنبلة

مجهولة الهوية

وهي التي ينام في جذورها التراب والعشاق؟

فلماذا حياة الذل والمهانة ؟ وإلى متى قبول الاستكانة ؟ أليس عيباً أن نبقى هكذا ؟ فلينتفض النائمون الخانعون، ولينفضوا عنهم ثياب الرضوخ والهوان، وليكونوا مثل السنبلة التي إن ماتت فحبوبها ستملأ الوادي سنابل.

ويسجل الشاعر" المتوكل طه" نقداً جارحاً إلى المثقفين الذين يؤثرون السلامة والصمت على ما يجري في مجتمعهم ، ويرفضون أن يتخذوا موقفاً جدياً، يعلنون رفضهم وعدم قبولهم بما يدور على أرض فلسطين، ولو بإعلان الإضراب عن الطعام ليوم واحد ، ليسمع العالم أنَّ في فلسطين من يقول لا ، ويرفض موتها الصعب ، يقول[2]:

لا تعترفوا، فإني سأعترف ملء القاعة التي يفثأها الجوال

الملون، بأننا آثرنا السلامة أو التعالي أو الصمت ، أو اتخذنا

موقفاً يقوم على قراءة مستترة ، يشع ظاهرها ، وقبرٌ داخلها...

لنؤثر السلامة من جديد .

فهل ثمة مثقف كبير أو كبير يعلن إضراباً ليوم واحد عن

الطعام ، أو يحمل كلمتين على مفترق الصحافة الفضولية،

ليقول للعالم إنَّ في فلسطين من يرفض موتها الصعب ، أو تقول

الملائكة في قارعة السماء: هناك من يجوع يا الله.

إنها صرخة من قلب شاعر آلمه ما وصل إليه حال المثقفين في المجتمع ، وهم صفوة المجتمع ، والحاملين لواء إنارة الطريق للسائرين، ينشغلون عن هموم مجتمعهم، وآلام شعبهم

---

[1] - السابق ، ص 158-159

[2] - المتوكل طه ، الرمح على حاله ، مركز أوغاريت الثقافي ، رام الله ، الطبعة الأولى، 2004م، ص51.

بالبهارج والمناظر، واقتناء الجوال الملون، وإذا ما اتخذوا موقفاً فإنــه يكــون موقفــاً مخجــلاً كالقراءة الصامتة المستترة ، كما يصفها الشاعر

ومن النقد الاجتماعي لهذه الآفة ما يوجهه الشاعر " أحمد دحبــور" لــبعض شــباب اليــوم المخنثين كما ينعتهم ، واندفاعهم في مهاوي المدنية الحديثة، وتهتك بعضهم في المجون، وذهابهم في مزالق الغواية والضلال، وعدم شعورهم بواجباتهم نحو مجتمعهم ووطنهم، وهدفهم في الحياة اللهاث وراء الموضة واللباس والبهرجة ويصفهم بأنهم ليسوا رجالاً بل أشباه رجال، يقول [1]:

مرق المخنث، في خواتمه الأصابع بضّةٌ،

وخواتم الفرح المحلل فضةٌ،

والريح عطر فارسي يقلب الأمعاء،

جاء يقوم الأسماء فانتقص الرجولة فيك.

رابعاً / الفقر والبطالة:

عاش الشعب الفلسطيني في هذه الأرض المقدسة تحت سطوة الغزاة ، وابتلاه الله بالمعتــدين منذ قديم الزمن، وها هو اليوم يرزح تحت ظلم الصهاينة وعنجهيــتهم، ويتعــرض لألــوان المعاناة وشتى صنوف القهر، وبسبب الاحتلال وممارساته تحولت حياة الفلسطيني إلى حيــاة قاسية، صعبة، محدودة الرزق، وأصبح الكثير من الفلسطينيين تحت خط الفقر، يعــانون آلام التشريد والمصائب، ولا يجدون قوتاً لأولادهم أو ما يسدون به جوعهم، وتحت هذه الظروف ارتبط الشاعر الفلسطيني بشعبه، وعاش معه المعاناة، وعمقت هذه المعاناة فيــه الإحــساس بكل ما يشعر ويحس به إخوته الفقراء، " فهو يستمد أدبه من حياة مجتمعه" [2] ، لذلك انبروا يصورون حياة الفقراء وبؤسهم، ولكنهم رغم كل ذلك ما هانوا وما ضعفوا في وجه جلاديهم ، بل ظلوا صامدين صابرين رغم الحصار ورغم الجوع والتضييق، كما يشيد بذلك الشاعر" علي الخليلي" [3]:

ماذا تقول لنا الخصور الناحلة؟

نمضي ويقهرنا الفتات،

بلى لنقهر في مجاعتنا

---

1 – ديوان " أي بيت "، ص13-12.

2 – الأدب وفنونه، ص43

3 – على الخليلي، سبحانك سبحاني من طينك طوفاني، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى، 2003م، ص82

الجبال الذاهلة.

ويصور "على الخليلي" علاقة الفقير بأرضه ، فهي مائدته التي يأكل منها، تعلمه الصبر والقناعة، وإذا أصابها القحط والجفاف ظل وفياً لها، مخلصاً في حبها، يتحمل الجوع، والموت صابراً محتسباً، يقول [1]:

الأرض مائدة الفقير، لها السلام
فإن تخاطفها الجذام
وأنكرتها حكمة الوطن الجميل
تحصنت بالجوع ، واختمرت من الزاد القليل
لها القناعة والوداعة والوئام
لها الندى
وله المحاريث العصية والمجاعة والرؤى

ما أقسى هذه الظروف التي يقع تحت وطأتها البؤساء ! وما أعظم مصيبتهم ! فهذا الشاعر " سميح القاسم " يصور حالة رجل فقير جائع ، لا يجد طعاماً يأكله ، ولا بيتاً يؤويه إلا من صفيح ، لا يدري به أحد، ولا يحس بمعاناته إنسان، يقول[2]:

رجل من صفيح
على مقعد من صفيح
يمد يداً للطعام
رجل جائع من سنين
ضائع في الرنين
صدئ مهمل في الركام

ويصور الشاعر ما يختلج في صدر الفتى الفقير ، وما يجيش بخاطره من حنق وألم ، وهو يرى نفسه يحمل كرت الإعاشة ، يقتات على الفتات التي تقدمه له وكالة الغوث ، فلا تسمن ولا تغني من جوع ، يقول[3] :

يجوع صبي المجاعة
وسمعاً وطاعة
يجوع

---

1 – السابق، ص7.

2 – سميح القاسم ، ديوان القصائد ، المجلد الثالث ، دار الهدى ، الطبعة الأولى ، 1991م ، ص 581 .

3 - السابق ، ص 440 .

وليس لكرت الإعاشة ليس لكرت الإعاشة

في جبنة الغوث موت صغير

(وبئس المصير)

ويكابد الفقير الآلام والأوصاب ، ويكتوي بنار الفقر والحاجة ، فهذا الشاعر " سميح القاسم " يقدم لنا وصفاً دقيقاً لحياة الفقير المشرد قائلاً [1] :

تعثرين علي

فقيراً ضريراً :

ينوح التسول في شفتيه

وبين يديه تموت الأماني

وإذا شئت

قد تعثرين علي

قتيلاً غريباً

على طرف الغابة الآفلة

وجهه مائل للشروق

يداه على جمرة هائلة .

ويفتخر الشاعر " توفيق زياد " أنه خرج من بين صفوف الفقراء ، وأنه واحد منهم عاش معهم ونشأ بينهم في حواري مدينته ، وتنقل بين بيوت الفقر ، والأماكن العصية على الكسر ، يقول [2] :

أنا من هذي المدينة

من حواريها الحزينة

من شرايين بيوت الفقر

من قلب الثنيات الحصينة

ويدعو الشاعر أبناء شعبه للثبات على المواقف ، والتمسك بالمبادئ ، فذلك سيصنع لهم فجراً محققاً ، كله حلاوة وورود وعيش سعيد ، يقول [3] :

أيها الناس الحزانى

أيها الشعب المناضل

هذه الأعلام لن تسقط

---

1 - السابق ،ص 474 – 475 .

2 - ديوان أنا من هذي المدينة ، ص 29 .

3 - السابق ، ص 28 .

ما دمنا

نغني

ونقاتل

***

بلد يحلم بالخبز

وبالكتب

وبالعيش الشريف

والسكينة .

ويصور الشاعر " المتوكل طه " حياة الفلاحين الفقراء ، الذين يقتاتون على ما تجود به أرضهم ، فهم لا يملكون من حطام الدنيا إلا عرقهم ، وبعض ما تدره ماعزهم ومواشيهم ، يقول[1] :

والزاهر حراث ، في عقد طيني ، يربط بغلته

تحت صفيح مهترئ ،

لا يملك من هذي الدنيا

غير حطام العرق الناشف ،

والزوجة تحلب عنزتها

وتجبن ما يبقى للبن ،

وتخبز كردوشين مع الفجر وضعفهما للعصر ..

وقبل النوم وبعد النوم تصلي

تفتح كفيها ، وتحملق داعية :

ولد يا ربي

يجبر كسري

.. يا جبار

وتوالت همسات الشاعر " المتوكل طه " تصور حياة الفقراء البائسة ، وتدخل إلى بيوتهم ، تبين ما يعانون من شظف العيش ، ومرّ الحياة ، في حوار بين الأب وابنه ، يأمره بخفض

---

1 - ديوان الرمح على حاله ، ص 138 .

صـــوته لكـــي لا يسمعه الجيران ، ويطلب منه الذهاب للنوم، وأي نوم ؟ إنهم عشرة أشـــخاص يناموون تحت لحاف واحد ، يقول الشاعر[1]:

اخفض صوتك

يسمعنا الناس ويفضحنا الجيران

لكن يا أبتي ..

اخرس . واذهب للنوم ..

ونمت .. ..

ولما كنا عشرة أنفار تحت لحاف واحد

كان أبي يفتح باب الديوان .

ويصف الشاعر " علي الخليلي" حياة الفقراء وصمودهم في وجه أعتى قوة فـــي الـــشرق الأوسط " إسرائيل " ، التي تمتلك أكثر من مائتي قنبلة نووية في مفاعل (ديمونة) في صحراء النقب ، هذا المحتل الذي يسخر من هؤلاء الفلاحين الذين زلزلوا كيانه المسخ ، يقول [2]:

وتسخر من أطفال الفلاحين

أولئك الذين يأكلون خبز الطوابين

في البلاد المسحورة

وينضجون ويكبرون ويزلزلون المبنى المخفي لمئتي قنبلة نووية

في الصحراء

هؤلاء الأطفال الذين تحدوا بصدورهم العارية ، رصاصات العدو ودباباته ، رغم فقرهم وحاجتهم ما هانوا وما ذلوا ، بل صمدوا وكبروا ووقفوا أمام هذا الجيش الذي كان يوصف بأنه لا يقهر .

ويستمر الشاعر " علي الخليلي " في كيل صفات المدح والثناء على هؤلاء الفقراء ، فبرغم حاجتهم وفقرهم لا يمنعون الماعون ، وهم الحفاة العراة ، ومدارسهم مهدمـــة ، لكـــنهم أنبيـــاء وملوك ، يقول [3]:

ولا يمنعون الماعون

وهم حفاة عراة

وهم ملوك وأنبياء

وهم تلاميذ مدارس مهدمة .

---

[1] - المتوكل طه ، رغوة للسؤال ، دار الكاتب ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1992 ، ص 56 .

[2] - ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، ص10 .

[3] - السابق ، ص 10 .

ويحض الشاعر " علي الخليلي " الفقراء على عدم السكوت على فقرهم ، ورفض حياة البؤس والهوان ، والبحث عن حياة عزيزة كريمة ، قائلاً [1] :

ويا ياقوت
نعم ، آن الله يحب الفقراء
وأن الفقراء عبيد الله ،
وأن الأرض حمامة سلم في قفص البشر الفانين ،
وأن السلة
يملأها رأسي ،
فلماذا في الناس سكوت ؟

وما يزال الشاعر علي الخليلي يدعو لثورة الفقراء ، ويرفض القبول بالفقر ، بل سيحفر الصخر بأظافره ، وسيصنع المعجزات ، طالما بقي علم بلاده خفاقاً ، يستمد منه الصبر و السلوان ، يسجل ذلك في حواره مع ولده قائلاً [2] :

يا ولدي
لا تقل أننا فقراء
فهذا العلم يخفق عالياً ، وكاف لإطعام المعد الخاوية
وهذه الهتافات الجميلة قادرة على صنع المعجزات ،
يا ولدي !
سوف نحفر الصخور بأظافرنا ،
وسوف نأكل التراب،
وسوف نتدثر بالرايات.

ولكن رغم دعوة الشاعر " علي الخليلي" الفقراء إلى رفض الواقع وعدم القبول به، والثورة في وجه الاحتلال، يعود ويؤكد لنا حقيقة مهمة وهي أن الفقراء والشعب كله لن يتمكنوا من التحكم بمصيرهم وتحدي مغتصبي أرضهم، إلا إذا أكلوا من غرس أيديهم، واعتمدوا على أنفسهم، وهذه الحقيقة تنطبق على الأقطار العربية والإسلامية، يقول[3]:

يا أيها المقهور والمكبوت،
سمعته
نادي صداه من حشاشة السكوت

---

1 - السابق ، ص 154-155 .

2 - السابق ، ص 107 .

3 - السابق، ص165.

في هدأته

لن يملك المقتات هذا القوت

حتى تصعد البذرة من تربته

فيّاضة بالنور،

حتى يشرف الحجر

كأنه قُدَّ من الصبح،

ومن خمائل السحر.

ويرسل الشاعر " يوسف المحمود " تحية للفقراء والعمال، فهم المشاعل التي تضيء الطريق، ولأنهم وحدهم يحملون هم الوطن ، بعد أن اقتلعهم العدو من جذورهم ، وشردهم في الأرض، فطوبى لهم على صبرهم وصمودهم. يقول [1]:

طوبى للضعفاء ، لأنهم باسمك يفتتحون أناشيدهم

طوبى للفقراء لأنهم وحدهم يقيمون هذا الزفاف، ولأن أيديهم

تقرع أبواب الشموس

والعمال طوبى لهم

لأنهم ينعفون القمح للحساسين التي تلفها أسيجة الليل

لأنهم دائماً ينشدون للنهار.

وعن حالة الفقير وبؤسه وحديثه مع نفسه، يقدم لنا الشاعر " كمال غنيم" صورة للفقير وهو يبكي من ملهبة الجوع، ويروح ويجيء هنا وهناك لعله يجد ما يسدُّ به رمقه، ولكن دون جدوى، فيحدث نفسه: لو كان هذا الفقر رجلاً لقتلته، حتى لا يعذب الفقراء والمساكين ، يقول[2]:

لم أسمع غير أنين الخطوة تتلوها الخطوة

وصرير الليل يدوي في الأذنين

وبكاؤك ينبت في جوفي

ويردد قولك:

" لو كان .. قتلته"

وتسيل الدمع فوق الخدين.

---

[1] – ديوان زغاريد على بوابة الصباح ، ص 96.

[2] – ديوان شهوة الفرح ، ص99.

ويأتي فصل الشتاء على الفقراء، فيلفُّ الظلام الأرض، ويزمجر الريح والرعد، وتجرف السيول التربة والبيوت ، وهيهات لبيوت الفقراء أن تصمد في وجه ذلــك كلــه، فهــذه الريــاح الهوجاء مثيرة للفزع والخوف والرعب ، تقتلع البيوت من جذورها، هذا الفــصل الــذي يــسعد الناس بقدومه، ويستبشرون عندما يهطل المطر، يحمل معه البلاء والمآسي لــسكان المخيمــات الفقراء ، لذا تسمع توجع الشاعر " خالد سعيد " لحياة الفقراء أهالي المخيمات ، عند قدوم فــصل الشتاء ، مشاركاً إياهم معاناتهم وبردهم ، يقول [1]:

تطرق الكــوخ رصاصــات البَــرَدْ ... توقظ الطفل الــذي جوعــاً رقــد

يفــزع الطفــل فيهــوي مــسرعاً ... فوق صدري وإلــى كتفــي اســتند

هذا الطفل الفقير الذي لا يجد ما يأكل ، نام باكياً من ألم الجوع، وبعد ما هدأ ونام ، أتى المطر وسقط البَرَدْ على هذا البيت الصغير ، الذي لا يقي برد الشتاء ولا حرارة الصيف، فيوقظ الطفل فزعاً خائفاً ، يهوي على صدر أبيه ليحميه . ويصور الشاعر " خالد ســعيد مــشهداً مــن مشاهد الفقر ، أسرة فقيرة أصابتها السماء بقوتها، فهذه الرياح تعصف ، والرعــود تقــصف ، والسيول تجرف كل ما في طريقها ، والماء يهجم من السقف، فيسقط على خد الطفل النائم، الذي أخذ يصرخ على أبيه وأمه لينقذاه، يقول[2]:

يعــصف الــريح ورعــد قاصــف ... وترى ابني فوق صــدري يرتعــد

يهجــم المــاء مــن الــسقف علــى ... خــد طفــل فوقــه الــدمع جمــد

تأخــذ الطفــل المعنــى رعــشة ... صاح " بابا" ثــم "مامــا" ثــم قــدْ

قلــت هـــاتي ناوليـــه لقمـــة ... فتشت فــي كــل بيتــي لــم تجــد

يـــا إلهــي لــيس يخفــى حالنـــا ... نحــن نحيــا فــي عنــاء ونكــد

---

1 – خالد سعيد ، ديوان حجر وشجر ، 1990م ، ص107.

2 – السابق ، ص108-109

ويصرخ الشاعر " خالد سعيد" في وجه محتليه وأعداء شعبه، الذين ظنّوا أنهم بالفقر سيجعلونه يرضخ لإملاءاتهم وشروطهم، ويقبل بالتنازل عن أرضه وحقوقه، يقول[1]:

لا تظنوا الفقر كابوساً ثقيلاً　　يرغم الشعب ليرضى بالتنازل

خصصوا الدعم "لسوزي" أو"لشولا"　　فبباريس مواخير القبائل

نحن بالقرآن نستكفي دليلاً　　وغنى عنكم وعن كل الشواقل

هذا هو الشعب الفلسطيني رغم حاجته وفقره ، يأبى التنازل والرضوخ، وكيف يتخلى عن هذه الأرض التي تفيّأ ظلّها ، وعاش تحت سمائها، وشرب من مائها، وأكل من خيراتها، هذه الأرض التي كانوا يتقلبون في نعيمها، ويتمتعون بهناء العيش فيها، لن يتركوها ويسقطوا حقهم فيها، فهذا الشاعر " صالح فروانة" يصف مدينة غزة القاهرة الأبية، المكتظة بالفقراء، فهي عاصمة لهم، ولكنها عصية على الكسر، يقول[2]:

يا عاصمة الفقراء

وقاهرة الأعداء

ومرفأ من حملوا منذ النكبة

أمتعة ما اهترأت

ما زال الفلسطيني اللاجئ الفقير محتفظاً بأمتعته التي هاجر فيها، لم يفرط بها أو يبليها على أمل العودة للديار في أي وقت ، فهذا الأمل يخامر عقله، ويعشش في سويداء قلبه ، رغم ما مرّ به من أبشع صور الظلم والجور، حيث ارتكبت عصابات البغي جريمة العصر بحق شعب آمن عزيز، كان منعماً في دياره،والآن أصبح لاجئاً فقيراً يعيش على المعونات والدعم الذي يتلقاه من الخارج أو من وكالة الغوث الدولية ، ويصور لنا الشاعر " صالح فروانة "حياة أسرة فقيرة، رب الأسرة قعيد على كرسي متحرك، تتلقي هذه الأسرة الدعم من إحدى المؤسسات التي ترعى المعاقين، يقول[3]:

والزوج المقعد

يحمله كرسي متحرك

---

1 – السابق، ص25.

2 – ديوان مفردات فلسطينية ، ص34.

3 – السابق ، ص76.

منحته مؤسسة عربية
تتلقى الدعم من الخارج
مع بعض فتات
ما أسرع ما ينفد

ويأتي العيد على الفقير، ولكنه لا يحمل الفرحة للنفوس ، فمن أين له أن ينعم بمباهج العيد، وهو لا يملك ما يدخل به الفرحة على أبنائه، فتتحول أيام العيد لأيام ينتصب فيها الحزن والألم.

ويصف الشاعر "أحمد دحبور" العيد ، وقد حمل معه ذكرى البؤس والأحزان ، فيقول[1]:

من الصعب أو يستحيل
أن أحدد فصيلة ثوب عيدي
كان شيئاً مقلماً
شوالاً مثلاً
أشبه بصوت جارتنا أم فايز
التي تحتضر، والتي
لن تموت قبل أن أشبه ثوب أختي
بشعرها المتساقط

و يسجل الشاعر " المتوكل طه" وصفاً لحال العمال البؤساء، و ما يرزح تحته هذا العامل الفقير من شقاء وبؤس ، وهو يكافح من أجل توفير لقمة العيش لأبنائه، يحمل الصرة ، ويوقظ العصافير في الفجر، وينطلق للعمل والورشة، يقول[2]:

حمل الصرة، وافتتح الباب بأية قرآن
ألقى للشغيلة جملته المعتادة
صباح الخير
وانطلقت بهم السيارة نحو الورشة

ويمتلئ قلب الشاعر" جمال قعوار" أسىً وحزناً ، لما يعانيه العمال في المصانع، فالعامل يقضي ليله شارد اللب يفكر في غده، ويكدح طوال نهاره، ويتحول في العمل إلى مجرد رقم ، يقول [3]:

---

1 – ديوان كسور عشرية ، ص10.

2 – ديوان حليب أسود ، ص58.

3 – ديوان شجون الوجيب ، ص39.

دارت دواليب المصانع
فاستحلت إلى عدد !
ما عدت مسعود بن عبد الله
من أهل البلد !
أصبحت أدعى أربعين !
في مصنع الإنتاج
أدعى أربعين.

لقد أصبحت حياة اللاجئين الفقراء مادة خصبة، يستمد منها الشعراء أروع ما أبدعوا، ولا تزال حياتهم مصدراً للوحي، ونبعاً للإلهام في الشعر الفلسطيني، فقد تحدث عنهم الشاعر" محمود درويش " مصوراً حالهم ، وواصفاً حياتهم التي تتميز بالبؤس والشقاء ، والفقر والجوع ، يقول [1]:

قرويون، من غير سوء، ولا ندم
في الكلام. أسماؤنا أيامنا تتشابه،
أسماؤنا لا تدل علينا تماماً، ونندس
بين حديث الضيوف. لنا ما نقول عن
الأرض للأجنبية حين تطرِّز منديلها ريشة
ريشة في فضاء عصافيرنا العائدة

ما أصعب حياة اللاجئين الفقراء ! وما أكثر ما صبته عليهم الحياة من مآسٍ ومصائب ! حياة صعبة في المخيمات: فقر، وبؤس، وشقاء، ولا مأوى، وشعور بالغربة ، و كأنهم في هذا الكون بلا أصحاب ولا أحباب ، هذه هي الحقيقة الوحيدة التي يصدقها الشاعر "المتوكل طه" ، يقول[2]:

وأقول: هذا الرمل يكذب
لن أصدق غير أوجاع الفقير الصادق الثوري
في ليل المخيم والرصيف.

---

1 – ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً ، ص26 .

2 – ديوان فضاء الأغنيات ، ص79.

ويصف الشاعر خضر أبو ججوج حال اللاجئين، وقد أصبحوا فقراء يبحثون عما يسد رمقهم، ويطفئ لهيب جوعهم ، ويوفر الحليب لأطفالهم ، وهذا العدو يضحك ويسخر منهم ، يقول [1]:

وتحجرت قدماك في
وهم الجياع المرتمين
يولولون ويندبون
ويضحكون، ويهتفون
ويمسحون، ويلعقون
ويفتشون عن الحليب..

والحزن على الشهداء له نصيب من حياة الفقراء، فالشهداء هم الترنيمة اليومية التي يغفو ويصحو عليها الفلسطينيون، ففي كل بيت شهيد ، وفي كل درب جريح أو أسير، والفقراء – كغيرهم من أبناء الشعب الفلسطيني – يبكون ويتألمون لفقدان شهدائهم ، لذا صور الشاعر" أحمد دحبور" فاجعة الفقراء باستشهاد القائد " أبي على مصطفى" ، قائلاً[2]:

إذن ليس دماً هذا،
وليس الخشب الملفوف بالراية نعشاً،
بل هو الرؤية والرؤيا،
هو الخبز الذي نحيا عليه
فتعالوا أيها الجوعى إليه
سيد المشهد لا يرحل،
حتى حين يرديه ابن آذى.

خامساً / الخلافات الحزبية:

لجأ العدو وعلى مر العصور والأزمان ، إلى إذكاء روح الفرقة والبغضاء بين أبناء الشعب الواحد ، حتى يتسنى له التفرد في حكم البلاد، فمنذ الانتداب البريطاني على أرض فلسطين وهو يسعى لذلك بوسائل متعددة ، منطلقاً من مبدأ " فرق تسد" ، وليسهل عليه إحكام

1 – ديوان عرس النار ، ص54.
2 – ديوان أي بيت، ص92.

قبضته على شعب مفكك القوى، واستمر العدو الصهيوني على هذا النهج ، في تقسيم الشعب الفلسطيني إلى فئات وجماعات متفرقة ، تقاتل بعضها الأخرى ، لينهك الشعب قواه، وينسى قضاياه الكبرى، وينشغل بالتناحر والاقتتال، حتى يتمكن العدو من اقتلاعه من جذوره.

على أن الكثير من أهل فلسطين وشعرائها تنبهوا لتلك المكائد والمخططات ، ودعوا إلى التلاحم ورص الصفوف ، ونبذ الفرقة والاقتتال ، وعدم الوقوع في حبائل الأعداء ، وقد دعا الشعراء الفلسطينيون في العصر الحديث لذلك ، فهذا الشاعر " إسعاف النشاشيبي" كان من أوائل من دعوا للتضامن ، ونبذ البغضاء والعداء، يقول [1]:

فدعوا شحناءكم يا هؤلاء وانبذوا البغضاء نبذاً والعداء

إنَّ الاستعمار قد جاز المدى دون أن يعدوه سير عداء

إنَّ هذا الداء قد أمسى عياء فتلاقوه سريعاً بالدواء

إنها أوطانكم فاستيقظوا لا تبيعوها لقوم دخلاء

فاعلموا يا قوم إن لم تعلموا إن عقباكم هلاك وفناء

ويبين الشاعر إبراهيم طوقان أن سبب وقوع الشقاق والخلاف هو الزعامات والأحزاب، التي تحاول حكومة الانتداب إسناد المناصب لبعضها دون الآخر، ليدب الخلاف بينها ويبقى مستعراً ، يقول [2]:

إن قلبي لبلادي لا لحزب أو زعيم

لم أبعه لشقيق أو صديق لي حميم

1 – حياة الأدب الفلسطيني، ص167. نقلاً عن النفائس العصرية ج12/تشرين أول سنة 1990م المجلد الثاني ص 576-577.

2 – إبراهيم طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ، 1993م ، ص217.

لـــــــيس منـــــــى لــــــو أراه　　مــــــرة غيــــــر ســــــليم

غـــــايتي خدمـــــــة قـــــومي　　بـــــــــشقائي ونعــــــــــيم

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً، اسكندر الخوري، وعبد الرحيم محمود الذي يحث في قصيدته "روضٌ داني عندليبه" أبناء وطنه للوقوف صفاً واحداً ، وترك الخلاف والفرقة ، يقول [1]:

بـــاتوا علـــى ليـــل الخـــصام　　وشــــعبهم قلقــــت جنوبـــــه

والخطـــب لا يلقـــي بأحــــزا　　ب إذا يـــدهـــو خـــريـــبـــه

إنـــــا تذوقنـــــا الخـــلافـــ　　فلـــم تـــرانـــا نستـــطيبـــه

وجميعنـــا يـــدري التـــفـــــر　　ق في الشدائـــــد ما عيوبـــه

مـــــا فـــــاز قـــــوم بينـــهم　　خلـــف يدب بـــهم دبـــيبـــه

وفي العصر المعاصر تصدى الشعراء لهذه الظاهرة الخطيرة، ووقفوا منها موقفاً حازماً، يبينون أسبابها ومظاهرها ومخاطرها المدمرة على المجتمع، ويزرعون في النفوس قيم الوحدة والتضامن والتكاتف " فالأديب ليس حزباً سياسياً أو قيادة عسكرية أو حلفاً، بل مؤشر لزرع قيم نتوخاها ونسعى لتحقيقها" [2]، فقد حرص الاحتلال الإسرائيلي منذ أن وطأت أقدامه أرض فلسطين على زرع بذور الفتنة والاختلاف بين صفوف الشعب الفلسطيني، وسعى لتحقيق ذلك بكل السبل، لكن الشعب الفلسطيني وشعراءه تنبهوا لذلك ، وأخذوا يبينون أساليب العدو وطرقه ووسائله ومخططاته.

فنجد الشاعر " المتوكل طه " يحذر من الاقتتال الداخلي ، والصراع الحزبي المقيت،وذلك في قصيدة له بعنوان " ما قالته العرافة للرئيس " ، حيث يوجه حديثه للرئيس بعد انعقاد مؤتمر مدريد للسلام،وانقسام الشعب الفلسطيني لمؤيد و معارض لعملية السلام مع اليهود، فيقول [3]:

---

[1] – عبد الرحيم محمود ، الأعمال الكاملة ، جمع وتحقيق : عز الدين المناصرة ، عمان ، دار الكرمل ، الطبعة الأولى ، 1993م ، ص59.

[2] – مجلة شئون اجتماعية، ص163.

[3] – ديوان رغوة للسؤال ص28-29.

أبشركم باقتتال الجسد
ولا أحدٌ أو أحد
بمرِّ البكاء وموت الولد
أبشركم بالبلد
ولا أي شيء بهذا البلد
سوى القتل سيده والقود
وأن الذي سوف يبقى
سيقتله ذله والكمد.

وهذا الشاعر" عبد الناصر صالح" يصف مروجي الفتنة بالخونة، الذين يزيفون الحقائق ، ويلبسون أقنعة يسترون وراءها قلوباً حاقدةً ، ويفضح الشاعر أساليبهم وطرقهم في بث الفرقة والاقتتال ، يقول [1]:

يسقط عهد الخيانات
زيف الكتابات
أقنعة الحقد،
فلسفة القتل
حظر التجول
حرب الإبادة بين الأشقاء
كذب البيانات والخطب اللغو
سمسرة الفكر والرؤية الضيقة.

ويرسم الشاعر" كمال غنيم" صورة تفيض حزناً وألماً للاقتتال بين الأشقاء، عندما يصوب الأخ إلى صدر أخيه سلاحه، ولكن الآخر يأبى على نفسه أن يرفع السلاح في وجه أخيه ، حتى لا يضحك منهم الأعداء، يقول [2]:

اقبض يديك على سلاحك ... صوّب هنا والليل هالك

لا تخش سيفي يا أخي ... فالسيف يأبى أن يعارك

---

1 – عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 1989 م ، ص115.

2 – ديوان شهوة الفرح ، ص37-38.

أوثـــق يـــدي، كمـــم فمـــي　　　هـــذا أنـــا مرمـــي رصاصـــك

أأرد ســـــــــيفك بالبنـــــــا　　　دق والتهـــاجي بانتهاشـــــك؟

ويـــــروح يـــــضحك غرقـــــد　　　ونتـــوه فـــي أفـــق المهالـــك

شـــلت يمينـــي يـــا أخـــي　　　لـــــو حـــــدثتني باغتيالـــــك

لكــــــن ســــــيهلكني الأســـــى　　　إن ســـال دمـــي مـــن ســـلاحك.

ويبين الشاعر " سليم الزعنون" أن هدف الاحتلال هو إيقاع الفرقة بيننا ، ونـــشر الـــبغض والحقد بين أبناء الشعب، ويحذر الشاعر من الوقوع في مصائد العدو قائلاً [1]:

ورهـــان العـــدو أن نتبـــارى　　　فـــي صـــراعٍ ســـيجلب الأحزانـــا

فـــي احتـــراب مـــع العـــشيرة دامٍ　　　لـــيس يبقـــي مـــودةً أو حنانـــا

فـــاتقوا فتنـــة تطـــيح بكـــل النـــاس　　　وتلقـــي علـــى الـــبلاد الهوانـــا

كـــل مـــن يخـــرق الـــسفينة يغـــدو　　　فاســـقاً مارقـــاً بهـــا شـــيطانا

ويحمل الشاعر " سليم الزعنون" على الدول العربية والإسلامية لانتشار الفرقـــة والخـــلاف فيما بينهم ، فهم يملكون من مقومات القوة الكثير، فعندهم الثروات الكثيرة والموقـــع الجغرافـــي الاستراتيجي ، إضافة للعنصر البشري الكبير، ومع ذلـــك فالتنـــاحر قـــائم بيـــنهم ، والحـــدود المصطنعة سد منيع في وجه وحدتهم ، يقول [2]:

إنَّـــا نبـــاهي عنـــدنا ثرواتنـــا　　　وجيوشـــنا وحـــشودنا، والموقـــع

---

[1] – ديوان وهكذا نطق الحجر، ص138.

[2] – ديوان وردة على جبين القدس ، ص113.

متفرقـــون، ولا ســـبيل لجمعنـــا　　متقـــاتلون، وكـــل يـــوم نـــصرع

هذا علـــى هـــذا، ومـــا مـــن واحـــد　　منـــا يقـــول كفـــى، ولا يترفـــع

ويتساءل الشاعر " عبد الخالق العف" عن سبب التفرق والاختلاف والاقتتال، ونحن يجمعنـا مصاب واحد، وكلنا في الهم شرق، والخطر المحدق علينا لن يفرق بيننا، سيـصيب الجميـع ، يقول [1]:

لم نختلف ؟!
ونبض عروقنا
وشروقنا
من وطأة المنعطف
يرتجف

ويكرر سؤاله، لِمَ عدم الاتفاق، وها هي تباشير النصر تلوح في الأفق ، وقد أخذ الشعب يفيق من غفوته، يقول [2]:

لم لا نتفق
وتباشير الأفق
قد تراءت في سمانا
وتداعت كل أنات الأرق.

والشعب عرف هدفه، وكشف زيف المفسدين والمثبطين، ونفض عـن عيونـه غـشاوة الخوف، وتوحّد في صف واحد، وجمع أمره وسار على هدى وحدة الفكـرة، لـيحطم القيـود ، ويعيد العزة والكرامة، يقول [3]:

وحدتنا صحوة المنطلق
وتلاشى من العيون لهيب الخوف
وانتشلنا من الغرق
وبدأنا ثورة في سما العز تأتلق.

---

[1] – ديوان شدو الجراح ، ص43.
[2] – السابق ، ص43.
[3] – السابق ، ص44.

ويحذر الشاعر "خضر محجز" من الاختلاف والتفرق، وينبه أبناء الشعب من الذين يحاولون أن يوقعوا العداوة بينهم، ويستحضر الشاعر للذهن صورة البسوس التي أشعلت الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب ، يقول [1]:

هذى اختلاجاتي الأخيرة ،
فاحذروا أحلامكم من قبل أن تصحو
البسوس
هذي نصيحة من أضاعته انحناءات الكلام
من الكلام

و يحذر الشاعر " ماجد الدجاني " من الاقتتال والاحتراب، يقول [2]:

درب التصارع يهوي بالبناء وهل   يجدي التحسر أم هل ينفع الندم

ويستنكر عليهم الشاعر الخلاف والفرقة وقد جمعتهم الآلام والآمال، يقول [3]:

يا إخوة الجراح والآمال مرحمة   فيم الخلاف علام اليوم نصطدم

ويحذر الشاعر من المندسين والعملاء ، ممن يحاولون الإيقاع بين الإخوة والأشقاء ، ويفتعلون المشاكل بين التنظيمات والأحزاب ، وينعتهم بالبسوس، يقول [4]:

وعادت إلى الدرب حرب البسوس
وجمر التشهي يُحَرِّق منا الجسد
فكيف تبشرنا بالبلد
وكيف تبشرنا بعد تلك النوازل والقارعات
بذلك الولد.

---

1 – ديوان اشتعالات على حافة الأرض ، ص74.
2 – ديوان قمر على شباكنا ، ص47.
3 – السابق ، ص48.
4 – السابق ، ص83.

ويصور الشاعر أن تلك الخلافات والانقسامات سببها الطمع والجشع الذي تأصل في النفوس ، وعشعش في العقول ، وهذا الخلاف يزيد جرحنا وألمنا، يقول [1]:

ألست ترى كيف شرش فينا الجشع

ألست ترى كلمنا كيف نزّ الصديد وكيف اتسع

ألست ترى أننا نسبق الكائنات الدنيئة في الانقسام

ولو في النزع.

وهذا الشاعر " توفيق الحاج " يستغرب ويستهجن من تقلبات الدهر، فأخوة السلاح والخندق، يتحول أحدهم سجاناً والآخر سجيناً، لاختلافه معه في الفكر والتنظيم ، وذلك حدث بعد مجيء السلطة الوطنية الفلسطينية ، يقول [2]:

سألت الله والفقهاء والثورة

كيف يصير نفس الأخ سجاناً..؟

كيف تقشر الحسرة ...؟

كيف نواجه الأطفال...

إن صدقت مخاوفنا

وحاصرنا..

حصاد الخزي في ... ..

حفرة..؟

وفي نفس المضمار والمجال يتحدث الشاعر " ماجد أبو غوش [3]:

سيكون لنا حكومة

- اخوة منا -

بلكنة غريبة

بعيون جميلة

بأفواه واسعة

وأيد طويلة.

---

1 - السابق ، ص83.

2 - توفيق الحاج ، ديوان تداعيات الخارجي الأخير ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2003م ص65.

3 - ماجد أبو غوش ، ديوان بانتظار المطر ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2004م ، ص9-10.

ويرى الشاعر " ماجد أبو غوش " أن التعصب وهذه النعرات الحزبية قد أغرقت الـوطن ، ولم يعد يجني منها سوى التمزق والهوان ، وأنَّ هذه الأحزاب ومسؤوليها في وادٍ والشعب فـي وادٍ آخر، يقول [1]:

سيكون لنا حزب
يحتار الناظر إليه
يتولى دفته رجل أعمى
إن ابتعد عن عينيك
تحسبه جاء.
سيكون لنا حزب
يجمع عرق الشغيلة
في كاسات البلور
يوحد ألوان الطبقات
له جناحا إوزة
إن اقترب الشارع منه
طار!

سادساً / السجن:

لقد سعى الاحتلال الإسرائيلي إلى كسر إرادة الإنـسان الفلـسطيني وقهـره بالـسجن، وإفراغ رأسه من محتواه الثوري والنضالي وانتمائه الوطني ، لذا أقدمت سلطات الاحتلال علـى إقامة عدد من السجون والمعتقلات ، قام بالإشراف عليها عدد مـن المتخصـصين والخبـراء النفسيين ، بما يضمن تحقيق الهدف الذي أُنشئت له، وتوفير هاجس الأمن الإسرائيلي المقـدس ، ولكن المناضل تحدى هذه السجون، وقاومها بإرادة صلبة لا تلين ، فلم تفت في عـضده ، ولـم توهن عزيمته، فحولها إلى قلاع وحصون ، ومنارات علمية وتربوية ، لتخريج القادة والأبطـال والمناضلين، فتحولت هذه السجون من محنة إلى منحة، استغلها الأسرى لـزرع بـذور الجهـاد والمقاومة، وشحذ الهمم في النفوس لمواصلة مشوار التحرير، وتعرض الشعراء – كغيرهم مـن أبناء فلسطين – للسجن والاعتقال ، وأحسوا بآلام السجين ومعاناته ، وصـوروا حيـاة الـسجن وأناته ، " وبرز من خلف الأسوار الشعراء السجناء يواصلون بالكلمة المقاتلة ما بدأوه في ساحة

[1] – السابق ، ص10.

النزال والمواجهة" [1]، وسأحاول هنا الحديث بشكل موجز عن السجن مثلما نطقت بـه أشـعار السجناء أنفسهم الذين عاشوا تجربة السجن ، فعلقت فـي وجـدانهم، ورسـخت فـي عقـولهم، فصاغوها شعراً .

- الشاعر " المتوكل طه" عانى ويلات السجن ، وعاش تجاربه وآلامه، لكنه يخرج ليـصور لنا السجن بأنه مدرسة لتربية الأبطال، وتخريج القادة، فالمصاعب والمحن تصقل النفوس، وتبين معدن الرجال ، وهو فرصة لتحمل البلاء والشدة ، وترويض النفس على الصبر والجلد، وتعويد الفرد العمل بروح الجماعة، يقول [2]:

السجن يصقل زند الفتوة
يزرع معنى التجلد في الروح
يخلق روح الجماعة في الفرد
يسكب فولاذ صبر الرجال لقلب الجزوع
ويصهر صلصال آدم فينا
لنغدو شلال نور ونار

ويصور الشاعر حياة السجين داخل خيام الاعتقال ، حياة صعبة بئيسة ، تقود إلى العجز والإذلال، ولا تراعي كرامة الإنسان، فالطعام شحيح وقليل، والماء مفقود، ينامون علـى ألـواح من خشب، كأنها لوح غسيل الموتى، عدا البرد القارس الذي ينخر عظـامهم، ولا تمنعـه تلـك البطانيات المليئة بالغبار والأتربة، وفي النهار تحرقهم أشعة الشمس اللاهبة في تلك الـصحراء الموحشة، يقول [3]:

والمدى خيمات عشاق،
وعصفور،
موال رؤاك..
وقليل من طعام في " المجاشات" [4]
ولا ماء هناك،

---

[1] - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني " 1967 – 2001 " ، المؤسسة الثقافية للإرشـاد القـومي ، رام الله ، فلسطين الطبعة الأولى ، 2003م ، ص27.

[2] - ديوان رغوة السؤال ، ص82.

[3] - السابق ، ص74-75.

[4] - المجاشات: هي الأواني التي يوضع فيها طعام المعتقلين . وهي كلمة عبرية .

و" مشاتيح" [1] ترامت لغسيل الموت كانت،
و" البطاطين " غبار وذباب ،
مِزَق لضلوع القمل قدوها،
وفي الليل صقيع ينخر العظم،
وفي الوجه حروق من فحيح الحرِّ..
والصحراء أفعى ذات أجراس
تراها وتراك.

ويصف الشاعر الطريق إلى سجن النقب " أنصار 3" ، والمعاناة التي يجدها الأُسير في الطريق ، فالهراوات تنهال عليه، وهو مكبل اليدين ومعصوب العينين، في هذه المتاهة التي لا يعرف لها آخر ، يقول [2]:

والمدى " شيك" من الأَسلاك والخوف،
وأبراج من الموت،
وجيش في المتاهات،
يخبّ السير مع حقد الهراوات
وغاز الدمع بادٍ للهلاك..

والحرمان أقسى ما يعانيه الأسير، الحرمان من الأَهل والأولاد، وعدم تمكنه من رؤيتهم، يجعل السجين في حالة من التوتر بسبب النقص في إشباع حاجاته الأساسية، ويسجل هنا الشاعر لوحة لشوق الأب السجين لأولاده، خاصة الذين جاءوا للحياة بعد دخوله السجن، فلا يعرف شكلهم ولا صورتهم، وإنما تعرف على ملامحها من الرسالة التي بعثتها له زوجته، فيحاول أن يتصورها ولكن خياله لا يستجيب ويرفض الانصياع له ، يقول[3]:

وأقول؟ ماذا قد أقول؟
وقد حرمت بأن أمسد شعر نّوار
التي وصفته لي امرأتي بمكتوب..
لأني لم أرَ نوّار
فالقضبان والمنفى وهذا الرمل
والأبراج و"الشيك " الطويل المحكم المجدول
يمنعني.

---

[1] – مشاتيح: هي ألواح خشبية ينام عليها المعتقلون . وهي كلمة عبرية.

[2] – ديوان رغوة للسؤال ، ص73.

[3] – ديوان فضاء الأغنيات ، ص107–108.

فكيف يكون صوت الوالد المحروم
من أبنائه الأطفال ؟!
لم يسمع لهم صوتاً
ولا يعرف لهم شكلاً
يحاول أن يشبههم
فيرفض الخيال
يتوه في العينيين والشفتين.

وتأتي الزيارة إلى السجين ، وقد كان ينتظرها بفارغ الصبر، ليتمكن من رؤية عائلته لدقائق معدودة، وهنا يعبر الشاعر عن مشاعره وأحاسيسه في تلك اللحظة، وهو يقف أمام ابنته يناجيها ويحدثها بعينيه، يطير قلبه من الفرح، يريد أن يخلع ذلك القفص الحديدي الذي يحجبه عن ابنته، ويمنعه من مداعبتها وضمها وسؤالها عن أخبارها، يقول [1]:

أقول : حبيبتي ؟!
وترد في فرح : أنا ، وتضمني ..
ويكاد قلبي أن يطير ،
ويخلع القفص المنيع
لكي يسربلها بحبي أو بخوفي
آه يا روحي الصغيرة، لا تنامي
داعبي شعري بكفك،
واسأليني باندهاش
كيف جاءت أختك الصغرى،
وقولي ما حفظت من الأغاني
والأناشيد القصيرة.

ويفتخر الشاعر بالمعتقلين خلف القضبان ، في جميع قلاع الأسر، القابضين على الجمر في زمن الخداع والأكاذيب ، فلن يصدق غيرهم ، هم وحدهم الصادقون، ويصف الشاعر تلك السجون التي يقبعون فيها ، بأنها أماكن لا تصلح للاستخدام الآدمي ، يقول[2]:

ولن أصدق غير جمهورية الأبطال
في اصطبلات خيل " الفارعة"

---

1 - السابق ، ص72-73.

2 - السابق ، ص80-81.

أو مردوان " الظاهرية"

والحظائر في " عناتا"

في الخيام " بكتسعوت"

وفي " مجدو "

في بركسات التجمع في "بيتونيا"

في ظلام قيود " عتليت" الرهيب.

– ويرسم الشاعر " عبد الناصر صالح " صورة للسجن ، وويلاته وعذاباته، فحياة السجين كلها معاناة وضنك ، يعاني الحرمان والعزل بين جدران السجن العالية ، ويهجم عليه جيش من العقارب والأفاعي لتقض مضجعه،وتحرمه النوم ، فإذا أراد الأكل ، رأى الطعام عليه أسراب من الذباب والحشرات ، يقول [1]:

مرتفعات محصنة بالمتاريس

أقبية لعذاباتنا

وعقارب تنخر دفء الأَسِرَّة

(لا يلد الليل إلا العقارب

والحشرات الصغيرة)

جيش الأفاعي يقضُّ مضاجعنا

والذباب المخيم فوق الطعام

– في السجن جيش البعوض يقتحم زنازين السجناء وخيامهم، يقض مضاجعهم ويحرمهم النوم، فهذا الشاعر الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، أقام بينه وبين بعوضة كانت تنغص عليه نومه كل ليلة علاقة وطيدة، ويصور الشاعر من خلال تلك الحادثة حجم المعاناة التي يلاقيها السجناء، يقول [2]:

في السجن لي رفيقة	جميلة أنيقة
قوامها بديع	نحيفة دقيقة
وبيننا أُقيمت	علاقة وثيقة

[1] – ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص47.

[2] – عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، منتدى أمجاد الثقافي ، مكتبة آفاق ، 2005م ، ص80.

***

إن نمـــــت أيقظتنـــــي لقبلـــــــة عميقـــــــة

ولـــو غفـــوت حتـــى أقـــل مـــن دقيقـــة

إن كـــان هـــذا هيامـــاً فبئـــــست العـــــشيقة

فعــــــشقها غـــــرام عجــــزت أن أطيقـــــه

ســـــلوكها غريـــــب لكنهـــــا الـــــسليقة

فـــإن أفقـــت غابـــت لفهمهـــــا الحقيقـــــة

ويسجل الشاعر عبد العزيز الرنتيسي حديثاً يفيض أسى وتمزقاً، وهو يتخيـل ابنـه أحمـد حائراً يهيم على وجهه ، وقد أرقه الأسى والكمد ، فيوجه حديثه له أن يهدأ وينام ، فوالده لازمه الحزن وغادرت الابتسامة وجهه منذ حرم من رؤية أهله، ولكن هذا السجن فتنة من الله ليميـز الخبيث من الطيب، يقول [1]:

لم يا بنـي أراك تبحـث فـي الزحـام لم يا بني أراك تـأرق فـي المنـام

نـم يـا أحيمـد لا تمـزق مهجتـي نم يا أحيمد حيث قـد نـام الحمـام

أنـا يـا أحيمـد لا يفـارقني الأسـى أنا يا أحيمد قـد هجـرت الابتـسام

هـذي الـسلاسل يـا صـغيري فتنـة الله قـــدرها لتختبـــر الأنـــام

---

[1] – السابق ، ص3.

– والشاعر " كمال غنيم " يقف منتفضاً ليعلن اعتزازه وفخره بمن في سجن النقب ، هذه الخيام التي أحالها المعتقلون إلى قلاع للحرية ، وجعلوا من الصحراء اللاهبة بحراً بلا ماء، يقول [1]:

هنا النقب

هنا موج ولا صخب

هنا الصحراء يا وطني

هنا بحر بلا ماء على الأشواك ينتحب.

ويعد الشاعر ليردد كلمة " هنا " ، ويمتلئ قلبه بالأمل ، فيطلقها مدوية تطاول عنان السماء ، بأن دمنا الذي سال وروى تراب فلسطين، سيكون الزيت الذي يوقد ليضيء للسالكين درب النصر والتمكين ، يقول [2]:

هنا النقب

هنا نار ولا لهب

هنا دمنا على قبر سينسكب

لينبت من تراب القبر من ذهبوا

وينمو الورد جنب الشوك، والحنون يلتهب.

ومن أشد أنواع المعاناة حرمان السجين من رؤية أمه ، فحب الأم مغروس في قلب كل إنسان ، يسعى لرؤيتها ومحادثتها والارتماء في حضنها ، والبكاء على صدرها، ولكن السجين محروم من كل ذلك ، ولا طاقة للوصول إليها بغير مناجاتها، كما يصور ذلك الشاعر "كمال غنيم" عندما جاءته أمه في يوم المحكمة ، ورأها من بعيد خلف الأسلاك ، ولكن الجنود منعوها من دخول المحكمة، فلم يرها ، فيسجل ذلك شعراً يسيل أسىً وحزناً [3]:

أمي ناديتك يا أمي ... والسلك الشائك يجرحني

قد كنت هناك على لهفٍ ... ودموع عيونك تذبحني

أمي ناديتك محموماً ... ويداي تلوِّح في وهن

فالقيد يكبلني قسراً ... وذئاب حولي تنهشني

---

1 – ديوان شروخ في جدار الصمت ، ص126.

2 – السابق ، ص128.

3 – السابق ، ص125.

ومـــــــضيت وقافلـــــــة الأســـــرى وعيونــــــك أمـــــــي تتبعنـــــــي

أمـــــــي رحمـــــــاك فــــــلا تبكـــــــي أمـــــــي فبكـــــــاك يعـــــــذبني

– ويصف الشاعر " معاذ الحنفي" حياته وهو في الزنزانة ، ينظر إلى سقفها يتخيله من طـول النظر إليه بأنه يسقط عليه رويداً رويداً ، ينقش اسمه على جدرانها، يمر عليـه الوقـت ثقـيلاً كالجبال، ليل الزنزانة كأنه دهر ماله شروق ، والصمت الرهيب يلتف حوله ويستوطن ظهـره، يقول [1]:

سقف المكان يواصل

نحوي الهبوط

أَعدُّ الليالي دهوراً أصابعها الأخطبوط

أنقش اسمي على السقف

أحصي الخطوط

يستوطن الصمت حولي.

ويصور " معاذ " الحياة الرتيبة في السجن ، تكرر الأعمال في كل يوم، عدد الـصباح، الخروج إلى الفورة، الحر الشديد، أصوات المعتقلين المتثاقلة عند الاسـتيقاظ، رائحـة القيـود، الساحة، الأسلاك، أسوار الحديد، يقول [2]:

عدد الصباح

الفورة ، القيظ المبكر، والرياح

تتثاقل الأصوات عند الصحو

تبطئ المسير

إلى أن يقول:

تتثاقل الأشياء عند الصحو

رائحة القيود، الساحة ، الأَسلاك

أسوار الحديد.

---

1 – ديوان : أعلق في ليلك الليلك ، ص20.

2 – السابق ، ص62–63.

ويوم الزيارة يوم عيد لدى السجين ، ينتظره بفـارغ الـصبر، ليكحـل عينيـه برؤيـة الأحباب، الذين حرم من رؤيتهم ، وملامستهم وتحسس معالم جسدهم ، هذا ما نجده عند الشاعر " معاذ الحنفي" عندما تأتي ابنته الصغيرة"سحر" لزيارته، وتحاول أن تمد أصابعها الصغيرة عبر فتحة شبك الزيارة ، ويحاول الشاعر ملامستها بيديه المتعبتين، يقول [1]:

حطي يديك على يديّ
يداي متعبتان
أضناني السهر
كفراشتين يداك ملأى بالزهر
حطي يديك على يدي
ولامسي وجهي المسيج.
مدي أصابعك الصغيرة
إنني أشتم رائحة البنفسج.

ويتوجه الشاعر إلى من أمضوا زهرات شبابهم في المعتقل، وحكم عليهم جوراً بالسنين الطوال ، متسائلاً عن تلك الأعوام متى ستنتهي ؟ وكم عاماً سيمر عليه ؟ وإلى من سيهدي ويوزع هذه الأعوام ؟ يقول[2]:

تتراكم السنوات
كم عمراً يثور ويشعل الأَشواق
كم عاماً توزع للورود؟
كم عاماً ستهدي للمخيم؟
كم ربيعاً تطحن السنوات
كم.....؟

فلا يعرف الشاعر لأسئلته إجابة، ولا يدرك لها نهاية ، ويبرز هنا مدى ارتباط الـشاعر بإخوانه المعتقلين ، وشعوره بشعورهم .

- ويصور الشاعر " رفيق أحمد على " السجين في زنزانته، يطبق بيديه وأنفه وجبهتـه علـى قضبان شباكها، ينتظر الزيارة التي يتلهف لميعادها ، ويحصي الدقائق والساعات ليوم قـدومها، يقول [3]:

---

1 - السابق ، ص29.

2 - السابق ، ص58.

3 - ديوان النقش على الهواء ، ص123.

والقفل والنافذة الوحيدة!
والأنف و الجبهة واليدان
أطبقن كلهن
على عرى القضبان ينتظرن
زيارة موعودة سعيدة

سابعاً / الموت:

نهاية كل شيء، المصير المحتوم الذي لا مفر منه، قهر الله به العباد، لا ينجو منه أحد ولا حتى الأنبياء، {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [1] ، هذا هو الموت الغائب الثقيل الذي ينتظره كل فرد، تناوله الشعراء في قصائدهم مبينين حقيقته وحقيقة هذه الحياة الفانية ، " يستطيع الشاعر في نطاق الإطار الاجتماعي أن يتأمل موضوعات كالميلاد والموت وضآلة الإنسان بالنسبة للوجود "[2] ، فنجد الشاعر " المتوكل طه " قد تناول حقيقة الموت وطبيعة الحياة كثيراً ، في ديوانه" نقوش على جدارية محمود درويش" ، فيصف هذه الحياة أنها دار للابتلاء والاختبار، ثم نهايتها الموت، وإذا حان وقته لا يمهل أحداً ولا يؤخر من أجله أو يقدم ، وهو لا يفرق بين طفلٍ وشيخ، وغنيٍ وفقير، فعند الموت يتساوى الجميع، يقول [3]:

هذي الحياة مهمة للاختبار،
وخلفها الموت اتباعاً
لا يؤخر أو يزيد
يختار من سقط الكتاب عليه، لا ،
لا يرعوي إن كان هذا الميت
شيخاً أو رضيعاً
فهو سهم
لا يرد ولا يحيد.

---

[1] – سورة النساء ، الآية 78 .

[2] - الحياة والشاعر ، ص 45 .

[3] – المتوكل طه، نقوش على جدارية محمود درويش ، بيت المقدس للنشر والتوزيع ، القدس ، الطبعة الأولى، 2001م ، ص49.

ويصور طبيعة الموت بأنه حلّ للحياة ، حتى تستمر الحياة على هــذا الكــون لا بــد أن يكون هناك الموت ، الذي يأتي كما يقول شفافاً مثل المس، ينزع الروح من الجسد، فيصبح جثــة هامدة بلا حراك، يقول [1]:

والموت حلٌّ للحياة
يجيء مثل المس شفافاً،
وينزع شعلة الألماس،
يرمي سؤرة الموت الرماد ،
ويحتفي بضيوفه .

ويسجل الشاعر ما سيكون بعد الموت من انقطاع للعمل ، ونزول للقبر ، وسؤال الملكين للميت ، عن ربه ودينه والرسول الذي بعث فيهم ، ويؤكد على الحقيقة الدامغة، أن العاقبة هي للمتقين ، الذين أحسنوا في هذه الدنيا ،وأناروها بالطاعات والسجود ، يقول[2] :

قال الشيوخ لأول الأطفال :
هزوا الجذع حتى تسقط الأرواح ،
في القبر المجوف ،
كي يرى الأموات ، في الظلمات ،
من يأتوا إليهم بالسؤال ..
اليوم يسأل كل ميت
ما جنته يداه في الدنيا
وينتصر السجود .

ويبين الشاعر" سميح القاسم " حقيقة الموت ، الذي كتب على كل شــيء ،وأنــه مــلازم للحياة، لا يفر منه أحد ، ويصور الشاعر الموت إنساناً يحدثه ويسأله عن حقيقته ، وعــن سـبب وجوده ، يقول [3] :

يا موت هل كنت من أجلنا أم ولدنا لأجلك
ويا موت .. نطفتنا أنت أم أننا بعض أهلك ؟
ويا موت جرب نجاعتنا في الحياة قليلاً ، إذا أنت أمهلتنا سنكرس
لاسمك كل الجوارح

---

1 – السابق ، ص27.
2 - السابق ، ص 37 .
3 – ديوان ملك أتلانتس ، ص 95 .

ونكتب باسمك أحلى المدائح

تمهل

لعل الحياة قليلاً لأجلك أرقى وأنقى وأجمل

تمهل .. تمهل ..

هذا هو الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات ، يأتي دون استئذان ، يطرق كل الأبواب ، لا يترك وقتاً للتفكير أو الانتظار أو الاعتذار ، سيف مسلط على رقاب العباد.

ثامناُ / آفات أخرى

من أمراض المجتمع التي عالجها الشعراء في شعرهم، وتناولوها بالتحليل والنقد، وبيان أسبابها وطرق علاجها، ظاهرة الغرور، والحسد، والغيبة والبهتان، والحقد، والطمع، وحب النفس، والسرقة وغيرها.

وسأتناول هذه الآفات بالشرح والتعليق:

أ. الغرور:

وهو أحد أمراض القلوب التي تصيب الإنسان فتورده المهالك، وتحجر على عقله، وتعمي بصره. فلا يرى في الكون له مثيلاً، وينظر لغيره نظرة ازدراء وتحقير، هذا المغرور يصبح عبداً لمآربه الشخصية، وأفكاره العقيمة، التي تدفعه بعيداً عن الناس ، فيمقته المجتمع ويلفظه الناس ، وقد تنبّه الشعراء لهذه الآفة الفتاكة، وبينوا مخاطرها وأسبابها، وحضوا على تركها، فهذه هي وظيفتهم، " فالعمل الأدبي ذو المضمون الاجتماعي هو الذي يضيف إلى مجموعة القيم الحاصلة قيمة جديدة قد تلغيها أو تعدل منها"[1] ، لقد سجل الشاعر " كمال غنيم" وصفاً دقيقاً للإنسان المتكبر المغرور مستخدماً الرمز، إذ صوره بالطاووس صاحب المنظر الجميل والريش البديع، ولكن هذا الطاووس لم ينغر بريشه وجماله، بل صاح عجباً وتيهاً بصوته – وصوته غير جميل – وتكبر وأصابه الغرور، فلم يتخيل أحداً في البشر مثله، وهنا يوجه له الشاعر النصيحة بأن هلاك المغرور سريع كلمح البصر، يقول الشاعر [2]:

تجليت للناس تحكي لهم: أيحسب مثلي كباقي البشر؟

---

[1] – الأدب وفنونه ، ص45-46.

[2] – ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص121-122.

وفـــوق الغـــصون بـــسطت الأنـــا وأنّـــت بـــصبر غـــصون الـــشجر

***

تريـــــث! رويـــــدك طاووســـــنا هلاك الغـــرور كلمـــح البـــصر!!

فنــــار تـــــؤزُّ أزيــــز اللظــــى تدمر مـــا اخـــضرّ قبـــل الحجـــر.

هذه حقيقة الغرور ، هلاكه سريع ، وفي الآخرة له عذاب أليم في نار جهنم – وبـــئس المصير – لأنه تعالى وتكبر على خلق الله ، كما أن المغرور ينبذه الناس ويبغضونه، ويـــصغر في عيونهم احتقاراً له كلما ارتفع وعلا عليهم .

وهذا الشاعر "ربحي محمود" يصوب سهام نقده للمغرور، وينعته بأنه مريض نفـــسي أفكـــاره سقيمة، فقد ملّ منه الشاعر وذاق المرَّ من حديثه عن نفسه وأيام الطفولة والرجولـــة والكهولـــة وفخره بذلك، ويطلب منه أن يتركه ويبتعد عنه، ويرحل إلى عالم آخر، يقول (1) :

مللت أغنياتك القديمة
مللت من ضحكاتك الصفراء
من قصص الطفولة والرجولة والكهولة
وذقت مرّ المرّ من أفكارك السقيمة
فارحم وغادر كوكبي
غادر إلى دنياك وارحل..

هذا هو مصير الغرور وصاحبه، فقد حـــصد بعـــض مـــا بـــذرت يـــداه، ونـــال جـــزاءه.

ب. الحسد:

وهو تمني زوال النعمة عن المحسود، والحسد من نتائج الحقد، وهو يؤدي إلى الشقاق وإشاعة الشحناء والبغضاء بين أبناء المجتمع ، بدلاً من الوئام والحب والتـــضامن، ويـــؤدي إلى إراقة الدماء والقتل، ونشر رائحة الموت بين البشر، فهذا الشاعر " جمال قعوار" يـــضع لنا وصفاً جميلاً للحسد مستعرضاً نتائجه منذ بدء الخليقة حتى عصرنا، يقول (2):

[1] – ديوان نقوش على ثوب أمي ، ص29.
[2] – ديوان شجون الوجيب ، ص45.

ما كان يوسف بين أخوته
سوى رمز
تردد منذ بدء الخلق
لم يستثن حتى الأنبياء،
مذ قتل هابيل
تعود وجه هذي الأرض
رائحة الدماء،
باعوا المسيح بفضة
قتلوا الحسين بكربلاء،
خنقوا بيوت الله
فانحسر الدعاء عن السماء
وارتد
مسلوب الرجاء
إلى صدور المؤمنين.

ج – الغيبة والبهتان :

الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره، حتى لو كان فيه هذه الصفة التي يكرهها، فإذا لم يكن فيه الصفة فقد وقعت في البهتان، وهي من الأمراض المدمرة التي تصيب المجتمعات فتقضي عليها، ولقد صور القرآن الإنسان المغتاب بأبشع صورة وكأنه يأكل لحم أخيه ميتاً، فقال تعالى: {... ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه...} (1). وقد انتبه الشعراء لهذه الآفة الخطيرة المنتشرة في مجتمعنا، وحذروا من مخاطرها، وعواقبها على الأفراد، فهي تنشر الكراهية والبغضاء، وتقتل النبل والفضيلة، وتؤدي إلى جفاء الأصدقاء، وترك الأصحاب، وفوق هذا وذاك إغضاب الله تعالى.

ويرسم الشاعر كمال غنيم لوحة فنية للحالة التي وصلنا إليها من كثرة الغيبة وانتشار البهتان، وأكل لحوم الناس ظلماً، فأصبح لا يردعهم رادع من دين ، ولا تزجرهم آية من قرآن، بل صاروا يرتعون في النيران، كما يقول (2):

حذرت،
وقلت لنا: لا يؤكل لحم الإنسان!

---

[1] – سورة الحجرات ، آية 12 .

[2] – ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص205.

لكن الغيبة صارت نسياً منسياً
وتراكم فوق الناس سحبا البهتان
وإذا كان القول: ابتعدوا، ولا تقتربوا،
صرنا نرتع في النيران!

فيجب على المسلم أن ينصب جهده على تطهير نفسه من هذه الآفة الخطيرة، ويعود لسانه وقلبه عدم الغيبة والبهتان، ويتذكر دائماً مصير الإنسان المغتاب في الدنيا وعند الله يوم القيامة، وفي ذلك يسجل الشاعر " سليم الزعنون" عدداً من النصائح ليأخذ بها المرء، مثل عدم الغيبة، وعدم اتباع الحقود، وعدم الانغرار بالمظاهر، ويدعوه ليكون كيّساً فطناً، يقول[1]:

ولا تأكلن لحم امرئٍ متعفف   وصاحب رأي للإمامة راعيا

ولا تطلبن العدل من جوف حاقد   ولا تأخذن في الأمر ما كان بادياً

وحاذر من الأصحاب من كان باذلاً   من الود إسرافاً وكان مغالياً

ومن هذه العادات السيئة هوى النفس، فالإنسان صاحب الهوى يصبح عبداً لهواه، يهيم بحب ذاته، يدفعه هواه المريض إلى ارتكاب كل شيء، في سبيل إشباع نهمه ورغباته، فهو يبيع ويشتري ويظلم دون وازع ديني أو أخلاقي، يكسر القيم المتعارف عليها، كما يقول الشاعر " رشاد الصغير" [2]:

رأيت هوى الناس منذ القدم   عسير الوفاء شديد النهم

يبيع ويشري، بلا .. وازع   يدمر في السر كل القيم

بيته اجتراء على الكائنات   ويظلم حتى تباح الظلم

ويعبر على الناس في منطق   سقيم ينوح عليه السقم

---

1 – ديوان نجوم في السماء ، ص211.

2 – ديوان محطات ، ص38

فهوى النفس قاتل ، يجعل صاحبه وحشاً جائعاً فاغراً فاه ، يبحث عن فريـــسته فـــي أي مكان، يجعله متكبراً ، متعالياً ، متجبراً على خلق الله ، ويظن نفسه على الصواب عندما يبـــرر لنفسه ما يفعله.

الفصـــل الثـــالث

الاتجـاه نحـو قضـايا المـرأة

- المشاركة في النضال والعمل
- تربية الأولاد
- الأم والزوجة
- طبيعة المرأة
- الحب
- أخلاق المرأة

الاتجاه نحو قضايا المرأة والأسرة

لقد تطور وضع المرأة في المجتمع الفلسطيني ودورها في البناء كثيراً عما كان عنه في السابق ، فلم تعد المرأة أسيرة البيت ، تكبلها الأغلال والقيود ، والعادات البالية ، ولم يمنعها جهل بعض الناس وتخلف نظرتهم للمرأة من الانطلاق لتأخذ دورها في بناء المجتمع ، فقد أصبحت قريناً للرجل ، ترتاد معه مختلف ميادين الحياة ومجالاتها ، بل وتنازعه المكانة في الكثير من وجوه الحياة ، وكان للمرأة الفلسطينية هذه المكانة والاهتمام منذ أوائل القرن العشرين، فإن " المرأة الفلسطينية – منذ مطلع العصر الحديث – قد كانت شريكاً فاعلاً في وجوه الحياة المختلفة ، وحظيت باهتمام وحرية مكنتها من الاغتراف من حقول العلم المختلفة، والمنافسة أحيانا على الريادة " [1].

وبدأت شخصية المرأة تنمو داخل الأسرة وفي المجتمع ، وشاركت في النضال الذي تمثل في المظاهرات ، أو الانخراط في بعض التنظيمات السياسية ، وسعت بتقدم سريع على الإقبال على التعليم والحصول على الشهادات العليا ، وتحملت عبء الإنفاق على أسرتها ، وتربية أولادها وتعليمهم ، فهناك العديد من الأطباء والمهندسين والمتخصصين في مجالات العلوم والآداب ، الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه بفضل كفاح أمهاتهم أو أخواتهم ، وإنفاقهن عليهم حتى الانتهاء من دراستهم الجامعية .

وقد واكب الشعر الفلسطيني حياة المرأة في جميع مراحلها ، ووقف مدافعاً عن حقوقها ، وحفل الشعر الاجتماعي في هذه الفترة – عينة الدراسة – بنماذج متعددة تتناول قضايا المرأة ، فقد أكثر من تصويرها بالمرأة المناضلة التي لها دور ريادي في تحرير المجتمع ، فهي تقاتل جنباً إلى جنب مع الرجل ، وشاركته في جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والعسكرية ، والمرأة الفلسطينية بهذا تقدمت وتميزت عن زميلاتها في الدول العربية الأخرى ، وصورها أيضاً بالأم المربية التي تسهر على راحة أبنائها وعائلتها ، وتربي أبناءها على الفضيلة وتغرس فيهم الخلق القويم ، وتحضهم على القتال ، وترسم لهم معالم الرجولة .

ونتيجة لما وصلت له المرأة من مكانة كبيرة في المجتمع الفلسطيني في هذا الفترة – عينة الدراسة – وحصولها على معظم حقوقها ، ومنافستها للرجل في كل الميادين ، فقد ندر في الشعر الاجتماعي الفلسطيني ، أو كاد يختفي الدعوة إلى تحرير المرأة وتعليمها، ومساواتها

---

[1] – د. نبيل أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، دار المقداد للطباعة ، غزة ، ط1 ،2004 م ، ص 97 .

بالرجل ، وحصولها على حقها في الميراث ، فقد أصبحت هذه الأمور من البدهيات ، فلم يحفل بها الشعر الاجتماعي كثيراً . وبعد فإذا كانت تلك الكتابات السياسية قد أوضحت دور المرأة الفلسطينية في مجتمعها ، فأستناول الآن الحديث عن صوت الشعر من هذا الدور.

أولاً / المشاركة في النضال والعمل :

لقد نهضت المرأة الفلسطينية تلبي نداء الوطن ، لتقف في وجه الأعداء ، وتشارك الرجل في النضال والكفاح ، فكان منهن الشهيدة أو أم الشهيد أو ابنته أو أخته أو زوجه ، وكان منهن الأسيرة التي قضت شبابها في السجن ، ومنهن من قدمن أرواحهن رخيصة فداءً للوطن ، أو أقدمن على القيام بالعمليات الاستشهادية يفجرن أجسادهن ببني صهيون ، بعد أن كانت هذه العمليات حكراً على الرجال .

فها هو الشاعر " سميح القاسم " يصور الأم الفلسطينة الصابرة ، تقف صامدة في وجه المحتل ، تعلن التحدي ورفض الاستسلام ، حتى بعد أن يسقط أبناؤها شهداء ، يقول [1] :

تقدموا تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم
وكل أرض تحتكم جهنم
تقدموا
يموت منا الطفل والشيخ
ولا يستسلموا
وتسقط الأم على أبنائها القتلى
ولا تستسلم

ويسجل الشاعر " هارون هاشم رشيد " تحياته للمرأة الفلسطينية في الأرض المحتلة ، التي تحملت الصعاب ، وداست على الآلام ، صرخت شامخة في وجه محتليها ، متحدية إرهاب القتلة ، يقول [2] :

سيدتي ، في الأرض المحتلة ، يا امرأة
أكبر من نساء الدنيا ، تتحدي
إرهاب القتلة

---

[1] – ديوان القصائد ، المجلد الثالث ، ص 405 .

[2] – ديوان ثورة الحجارة ، ص 38 .

وشاركت المرأة في النضال إلى جانب الرجل ، وخاضت معه كل دروب الكفاح ، هذا ما يصوره الشاعر " سليم الزعنون " في وصفه لحرائر شعبه ، اللواتي تصدين بأجسادهن – العامرة بالإيمان وحب الوطن – لمخططات اليهود وكيدهم ، يقول [1] :

وعطلتموا زحف الحديد بفتيـة   بأجسادهم صدوا مع الفتيـات

حرائر شعبي كالرجال تدافعـت   وتقضي انتصار في ربيع حياة .

ويتخذ الشاعر " يوسف المحمود " من الواقع الاجتماعي صورة الصبايا في العرس الفلسطيني ، يفرحن ويرقصن ويزغردن ، وفي غمرة كل ذلك لا يفوتهن الوطن ، ولا تغيب عن بالهن القدس ، فيتحول رقصهن وغناؤهن ترديد لفلسطين والقدس ، ويبشرن بأن النصر آت ، ومهما طال الليل فلا بد له من نهار، يقول [2] :

لك الفجر يصهل خلف الليالي الطويلات
نحو الصبايا يغنين في العرس
يرقصن ....
يهتفن للقدس
يحلفن أن النهار سيأتي
وأن الضياء سيعبر هذه الليالي ..

وعن مشاركة المرأة في الانتفاضة الأولى ، بين الشاعر " عمر خليل عمر " دورها المهم في حث أبنائها على مقاومة الاحتلال ، وتصديهم له بالحجارة وكل ما يملكون ، يقول [3] :

لكن – لم يكن الأطفال بهذا العرس الوطني وحيدين
كانت أم الطفل تشد على أيديه
والوالد من نور الحكمة والوعي يغذيه
....
أطفال في عمر الزهر
وشيوخ في أعقاب العمر
وصبايا تعبق بالعطر

1 – ديوان وهكذا نطق الحجر ، ص 60 .
2 – ديوان زغاريد على بوابة الصباح ، ص 102 .
3 – ديوان مرثية الشرف العربي ، ص 59 .

ويرسم الشاعر " خالد سعيد " صورة حية للمرأة الفلسطينية المناضلة ، التي انبرت تدافع عن ابنها ، حين وقع بين أيدي الجنود ، وهو يسير معها في إحدى مدن فلسطين ، فصاحت بهم ليتركوه ، فأبوا وأصروا على اقتياده وضربه ، فأهوت بيدها وانتزعت حذاءها وراحت تهزه وتلوح به مهددة إياهم ، وأوسعتهم شتماً وتحقيراً ، يقول [1] :

رفعت على جند اليهود حذاءها   سباً وشتماً ما أعز أداءها
قد أرعبت بحذائها رشاشهم   قد صوبوه فلم يهز رداءها
هي لوحته وهددت بحذائها   طغيانهم كي يفلتوا أبناءها
هذا الحذاء سلاح أم أبصرت   نار المذلة أحرقت أحشاءها

والمرأة الفلسطينية ترضع وليدها لبن العزة والكرامة ، منذ أول يوم في ولادته ، تقدمه فداءً لبلادها ، وتقول له : كن رجلاً ومقداماً ، لا تحني للأعداء هامة، هذا ما يصوره الشاعر "هارون هاشم رشيد " في قصيدته المهداة لأم البطل " عبد الهادي غنيم " ابن معسكر النصيرات، بطل عملية الحافلة رقم (405) على طريق القدس ، الذي يواجه حكماً اسرائيلياً بستة عشر مؤبداً ، يقول [2] :

فهناك في حضن " النصيرات " الذي
في الانتظار حبيبة تتوجد
هي أمه من أرضعته رجولة
وبطولة ، وبه تتيه وتسعد
تدري ، بأن طريقه ملغومة
تدري ... ويدري قلبها ، ويعدد
لكنها نذرته منذ وجوده
لبلاده ... وفؤادها يتنهد

تفخر الأم الفلسطينية وتتيه بولدها ، وتباهي ببطولته وشجاعته باقي النساء ويطاول رأسها عنان السماء وهي ترى ما غرسته في ولدها قد أثمر وأينع ، وتتحمل الألم وتصبر محتسبة راضية .

---

1 – ديوان حجر وشجر ، ص 65 .

2 – ديوان وردة على جبين القدس ، ص 24 – 25 .

ولا يقف الحد عند تعرض الرجال للتعذيب والقتل والإهانة ، فهناك من النساء من تعرضت لأبشع أنواع القتل والتنكيل والتعذيب ، فهذا الشاعر " علي الخليلي " يسجل ما تعرضت له هذه المرأة من قتل وإهانة ، إذ انهال عليها جنود الاحتلال بالهراوات ضرباً ، وهي حامل في شهرها التاسع ، ولم تقترف جرماً ولا جريرة يستدعي كل ذلك ، فهي لم تقذفهم بالحجارة ، ولم تشارك في مظاهرة ، ولكن حقدهم الأسود جعلهم يكسرون يدها ويضربونها على بطنها الحامل ، [1] :

أمي الحامل بي في الشهر التاسع ، تتلوى فوق حصيرتها
لما كسروا يدها
لم ترشق حجراً
وانهالوا فوق الرحم بعشرة آلاف هراوة

و يصور الشاعر " المتوكل طه " موت الأم أثناء ولادتها لطفلها على الحاجز العسكري ، حيث لم يسمح لها الجنود بالدخول والوصول للمستشفى، فاضطرت مكرهة أن تضع طفلها على الحاجز وتضحي بنفسها فتموت، يقول [2]:

قال المعلم: أعربوا :
امرأة أتاها الطلق، والدنيا حواجز
والصراخ مع الدماء..
وكان مولوداً معافي.
فأجابه ولد: رأيت ، كما تقول ، دماءها
وسمعت قهقهة الجنود ،
زعيقهم ، موتي..
فأجاءها ملكان من نور زجاجي
وحلّا حولها ، حيناً، وطافا..
لكن ومضة وجهها انطفأت!

وهذا الشاعر " جمال قعوار " يتألم حسرة وحزناً على امرأة أجهضها الغزاة على الطرقات يقول [3]:

قلبي على حبلي

[1] – ديوان سبحانك سبحاني من طينك طوفاني ، ص 20 .
[2] – ديوان الرمح على حاله ، ص49.
[3] – ديوان شجون الوجيب ، ص122.

على الطرقات

أجهضها الغزاة

وهناك من النساء من جدن بأرواحهن وبفلذات أكبادهن في سبيل بلادهن ، وتقدمن في ساحات النزال ، يواجهن بإرادتهن وعزيمتهن دبابات الأعداء ، فسقط منهن الشهيدة التي وقفت لا تخاف من العوادي ، هذا ما يقوله الشاعر " سليم الزعنون " في قصيدته " الشهيدة أريج الجبالي " حيث قالها الشاعر في رثائه للشهيدة في ديوان آل الجبالي أمام عدد كبير من ذوي الشهيدة والمهنئين باستشهادها [1] :

نساء لا تخاف من العوادي	وأطفال تحن إلى القتال
شهيد الله حي في ممات	وكم أحياء ما خطروا ببالي
ويا أم الشهيد فذاك فخر	جمال الروح في أبهى كمال

وإن لم تستطع الأم أن تخرج لمقاومة الاحتلال ، فإنها تزرع بذور الثورة والنضال في قلب ولدها ، وتحضه على القتال ، وترضعه العزة والكرامة ، وتأبى عليه السقوط أو الانحناء ، بل الشموخ والكبرياء ، كما يصور ذلك " عبد الكريم السبعاوي " [2] :

كل سجيلة من ذراع صبي مقاتل
تقول له الأم
جف على فمك الثدي
فأرضع حليب الزلازل
وإما سقطت على الأرض
فانهض وقاتل
وانهض وقاتل
وانهض وقاتل

ويلبي الابن رغبة أمه، ويعود إليها مضرجاً بدمائه، قد سقط شهيداً وهو يقاوم، فماذا تفعل الأم في مثل هذا الموقف ؟ تفعل ما تفعله خنساوات فلسطين ، تعلي الزغاريد وعيونها ملأى بالدمع على مهجة روحها ، الذي سقط شهيداً رافع الرأس ، شامخاً كالطود ، مقبلاً غير مدبر ، هذا ما يسجله الشاعر "كمال غنيم " [3] :

---

1 - ديوان هكذا نطق الحجر ، ص 115 - 116 .

2 - ديوان متى ترك القطا ، ص 25 .

3 - ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص 138 .

لا تسألوني عن مدامع عينها
إن جئت والدم ينزف في الوهاد
قد شنفت آذانكم زغرودة
تحكي عن الفرح المغمس بالعناد

وهذا الشاعر " يوسف المحمود ، يصور نساء فلسطين الأبيات ، يتجمعن حول أم الشهيد يصبرنها ويعزينها على فراق ابنها ، وحناجرهن تنطلق بالزغاريد افتخاراً بالشهيد ، يقول [1] :

والزغاريد افتتاح العرس
تطلقها النساء
لما التراب يعانق الدم البريء
ويبتدئ وقت العطاء

وتظل أم الشهيد رمزالسخاء ، ونهراً يتدفق بالبذل والعطاء ، تدفع أبناءها لساحات القتال ، تحضهم على النزال ، يقول الشاعر " عمر خليل عمر " [2] :

سقط الطفل الأصغر ... يا أمي في لمح البصر
صرخت أمه ... ولدي ولدي
قم يا ولدي وازرع في الكفين حجر

ويأتي العيد على أم الشهيد حزيناً ، فقبل قليل كان ولدها وصغيرها يلهو ويلعب ويطارد العصافير ، اختطفته يد الغدر ، ليمسي تحت التراب ، وتتلفح هي بالسواد في يوم الفرحة والسرور ، وتذهب إلى قبره لتزرع وردة على قبره الصغير ، يقول الشاعر " ماجد أبو غوش " [3] :

المرأة بالثوب الأسود
ماذا تفعل في يوم العيد ....؟
تسير ببطء
تسير بحزن
إلى وردة زرعتها

---

[1] – ديوان زغاريد على بوابة الصباح ، ص 42 .

[2] – ديوان مرثية الشرف العربي ، ص 71 .

[3] – ديوان بانتظار المطر ، ص 28 .

على القبر الصغير !

ويصور الشاعر " عبد الخالق العف " قاتل الأطفال والصغار بالشيطان ، وكأنه يختطف هذا الملاك من بين أحضان أمه ، فيدمي قلبها ، ويترك فيه جرحاً ينزف كمداً وحزناً ، يقول [1] :

شيطان يختطف ملاك

ومريد يجتث " شهيد "

والعوسج يدمي الأم

ويدمي الأخت

ويترك جرحاً ينزف

هذا الملاك يحمل لأمه لتلقي عليه نظرة الوداع ، وكأنه العريس في ليلة عرسه، والأم تردد اسم ابنها وقرة عينها ، هذا ما يذكره الشاعر " صالح فروانة " في وصفه لامرأة استشهد ابنها " زكريا " وحمل إليها لتودعه وهو ملفوف بالكفن ، ليأخذ بعدها للمقبرة لدفنه ، فيقول [2] :

حملوك ملاكاً يتهادى في ليلة عرس

والأم تردد أغنية

كتبتها منذ الثامن من كانون

تلهف خلف الفارس محمولاً فوق الأعناق

زكريا

ولدي

يا قرة عيني

يا نور صباي

ويصور الشاعر " صالح فروانة " مشاعر الأم الفلسطينية أم الشهيد فارس عودة ، عندما احتضنت رأسه وضمته إلى صدرها، فهدأت براكين الغضب التي بداخلها ، وشاهدت على ثغره الصغير ابتسامة بريئة تسخر من قاتليه ، يقول [3] :

وبعدما تلف رأسه في صدرها

وتهدأ الجراح

تقص أم فارس

---

1 – ديوان شدو الجراح ، ص 21 .

2 – ديوان مفردات فلسطينية ، ص 11 – 12 .

3 – السابق ، ص 67 .

بأنها رأت
على شفاهه الصغيرة
بقية من ابتسامة الصباح

تلك هي أم الشهيد ، تحملت الصعاب ، وداست على الآلام ، وكظمت حسرتها بداخلها ولم تبد للأعداء ذلاً أو انكساراً ، فهي أم كباقي الأمهات تحجب أولادها وتخاف عليهم ، وتحزن إن أصاب أحدهم مكروه ، ولكنها أم مثالية تتميز عن غيرها من الأمهات بصبرها وتجلدها ومقاومتها الاحتلال وفي ذلك يقول الشاعر " توفيق الحاج " [1] :

أم .. ككل الأمهات
أم .. وأي الأمهات ؟!
كانت تبعثر ظلها لتطيل عمر
الأغنيات .

ويصور الشاعر هارون هاشم رشيد ابنة الشهيد تفاخر وتباهي زميلاتها بأبيها ، وتجعل من استشهاده وسام شرف تضعه على رأسها ، فهي تشعر أن لا أحد مثلها في الوجود ، فأبوها بذل روحه رخيصة لدينه ووطنه ، يطلب جنة ربه ونعيمها وما أعده الله للشهداء ، يقول [2] :

أنا بنت الشهيد ، ومن كمثلي ببذل أبيه ، معتزاً تباهي
أبي بالروح جاد ، فما يبالي بما بعد الشهادة ما تلاها

وتواصل المرأة مشوارها النضالي ، وتشارك الرجل في مواجهة الاحتلال وتتعرض للسجن والاعتقال ، وتبقى صورة المناضلة الأسيرة " أحلام التميمي " وزميلاتها الأسيرات مثالاً للفتاة التي تحملت عبء الكفاح ، والصمود في وجه الأعداء ، فلم يزدها التعذيب والسجان إلا صلابة وعناداً ، يقول الشاعر " كمال غنيم " [3] :

رأت في الله إخوتها تباروا فشدت باللثام على الجمال
وفاضت بالجحيم على الأعادي تجدد في الرجال هوى الرجال
(نسيبة) أشرعت معها سيوفاً و(خولة) جيش جيش المحال

---

[1] – ديوان تداعيات الخارجي الأخير ، ص 91 .
[2] – ديوان طيور الجنة ، ص 120 .
[3] – ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص 209 .

وإن لم تكن المرأة هي الأسيرة ، فهي أم الأسير التي تتحرق شوقاً لرؤية ابنها ، وعودته من دياجير السجون ، هذا ما يسجله الشاعر " هارون هاشم رشيد " لصورة أم الأسير " منذر الدهشان " الذي يواجه حكماً بالسجن ثلاثة مؤبدات ، فيصورها مختالة فخورة بابنها البطل الذي أذاق الأعداء ويلات العذاب ، وأقض مضاجعهم ، فهي تزغرد وتلوح بمنديلها فخراً وحباً وحناناً، يقول [1] :

أمك يا حبيبها

قد زغردت ، ولوحت منديلها

مختالة ، يقطر منه الحب والحنان

يعطر السماء

عالياً ، وعالياً يرتفع النيشان .

وتحملت المرأة في فلسطين آلام الاحتلال ، ومشت فوق جراحها ، نظرت حولها فوجدت نفسها بدون عائل ، فالزوج قد استشهد أو اعتقل ، والأطفال صغار ، فإذا بها تصمد أمام هوج الرياح ، تعمل بجد ونشاط وفي الليل تطوف بها ذكريات زوجها ، فقد أخفت نبأه عن صغارها، فتذرف الدموع على مأساتها ، وعندما يصر صغيرها على معرفة مصير والده ، بعد أن طال غيابه ، تظل تمنيه وتوعده باللقاء القريب ، هذا ما يصوره الشاعر " هارون هاشم رشيد " لحالة امرأة غيب الاحتلال زوجها وراء القضبان وهي حامل في ابنه ، الذي سيخرج للنور يسأل عن أبيه ، يقول [2] :

نهر الحنان ، حبيبها ، ونجيها

وأبو جنين في الحشا يتهدهد

وتلف بالشال المطهر رأسه

وتضمه ، عند الوداع ، تزغرد

تدري بأن صغيره من غيره

سيظل يسأل موجعاً ، ويردد

سيظل ، يسأل ، عن أبيه تلهفاً

ويظل يحلم باللقاء ، ويوعد

---

[1] – ديوان وردة على جبين القدس ، ص 59 .

[2] – السابق ، ص 29 – 30 .

تعاني زوجة الأسيرة من بعده كثيراً ، فقد ترك زوجها بغيابه فراغاً كبيـراً فـي البيـت ، فتتحمل وحدها تربية الأبناء ، ويحزنها كثيراً استفساراتهم وأسئلتهم عن والدهم ، ويعود الـشاعر مرة أخرى ليقدم لنا لوحة مضيئة لزوجة الأسير الصابرة المحتسبة ، إذ يصور زوجـة الـشهيد الشيخ " أحمد ياسين " أثناء وجوده في زنازين الاحتلال ، وهي ترسل نداءاتها واستغاثتها للعـالم ليتحرك ليفرج عن زوجها المشلول القعيد، يقول [1] :

حمل البرق ، صوتها ... والأنين   وأتانا ، نداؤها والحنين

شيخها الباسل الأبي المرجى   زوجها الطيب الكريم الحنون

في دجى السجن في شقاء لياليه   مريض معذب ، مطعون

شيخها المقعد العظيم يقاسي   لا طبيب ، لا زائر لا معين

ثانياً / تربية الأولاد :

من أهم مسؤوليات المرأة تربية الأولاد ، فهي قضيتها الأولى والمركزية ، التي لا تغفـل عنها ، ولا تغيب عن بالها لحظة ، فتربية الأولاد وتنشئتهم على الفضيلة والأخلاق الحسنة مـن أفضل الأعمال التي تقوم بها المرأة ، والأم الفلسطينية مثال للأمومة والتـضحية والإيثار،إنهـا صانعة الرجال ومربية الأبطال ، أليست هذه الأم هي نفسها من تـستقبل نبـأ استـشهاد ابنهـا بالزغاريد ، وقد وقف الشعراء من الأم المربية وقفة إجلال وإكبار ، فمدحوها ، وأثنـوا علـى تعبها وشقائها وتحملها الألم في تربية أبنائها ، ومجدوا مواقفها وأشادوا بتضحياتها ، وظهر ذلك جلياً في أشعارهم ، إذ " إن ثمة صلة تقوم بين الأثر الفني والأدبي وبين الواقع " [2] .

فها هو ذا الشاعر " أحمد دحبور " يصور الأم المربية الحنونة على أبنائها ، وهو يتحـدث عن أمه وهي تشقى ليهنأ ويسعد ، وتسهر ليرتاح وينام ، تسعى جاهدة لتوفر له كل سبل الراحة والسعادة ، تحكي له الحكايات القديمة ، ويكثر استفساراته، وتوضح له ما خفي عنه ، ثم تطلـب منه أن ينام ، يقول [3] :

وأمي تصب نومي بأحلامها ، فأصحو
تصفي لي النهار المذرى بمنخل الأماني
وتجلو لي المعاني

---

1 – السابق ، ص 49 .

2 – أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني ، ص 7 .

3 – ديوان كسور عشرية ، ص 29 .

وإن قلت ... أين المغني ؟
أجابت .. ألا تنام

وتتعب الأم كثيراً في تربية أبنائها ، وتفني نفسها من أجلهم ، هذا ما يرسمه الشاعر " أحمد دحبور " لصورة أم رزقت بطفل منغولي ، حيث يرسم صورة تفيض حزناً وألماً ، ويسجل أحاسيس هذا المرأة ومشاعرها ، وهمسات صوتها التي تتردد بداخلها ، وتقف أمام طفلها المسكين تحدثه وتسأله ، ولكنه لا يرد لها جواباً ، يقول الشاعر [1] :

من أي ليلٍ راكد في دمي
جئت ؟ ومن أي زمان خداج ؟
هل أنت مشعور كلوح الزجاج
وهل حليبي سال فوق التراب ،
نازفاً من جرحك المبهم

هي حزينة ، تبكي ولكن حزنها وبكاءها بسبب شدة حبها لابنها ، كانت تتمنى له حياة ثانية ، تراه شاباً رجلاً مفعماً بالحيوية والنشاط ، لتقر عينها به ، أما وهو على هذه الحال ، فهو كلوح الزجاج المشعور كما صوره الشاعر ، وتتمنى عليه أن يكون أي شيء أخر غير ما هو عليه ، أو لو أنها أجهضت قبل أن تأتي به ، يقول الشاعر " دحبور " [2] :

كن أي شيء وغير ما أنت ،
كن طفلي الذي لم يأتِ ،
قل إنني أجهضت .. ،

وتعود هذه الأم لتقر بالحقيقة التي لا مناص منها ، وتتحرك مشاعر الأمومة بداخلها ، ويتدفق نبض الحنان إلى قلبها ، فهذا الطفل المنغولي هو ذلها وضعفها ، وابنها الحبيب ، فلا بد له أن يعيش ، ولا بد أن يحيا لأنها معه ، يقول " أحمد دحبور " [3] :

ذلي وضعفي أنت ، وابني الحبيب
لا بد أن تحيا .. لأني معك

---

1 – ديوان هنا هناك ، ص 98 .
2 – السابق ، ص 100 .
3 – السابق ، ص 101 .

ولأن المرأة تتجسد فيها مظاهر الأمومة والحنان ، كان البر بها والعمل على راحتهـا حقـاً من حقوقها ، بل إن ذلك دين في أعناق الأبناء فهي التي ينام الجميع وتبقى ساهرة على راحـة أطفالها ، تختفي من حياتها كل الأحلام التي كانت تمنى نفسها بها ، ليحقـق أبناؤهـا أحلامهـم وسعادتهم ، وتظل تواصل الطريق ، يقول الشاعر " ماجد أبو غوش " [1] :

امرأة تجر خلف أثوابها
أطفالها
وتمشي نحو المجهول
امرأة تخبئ في حقل الشوك
أحلامها
وتواصل الحياة

ويصور الشاعر " أبو النصر التميمي " هذه الأم التي لا تنام حتى تطمئن أن صـغارها قـد ناموا ، تحكي لهم الحكايات ، وتهدهدهم حتى يناموا ، فيكون أخر صوت يسمعوه هو صـوتها ، يقول [2] :

هدهدت أطفـالاً بالليل كالجمر
ناموا على صوت أغلى من الدر
كالبلسم الشافـي بالرأس والصدر
وحضنـها روح في حمأة الضر

وتبقى الأم شعلة النشاط والحيوية ، حتى وإن تقدم بها العمر ، لا تتعب ولا تمل أو تـسأم ، هذا ما يسجله الشاعر " رفيق أحمد علي " لامرأة قاربت السبعين عاماً وما زالت تنـشط وتـدبر أمر بيتها ، وتكنس وتنظف وتخبز وتصنع الطعام ، يقول [3] :

وتنشطين ليس تسأمين
كنحلة على خلاياها تظل قائمة
فها هنا أراك تكنسين
وها هنا محنية الظهر تنظفين
وها هنا بجانب التنور تخبزين

---

1 – ديوان بانتظار المطر ، ص 60 .

2 – أبو النصر التميمي ، ديوان أفياء الكروم ، 1994م ، بدون ، ص 38 .

3 – ديوان النقش على الهواء ، ص 144 .

وأجمل الطعام تصنعين

ويرسم الشاعر " هارون هاشم رشيد " لوحة تسيل مرارة وأسى ، لامرأة فقدت زوجها ، ومعيل أسرتها ، فتركها وحيدة تعاني من صنوف العذاب والألم ، فقد استشهد زوجها ، ونظرت حولها فإذا هي وحيدة ومعها صغارها ، لا تدري ماذا تفعل بهم ؟ فالأهل قد تنكروا لها ، وأداروا لهما ظهورهم ، ورفاق زوجها وصحبه هربوا ، وكأنهم لا يذكروه ، ولا يعرفونها، فهي تشكو من غدر الزمان وبطشه ، يقول [1] :

تشكو إليّ زمانها ، وشقاءها
تشكو الألى نقضوا العهود وبددوا
تشكو لي الأهل الألى كانت لهم
قلباً ، وعيناً ، لا تكل لها يد
تشكو رفاق حبيبها ونجيها
وهو الأبي العبقري السيد

****

حتى إذا نال الشهادة مؤمناً
ومضى إلى رحمانه يستشهد
قلب المجن رفاقه ، وصحابه
والأهل ، أعطوا ظهرهم وتمردوا
ووجدت نفسي والصغار لوحدنا
في التيه ، في الصحراء نحن الشرد

ونساء فلسطين مثال النشاط والحركة ، يوقظن غوافي الطير من أعشاشها ، وهن منطلقات للعمل والكد ، ليوفرن لبيوتهن وأولادهن سبل الراحة والهناء ، فلهن كل التحية والإجلال ، كما يقول الشاعر " ما جد الدجاني " [2] :

لأمٍ قبل ديك الفجر تصحو تعُد لبيتها سبل الهناء

1 – ديوان طيور الجنة ، ص 115 – 116 .

2 – ديوان قمر على شباكنا ، ص 10 .

والأم تربي أبناءها على الفضيلة ومكارم الأخلاق ، تغرس فيهم حب الوطن وعشق ترابه ، تحكي لهم قصص البطولة والفداء ، تروي ذكريات بلادهم ، وهذا ما يسجله الشاعر " عمر خليل عمر " وهو يتحدث عن أمه التي تبثه الحكايات القديمة ، وتمسح عنه أدران الجهل الموروث ، وتطلب منه أن يستيقظ ويفكر ، يقول [1] :

قالت لي أمي مرة ... اسمع يا ولدي

سأقص عليك حكايات من بلدي

فافتح عينيك... وقلبك ...

واغسل أدران الجهل الموروث عن الأجداد

وامنحني كل بقايا عقلك

ويصفها الشاعر " عثمان أبو غربية " بأروع الصفات والخصال ، فهي تحب النهار وتهوى المحار ، وكنجمة الصباح في الجد والنشاط ، وتعرف ماذا يريد وبم يفكر وما يجول بخلده وخاطره ، يقول [2] :

كعصفورة الشمس هالا تحب النهار

وتأتي

كلؤلؤة البحرتهوى المحار

كنجمة صبح تحب البحار

وتعرف هالا متى الموج يمضي

وتعرف صوتي

وتقرأ وجهي

وحسن الرحيل

وتقرأ صمتي

وفتيات فلسطين رمز للجد والاجتهاد ، اقتحمن كل الميادين ، ورفضن الخمول والتواني ، يحملن العلم في يد والسيف في يد أخرى ، ليذدن عن حياض وطن صار نهباً للطامعين ، وهن متحليات ومتزينات بالفضيلة والخلق القويم ، الذي يؤدي إلى السمو ، ويبعث على الاطمئنان ،

---

1 – ديوان مرثية الشرف العربي ، ص 7 .

2 – عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، دائرة الإعلام في هيئة التوجيه السياسي والوطني ، رام الله ، الطبعة الثانية ، ص 70 .

ويبعدهن عن سفاسف الأمور ، ليغرسن في أبنائهن هذه المبادئ السامية ، كما يقـول الـشاعر "ماجد أبو غوش" موجهاً لهن التحية والتقدير [1] :

لبنت شاركت في كل بذلٍ ويعلو رأسها تاج الحياء

ثالثاً / الأم والزوجة :

الأم هي نبع الحنان ، ومصدر الإلهام ، تغنى بها الشعراء على مر العصور والأزمان، ورفعوا من قدرها ومنزلتها ، وخلعوا عليها من القدسية والإجلال ، ما جعلها في مكانة سامية لا ترقى إليها امرأة غيرها ، وقد مجد شعراء فلسطين الأم ، وأعلوا قدرها ، وأشادوا بالدور الكبير الذي تقوم به ، وربطوا بينها وبين الأرض برباط وثيق ، فالأم تحولت في كثير مـن قـصائدهم إلى رمز للأرض ، وصوروا هذه الأم الصابرة في لوحات رائعة تنـبض بالحيـاة والحركـة ، وتنحني لها الرؤوس إجلالاً وتقديراً .

يقول الشاعر " محمود درويش " في وصف العلاقة بينه وبين أمه ، وهو يعيش في الغربـة عن وطنه ، فلا يلتقيها إلا مراراً ونزراً يسيراً ، وتطلب منه أن يتزوج من أي فتاة في الغربـة ، لتفرح به وبتلك اللحظة التي طالما تمنتها وانتظرتها بفارغ الصبر ، ولكنها تقـول لـه بـأن لا يصدق أي امرأة سواها ، فهي التي تحترق لتضيء له الدرب ، يقول [2] :

لا نلتقي إلا وداعاً عند مفترق الحديث
تقول لي مثلاً : تزوج أية امرأة من
الغرباء ، أجمل من بنات الحي لكن ، لا
تصدق أية امرأة سواي ولا تصدق
ذكرياتك دائماً ، لا تحترق لتضيء أمك ،
تلك مهنتها الجميلة

علاقة الشاعر مع أمه لا توازيها علاقة ، فلا تستطيع أي امرأة ولو كانت معها عـصا سحرية أن تحتل نفس مكانة الأم ، فكيف إذا كانت المسافات تفصل بين الولـد وأمـه ؟ إن حرارة الشوق تلهب جوانبه ، وتحرق مهجته ، فهذا الشاعر " سليم الزعنون " يصف لقـاءه

[1] – ديوان قمر على شباكنا ، ص 10 .

[2] – ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً ، ص 80 .

بأمه بعد تغربه وغيابه عن الوطن مدة طويلة ، تصل إلى ثلاثين عاماً ، هذا المشهد الذي يذيب القلوب ، ويبكي العيون ، يقول الشاعر [1] :

طرقت باباً فلاقتني على عجلٍ " لمى " رفيق أخي بالعطف واللين
شاهدت أمي وكان القلب أوهنه ما يوهن المرء في عمر الثمانين
قبلتها ... قبلتني وهي باكية من فرحة كنت أرجوها وترجوني

ومهما امتد العمر بالإنسان ، يظل يشتاق إلى حضن أمه ، وإلى ضمة صدرها الحانية وإلى دفء روحها وقلبها ، يظل يشعر بحاجته إليها ، ورغبته في الارتماء على صدرها ، يركع عند قدميها ، ويقبل كل يوم يديها ، لذا نجد الشاعر " عثمان أبو غريبة " يؤكد ذلك ، فيطلب من أمه أن ترجعه إلى عهد صباه ، طفلاً صغيراً يأنس بقرب أمه وحنانها ، يقول [2] :

أعيديني إلى دفء الوجود ودفء قلبك
آه يا أمي
وضميني على أطراف ثوبك في المدى الوردي
ضميني

والشاعر " ربحي محمود " تأخذه هذه العاطفة ، فتلقي به على صدر أمه ، الذي يشتاق إليه ويحن إلى همسات قلبها ، ومداعباتها لشعره برفق وحنان ، ليعيد للروح بهاءها وألقها ، يقول [3] :

أتوق إلى ضمة الصدر
إلى همسة القلب
في رقة حانية
إلى الكف تعبث بالشعر
تمشي على الوجه
تبعث الروح في الروح

وترجع بالشاعر ذكريات الماضي ، فيتمنى أن تعود من جديد ، ليهنأ بالنوم بالقرب من أمه ، إلى ضمة الصدر التي يستمد منها الحياة ، فتصرف عنه كل الوساوس والهموم ، يقول [4] :

---

1 – ديوان نجوم في السماء ، ص 236 .
2 – ديوان عدنا ، ص 76 .
3 – ديوان نقوش على ثوب أمي ، ص 5 .
4 – السابق ، ص 73 .

أنام فوق عرشها
تضمني للصدر مثل قارب صغير
يجري إلى الشطوط والنجاة
وتبدأ الحياة
أغفو على رموشها
تجدد اجتياحها
تبدد الغيوم والسكون

والشاعر " عبد العزيز الرنتيسي " يبر بأمه ، ولا يتخيل نفسه ينساها يوماً ، أو يسهو عن ذكر فضلها عليه ، فهي التي ربته في حضنها صغيراً ، ولم يذق جفنها طعم النوم إن داهمه المرض ، تسهر عليه حتى يغادره المرض لتعود لها الفرحة والبهاء ، وهي رمز الإيثار ، فتجود له بطعامها وشرابها ، وتمنعه عن نفسها ليهنأ به ، يقول[1] :

لا تعجبوا إن كنت لا أنساها   فهي التي حضنت صباي يداها
وحنت علي إذا مرضت ولم يذق   طعم النعاس لياليا جفناها
وتعود إن حل الشفاء قريرة   بعد الوجوم تبسمت شفتاها
وتجود إيثاراً علي بزادها   وإذا ظمئت تغيثني سقياها

وتتعدد صور المرأة في المجتمع ، ويختلف دورها ، فمن الأم التي تحمل صورة القداسة إلى المرأة الزوجة ، وصورة الوفاء بين الرجل والمرأة ، هذه الزوجة التي عاشت مع زوجها السنين الطوال ، وتحملت معه الحياة بحلوها ومرها، هي أم أبنائه ومربيتهم فلها كل الوفاء والإخلاص ، ويحق لها التدلل والتجمل ، فلن يقبل لها الشاعر " عبد الكريم السبعاوي " بديلاً ، ومالها من مثيل ، يقول [2] :

أرفيقة الدرب الطويل
شريكة الهدف النبيل
أنا إن يعز الشافعون إليك
أو يشتط في كيدي عذولي
(عبود) يشفع و(السهيلات) الصغار

---

1 – ديوان حديث النفس ، ص 40 .
2 – ديوان متى ترك القطا ، ص 95 – 96 .

ويوسف المنذور في باب الخليل
فتدللي وتجملي إن شئت
واعتدلي وميلي
خلي النساء وراء ظهرك
لم أجد كفواً سواك
وما لمثلك من مثيل

هذه الزوجة تبقى مخلصة لزوجها ، تضحي من أجله بالغالي والنفيس ، فارقت العش الذي منه خرجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، تترك الأهل والرفاق والأصحاب ، وتلتحق بزوجها لتكمل معه مسيرة حياتهما ، وتتغرب معه في بلاد الله البعيدة صابرة محتسبة ، لم يبق من طفولتها إلا تلك الصور التي وضعتها على الجدران ، يقول [1] :

منذ يومين
أستغفر الله من ثلاثة أيام
قل أربعة
كنت صبياً فتياً
أحب فتاةً تربت معه
واستلها من جوارح أم وأب
تزوجها واتبعته إلى آخر الأرض
تاركة أمها وأباها وأخواتها دون ذنب
حاملة صوراً من طفولتها
علقتها براويز فوق الجدار

وتدور دواليب الحياة على الشاعر وزوجه ، بعد أن كانا عروسين سعيدين بزواجهما ، وخطف زوجه من بين جوارح أبيها وأمها ، يأتي له الآن من سيخطف منه ابنته من بين أحضانه ، ليشرب من نفس الكأس ، ويحس كما هي صعبة لحظات الفراق والرحيل على قلب الأم والأب ، ولكنها سنة الحياة ، يقول[2] :

ستمضي الحياة بنا وبكم
وتكمل دورتها الأرض جيلاً فجيل
سيكبر أطفالكم ذات يومٍ

---

[1] – السابق ، ص 99 – 100 .
[2] – السابق ، ص 100 – 101 .

ويمضون عبر الطرق الطويل
وسوف تحسون كم هي فادحة لحظات الرحيل
على قلب أم وأب

وتمر الأيام والسنون ، ويصبح الأولاد والصغار شباباً يبحثون عن العروس ، شريكة العمر التي سيقضي معها بقية عمره ، فهذا الشاعر " السبعاوي " يوصي ابنه حسين وهو على أعتاب الزواج ، بالرفق بزوجته واللين معها ، وحبها حباً كثيراً ، والصبر عليها حتى تستمر حياتهما الزوجية ، يقول [1] :

أحسين يا زين الشباب
ويا نضارة عمرنا الغالي علينا
أحببت أمك في الزمان
وما أزل ..
وما قلبت لها المجنا
فاحبب عروسك ما استطعت
ولن لها ..
وتأن فالفوز العظيم لمن تأنى .

رابعاً / طبيعة المرأة :

المرأة كائن كله أحاسيس ومشاعر ، يمتلئ قلبها حباً وحناناً ، إنسانة رقيقة تؤثر فيها الكلمات ، تحب الغزل والكلام الرقيق ، ويسعدها كثيراً الاعتناء والاهتمام بها ، وقد صور الشعراء الفلسطينيون هذه الطبيعة في شعرهم ، وتحدثوا عن نفسية المرأة واهتماماتها وشخصيتها وعلاقتها بالرجل ، بجانب حديثهم عن دورها في النضال وتربية الأبناء والزواج ، فقد سجل الشاعر " المتوكل طه " طبيعة المرأة ، وصور نفسيتها ، فهي تحب الحياة الزوجية وتقدسها ، وتحب من زوجها أن يصرخ فيها ويداعبها ، تفتخر به أمام الناس وأمام أقربائها وجيرانها تحمل منه بالأطفال أمام رؤوس الأشهاد ، يقول [2] :

يا امرأة تشتاق لزوج يصرخ فيها
ويداعبها ، تحمل منه أمام الشمس ، وروداً
عند الخالة والجارات

---

1 - السابق ، ص 103 .
2 - ديوان حليب أسود ، ص 61 .

والمرأة تحب من يتغزل بها ، ويحدثها كلاماً رقيقاً ، وتكره السؤال عن عمرها ، وخاصة إذا بلغت سن الأربعين ، فهي في هذا العمر تفرح إذ ما تغزل بها ، وقيل لها أنها جميلة وما زالت فاتنة تأسر قلوب الملايين ، كما يؤكد ذلك الشاعر " عز الدين المناصرة " في حديثه عن طبيعة المرأة ، يقول [1] :

لا تقل لامرأة في الأربعين

وحط الشيب جناح القبرة

قل لها إن سماء الأربعين

فتنة للناظرين

عنب ، دُراقة مخضوضرة

هذه هي حقيقة المرأة وطبيعتها ، لا تحب أن يصارحها أحد بحقيقتها ، تشعر أن سني العمر تذبل زهرات شبابها ، وتذهب رونق جمالها ، وتخفي نضارة جسدها ، فتخفي حقيقة عمرها ، وتتمنى لو أن دواليب الحياة تتوقف ، وعجلات السنين تعود للوراء ، وتظل كما هي شابة فتية ، تتألق جمالاً وبهاءً ، وتخيل بورود وجهها وزهرات جسدها ، لذا فهي تبغض السؤال عن عمرها وهذه الحقيقة قديمة في النساء منذ القدم كما يقرر الشاعر [2] :

لا تقل لامرأة

كم يبلغ الورد من العمر

إذا كان السؤال

أزلياً وعتيقاً كالجبال

ويذهب الشاعر "علاء الغول" إلى أبعد من ذلك ، عندما ينعت المرأة بالكذب وأن الكذب مجبول في طبيعتها ، فمن صفاتها الغدر والخيانة، فهي تتبدى وتتظهر في ثياب الأنوثة ، وتتباكى بدموع التماسيح وبقصاصات من الورق كانت حبيسة لديها ، ولعل الشاعر هنا يتحدث عن صنف من النساء ، تعامل معهن وجربهن ، وعرف من طبعهن ما سجله في شعره ،وهذا بالضرورة لا ينطبق على كل النساء، يقول[3]:

كذبت كما تقضي طبيعتها ،

---

1 – ديوان لا أثق بطائر الوقواق ، ص 89 .

2 – السابق ، ص 90 .

3 – علاء الغول ، ديوان بهنباي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ،الطبعة الأولى ، 1997م ، ص 58 – 59 .

تهالك في ثياب تستبيح
أنوثة لا تسترد عذوبة
الشوق المؤرخ
بالدموع وبالقصاصات الحبيسة

ويعقد الشاعر" عبد الكريم السبعاوي " مقارنة بين صورة الرجل والمرأة في المجتمع، فالرجال من سجيتهم وطبعهم يحبون الفروسية والأعمال الخشنة والتباهي برجولتهم ، والرفعة والسيادة،والمرأة لها من الأعمال ما تفعلها،ولها من الأشياء ما يخصها،وتتمايز به عن الرجل ، يقول [1] :

للذكور.. الخيول مطهمة
والسيوف مهندة
والعلا والسيادة
***
للإناث .. القوافل مثقلة
بالأذرة .. والخز.. والطيب

ويحذر الشاعر " صالح فروانة " المرأة من الانجراف وراء تيار الغرب ، بحجة تحرير المرأة ، وتحقيق حقوق الإنسان وحقوق المرأة ، وغرضه من ذلك دفعها للخروج عن الدين، والتمرد على التشريعات، ويهدف إلى نشر الفساد والرذيلة في المجتمع ، ويذكر الشاعر أن هذا الغرب يكذب بإدعائه حقوق الإنسان ، وحق المرأة ، فأين هي حقوق الإنسان وكرامته مما يجري في العراق ، على أيدي جنود الحضارة والمدنية الغربية، وكلنا شاهد ما يحدث في سجن أبي غريب ، من صور يندى لها جبين كل حر أبي ، وهتك أعراض النساء وتمريغ كرامتهن وحقوقهن في التراب ، يقول [2] :

لعبته الكبرى
تحرير المرأة من عنت التشريع
ومن قهر السجان
وكثعلب شوقي " يتبدى للعالم "

---

1 – ديوان متى ترك القطا ، ص 80 .
2 – ديوان مفردات فلسطينية ، ص 18 – 19 .

داعية لحقوق الإنسان

******

وملايين الأطفال ببغداد النكبة

تشهد أن ثعالب شوقي في كل مكان

خامساً / الحب

من المظاهر التي تناولها الشعر الفلسطيني ، ظاهرة الحب والعشق ، تلك النزعة التي فطر الله الناس عليها ، وهي ميلهم للجنس الآخر ، والعاطفة التي تقوم بين المرأة والرجل ، فالحب قديم قدم الإنسان والحياة، عبّر عنه الشعراء في كل زمان ومكان، ويختلف الحديث عنه تبعاً لتغير الظروف والأحباب، ويختلف شعر المرأة من عصر إلى عصر ، ومن بلد إلى بلد " إنَّ الشاعرية في جملتها في أي جيل مقدار ما حققه هذا الجيل في طريقة معيشته وفي إيمانه ونظمه من الصفات العامة للحياة الإنسانية" [1] ، والمتأمل في واقع المجتمع الفلسطيني وأحواله، يكاد يجزم أن الحب أخر ما تفكر فيه فلسطين المقهورة والمضطهدة وأن الحديث عنه يعتبر ترفاً فكرياً وذهنياً وهروباً عاطفياً، فكثير من الشعراء عكسوا عواطفهم الذاتية على الواقع الذي يعيشه مجتمعهم ، " فالأديب حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه هو على هذا المجتمع، والأدب تصوير لهذا الفهم ونقل له " [2].

وقد تغنى بعض الشعراء الفلسطينيين بالحب ، وتغزلوا بالنساء ، ولكن هذا النوع من الشعر لم يشهد ازدهاراً ونضوجاً ، وذلك – في اعتقادي – ناجم من كون القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية قد امتصت كل الاهتمامات العاطفية والوجدانية للشعراء ، وهذا دليل على أن الشاعر الفلسطيني ظل ملتزماً بقضايا بلاده وهمومها ، ومن الشعراء الذين توقفوا عند بعض التجارب العاطفية نذكر الشاعر " أحمد دحبور " في قصيدة بعنوان " مولود السماء" علاقة حب بين مقاوم فلسطيني وفتاة أحبها وأخلص في حبها ، ولكن ظروفه الخاصة تمنعه من الارتباط بها ، ويمضي به العمر سريعاً دون أن يحقق أمنيته ، وأمنية أمه التي يكتوي قلبها بانتظار اليوم الذي تراه فيه عريساً ، وتذهب محبوبته لتصير زوجاً لشخص آخر، يقول [3]:

أبناء جيلي يكبرون وسوف أبقى عند عمري،

ربما أجري ولكن في دموع الأم والأختين والأب،

---

[1] – الحياة والشاعر، ص 51.

[2] – الأدب وفنونه، ص44.

[3] – ديوان أي بيت ، ص14-15.

إنَّ في كتبي رسائل ربما انكشفت فأحرجت الحبيبة،
أنها ستكون بعد غد،
لدى أحد من الأَصحاب صاحبة حليلة ؟
والنار تكوي قلب أمك
وهي تنتظر العروس المستحيلة.

ويصور الشاعر " المتوكل طه" العلاقة الدافئة والحميمة بينه وبين زوجه، وعشقه لها الـذي لا يحده حدود ، ولا تحجبه الأستار والأسلاك ، فقد كتب هذه القصيدة في سـجن أنـصار "3" ، وبث فيها لواعجه وشوقه وهيامه بزوجه يقول [1]:

وأقول يا امرأتي التي أهوى
أحبك يا بتول الروح
يا أم الطفولة
مثلما أهوى غموض الضحكة الأولى
وخربشة البراءة للرضيع
ومثلما أهوى السلام
لكل أطفال البلاد.

وها هو ذا الشاعر "عز الدين المناصرة" يمنّي نفسه بالصبر والتجلد علـى قـسوة الحـب ، ويسلّي نفسه بتعلم نعمة النسيان فهو لا يستطيع أن يصل لمحبوبته التي يراها بداخل حافلـة تقـل طلاب الجامعة ، ويطلب من الحافلة أن تتمهل ليتمكن من رؤيتها وضفائرها تتطاير وتتـراقص كالجان، يقول [2]:

تمهلْ باص جامعة يمرُّ يعذب الركبان
رآك فحرك العينين نحو ضفيرة كانت سنابلها
مع النسمات ترقص مثل رقص الجان
وأومأ غامزاً للخلف حتى كاد يدّهور
.....
تعلم أيها الشيخ الربيعي الذي قد الحديد...

[1] – ديوان فضاء الأغنيات، ص46-47.
[2] – ديوان لا أثق بطائر الوقواق ، ص19.

بأن فتنتهن قد تقهر
تعلم حكمة النسيان يا هذا
تعلم حكمة النسيان.

ويصور الشاعر " عبد الناصر صالح" حالة حب ، أو محاولة التقرب من الجنس الآخر ، عندما شاهد امرأة جميلة ، حاول التقرب منها ، ولكنه رجع مهيض الجناح، عندما رأى وسمع أنها مرتبطة بإنسان آخر تحبه ويحبها ، يقول [1]:

ثمة امرأةٌ،
تتبوأ مقعدها الخشبي
وتمشط أهدابها في المرايا
ما الذي يتراءى لها في الحديقة ؟
قلت أحث الخطى نحوها
وتقدمت،
لكنني عدت منكسراً مثل غيمة صيف
تملكني الخوف
حين سمعت صدى الصوت يأتي
ورأيتهما..
....
....
كانت الشمس ترسو بمينائها
وتواريت في الظل

ويصور الشاعر" جمال قعوار" لوعة الحب ، وشوقه لحبيبة عمره ، فبيدها أن تعيد له الحياة ، وتنير له دروبه، فحياته كلها رهينة عندها، إن منّت عليه بالوصل سينتعش جسده ويسعد فؤاده ، يقول [2]:

حبيبة عمري
وعمري
لديك غداً مرتهن
أضيئي له الدرب

---

1 – ديوان فاكهة الندم ، ص86-87.
2 – ديوان شجون الوجيب ، ص65.

فهو حزين الفؤاد
عليل البدن

والشاعر عفيف طاهر القلب ، تمنعه كرامته وطبعه الأَصيل من الجري وراء شـــهواته، والتعرض للنساء ومغازلة الصبايا ، فهو يحب الفتاة العفيفة المتـــسلحة بوقارهـــا واحتـــشامها ، يقول [1]:

وتمنعني الكرامة من مغازلة الصبايا
والبغايا
العارضات جسومهن
لكل صياد تسلح بالحراب
وبالسراب

ويتخيل الشاعر" معاذ الحنفي" محبوبته كائناً آخر، فهو يسرح في بحـــار عينيهـــا ، فكأنهمـــا تعزفان موسيقى جملية ، ويهيم في تفاح وجهها ، فيضنيه السهر، حيث تجمعت فيها كل الصفات والخلال ، فكأنها القمر في ليلة التمام، يقول [2]:

من لي سوى عينيك يا حبيبتي !!
عيناك موسيقى
وخداك السهر...
عيناك موسيقى
وألحان السفر...
أنت القمر
عيناك أطياف السحر.

وإذا امتلك الشاعر قلب محبوبته ، سينطلق محلقاً في الآفاق، سيغرد قلبه طربـــاً ، لـــن يركن بعد اليوم للانطواء ، فهي النور والضياء الذي يهتدي به في حياته، وهي بداياته الجميلـــة، يقول [3]:

وأنا إذا احتويت قلبك
لا أَحب الانضواء
هل أنت بحر الالتقاء ؟
أم الضياء..

---

[1] – السابق ، ص119.

[2] – ديوان أعلق في ليلك الليل ، ص81.

[3] – السابق ، ص83.

أم البدايات الجميلة والقريبة!

ولا يستطيع الشاعر البوح بحبه أو باسم محبوبته ، فمجتمعه الغريب – كما يصفه – لن يرحم هذا الحب الصادق ، لأنه كله شك وريبة ، ولكن حبه هو الحقيقة، يقول [1]:

لا أستطيع الجهر فيما
تهتدي طرقي الغريبة
شك وريبة..
لكن وجهك كالحقيقة!
وأنا احتوتيك .. هل أخفتك ؟

وتمر الأيام على العاشقين ، يعدُّون الساعات والثواني ، ويسهرون الليالي الطوال بانتظار طيف الحبيب ، ليطفئ لهيب الشوق ، وحرارة اللقاء ، فهذا هو الشاعر " محمود العجرمي" يمرُّ عليه عام كامل لم يلتق فيه بمحبوبته، فتزيد لهفته للقاء، وتثور براكين الحنين بداخله ،ويبقى صامداً لا ينحني ، يقول [2]:

مرّ عام ما التقينا
مرّ عام
مرّ عام يا حبيبي ما انحنينا
مرّ عام
لم تبن فيه النار من زهر
حوالينا
***
مرّ عام يا حبيبي
ما التقينا
فيا لهفي عليك
ويا لهفي علينا
ها قد مرّ عام

ويصور الشاعر كيفية خروج العاشقين للقاء، والتدابير التي يتخذونها ليحتاطوا خشية أن يراهم أحد ، فيفتضح أمرهم ، يقول [3]:

---

1 – السابق ، ص83.

2 – محمود العجرمي ، ديوان أسفار الغريب ، غزة ، الطبعة الأولى ، 2001، ص62.

3 – السابق ، ص62.

لا نقرع الأبواب
نخرج خلسة
نخفي الرغائب
نرمي الزوايا بظلينا

ويسجل الشاعر " العجرمي " لقاءه بمحبوبته عند المساء ، فلم يعد كما كان من قبل في كل مساء، فهو يفيض نشاطاً وحيوية ، ويحترق قلبه لهفة وحنيناً للقاء، ويتوحد مع محبوبته ويلتصق بها، فلا مجال للانفكاك عنها، فهو كالنجم ارتبط بالمدار، يقول [1]:

أعود إليك هذا المساء
كما لم أكن يوماً من قبل
بكل ما في الدم من دفق
وفي العمر من شقاء
أكثر لهفة وحنيناً
ملتصقاً بك كما بالمدار النجم.

ويتغزل الشاعر بمجبوبته وجمالها، وبعذوبة صوتها الذي يشقيه، وبنضارة ورقة ونعومة جسدها، وبإشراق وجهها كالبدر، فيحدث ذلك في قلبه انفعالات جميلة طيبة، يقول [2]:

يا لهفي حين يشقيني صوتك
صبا ونعومة نافرة يشرق وجهك
انفعالات طيبة
وسماوات تشفّ حين أمور رغبة
يا من بلسمة ترديني

ولا تستطيع الفتاة البوح بحبها، فتكتمه بين ضلوعها، وتغلق عليه بالآهات والزفرات وتصمت ، والشاعر هنا يصور عذاب المرأة وتألمها لذلك ، يقول [3]:

صمتك يخيفني عليك
ترجلي حبيبتي
وغادري صليب العذاب
فإن أبهى ما بيننا صوت العشق

---

1 – السابق ، ص34.
2 – السابق ، ص47.
3 – السابق ، ص74.

وهذا الأنين المر

وحباً سراب

ويظل الشاعر يشكو من ألم الفراق ، فهو لا يملك غير العتب على هذا الواقع ، فمحبوبته قريبة منه ، ولا يستطيع الوصول إليها ، فبينه وبينها أسوار وأجناد، تزيد من حزنه وألمه ، يقول [1]:

وأنا لا أملك غير هذا العتب

لا خمر يواسيني

وحولي كروم العنب

ولا رفيق

فكيف لي وكل المنى تحاصرني

يا شقيقة الروح

هذا الحزن لصيق.

وهذا الشاعر " يوسف المحمود " يتحدث عن الحب كيف يغزو قلبه ، ويحلق فوقه كالطائر ، وينقش صورة وجه محبوبته في قلبه ، ويجعله ينطلق صادحاً بالأناشيد كاتباً للقصائد ، مردداً إنّي أحبك ، يقول [2]:

هو العشق

كالطير ينقر جدران قلبي

ويحفر في داخلي

ظلاً لوجهك

ويزرع في الأناشيد

يحفر في القصائد

فاكتب:

إني أحبك

إني أحبك

---

1 – السابق ، ص81.

2 – ديوان زغاريد على بوابة الصباح ، ص47.

سادساً / أخلاق المرأة

وكان لأخلاق المرأة نصيب من الشعر أيضاً , إذ مجد الشعراء تمسكها بالعفة والتزامها بالتقاليد والمحافظة عليها , وعدم انخداعها بالمظاهر , وما تراه من عري وفجور , فالمجتمع الفلسطيني مجتمع محافظ اتسم على مر العصور بالحشمة والوقار , فهذا الشاعر " رشاد الصغير" يصف المرأة الفلسطينية بالحياء والخجل , يقول [1] :

حييّة عن صريح القول عاجزة ينساب في قلبها نبع من الكلم .

ويصف الشاعر " خالد سعيد " المرأة وهي ترتدي اللباس الشرعي المعروف في بلادنا " بالجلباب " , مبيناً كيف اعتبره البعض غريباً يدل على التخلف , يخفي جمالها ومفاتن جسدها , ولكن الشاعر يفخر به كثيراً , ولا يستطيع أن يخفي فرحته وسعادته حينما يرى العديد من فتيات فلسطين وقد ارتدين الجلباب , يقول[2] :

كيف أخفي سعادتي وانتشائي عند مرأى الجلباب رغم العراء
قيل هذا الجلباب شيء غريب قلت طوبى الفردوس للغرباء
غرباء في قومهم قرباء من جوار الرحمن يوم القضاء
قيل هذا الجلباب ليس جميلاً قلت إنَّ الجمال ثوب الحياء .

فجمال المرأة في أدبها وحيائها وعفتها , وليس في تبرجها وسفورها , وخروجها على تقاليد وأعراف قومها ومجتمعها .

ويتصل بالحديث عن عفة المرأة رأي الشعراء في غلاء المهور، فكثيراً ما يطلب الأهل مهراً عالياً لابنتهم ، يعجز الشاب عن توفيره لهم ، خاصة في ظروف مثل التي يحياها شعبنا ومجتمعنا الفلسطيني ، فمصادر الرزق قليلة أو شبه منعدمة أمام الشاب ، لذلك نجد الشباب ينفرون من الزواج ومطالبه ، ذلك ما انتقده الشعراء، وبينوا سوء عواقبه على المرأة الفلسطينية والمجتمع ، ففي قصيدة للشاعر" أبو النصر التميمي" بعنوان " نحن والأفراح" يعجب الشاعر من الوالدين الذين يشترطان ويطلبان من العريس أشياء فوق طاقته ، حتى يهرب العريس من كثرة الطلبات وثقلها ، ويتفاخرون بذلك أمام الناس، يقول الشاعر[3]:

القلب يذوب مثخناً بجراح من كثرة الإنفاق في الأفراح

---

1 – ديوان محطات ص 15 .

2 – ديوان حجر وشجر، ص 82 .

3 – ديوان أفياء الكروم ، ص19.

إنـــي لأرثـــي للـــشباب وحـــالهم قـد أطلقـوا للحلـم كـل سـراح

زيـدٌ تخـرج قبـل أعـوام خلـت ما عاش يومـاً عيـشة المرتـاح

مـلّ العزوبـة ثلجهـا وجحيمهـا وجمودهـا قـد صـار كـالألواح

وإلـى أبيهـا قـد تقـدم خاطبـاً متـشفعاً بجماعـة الإصـلاح

وأجـابهم إنـي أريـد مقـدماً ذهبـاً يتيـه بريقُـهُ بـالراح

ومـن الفـساتين الثمينـة عـشرة وألـح فيهـا أيّمـا إلحـاح

والأم تطلـب شـبكة مرموقـة عقداً يـضيء كبـسمة الإصـباح

وأمام تلك المطالب يهرب العريس، ويبحث له عن عروس أخرى بمهر أقـل، وطلبـات أخف، وتبقى البنت المسكينة على حالها ، حتى ذهبت نضارة وجهها ، وذبلت ورود خـدودها ، وأمست عانساً ، يقول(1):

ومضى الزمن ومـي ترثـي حظهـا ونـضارة ذهبـت مـع الريـاح

ذبلـت ورود خـدودها وتهـدلت ولقـد تلاشـى رونـق التفـاح

---

1 - السابق ، ص19.

الفصل الرابع

الظواهر الفنية في الشعر الاجتماعي الفلسطيني

- اللغة
- الأسلوب
- الصورة الشعرية

الظواهر الفنية في الشعر الاجتماعي

أولاً / اللغة :

اللغة وسيلة التواصل بين أبناء البشر ، وهي حاجة إنسانية لتحقيق التفاهم ، ونقل الأحاسيس والأفكار والمشاعر ، وجدت منذ وجد الإنسان وأقام الحضارات ، فهي حاضنة الحضارات ، ومواكبة لها ، تتطور بتطورها " فاللغة ظاهرة اجتماعية حقاً ، وأنها أداة تعبير جماعية أولاً وقبل كل شيء ، وأن اللغة تستمد حياتها وغذاءها من الجماعة وروح الجماعة"([1])، واللغة تنمو في مفرداتها وفي تراكيبها وفي نطقها ، فهي كالكائن الحي محكومة بقانون التطور المستمر ، والمفردات التي تأبى التطور ومواكبة حياة الجماعة تتحجر وتظل حبيسة المعاجم.

واللغة تعبير عما يدور في فكر الإنسان وعقله ، فالإنسان يفكر وينتج الأفكار والمعاني في ذهنه باللغة " فلا يمكن تصور فكرة في عقل إنسان بغير كلمة تدل عليها ، فلن توجد المعاني في العقل إلا باللغة " ([2]) ، والمفاضلة بين اللفظ والمعنى ليس مجالها الآن ، ولن أجهد البحث في ذلك ، فقد تحدث عنها القدماء والمحدثون كثيراً ، واستفاضوا في ذلك ، ولكن ما يهمنا هو مشاكلة الألفاظ للمعاني التي تعبر عنها .

وتختلف اللغة من عصر إلى عصر ، ومن شخص لآخر ، حتى أنها تختلف من شاعر إلى آخر، وكل كلمة لها مذاق وطعم خاص بها يجعلها تختلف عن غيرها، فاللغة بتفاعلها مع التجربة تجعل لكل كلمة كياناً متفرداً عن كل ما عداه ، وتختلف اللغة الأدبية عن لغة الكلام المحكية والدارجة ، وذلك أن اللغة الأدبية والشاعرية مشحونة بالعواطف والشعور " وذلك ناشئ عن قوة الشعور التي تتطلب لغة أسمى من هذه اللغة العادية ، حتى تكون كفاء ما في النفس من عاطفة قوية صادقة "([3]) ، فاللغة الأدبية تتمايز عن لغة الحياة اليومية بأنها تتشبع بأحاسيس المبدع وانفعالاته وتجربته ، فينتجها لغة راقية جذابة ، ففي " حالات توهج لحظات الإبداع يتبدى ألق اللغة ، وتلفها هالات إيحائية مضيئة ، فتثمر عطاءً سحرياً " ([4]) ، هذه اللغة الأدبية تحلق في

---

[1] – د. محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1 ، 1988 ، ص 25 .

[2] – أصول النقد الأدبي ، ص 248 .

[3] – السابق ، ص 249 .

[4] – صلاح فضل ، شفرات النص ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، 1995 م ، ص27 .

الآفاق ، وتسعى لتحقيق التمايز و الجمال ، وترنو لتحقيق الرفعة والكمال، تتفلت من عقال اللغة التخاطبية للوصول إلى اللامحدود ، كما يقول الدكتور رجاء عيد " اللغة النصية – إن جاز القول – اختراق للمحدود إلى اللامحدود ، وانفلات من نطاق اللغة التخاطبية في نمطها التراتبي التقليدي " (1) .

ولغة الشعر ينبغي أن تكون أرقى لغة أدبية ، فإن كانت اللغة الأدبية تتفاضل عن لغة التخاطب اليومي ، لأن لغة الشعر تتيه فخراً على لغة الفنون الأخرى ، فإن " الشعر لغة فوقية لا بالمعنى الماركسي للكلمة ، وإنما بالمعنى الألسني والدلالي،إنه لغة فوقية لأنه لغة ما وراء اللغة، فهو لغة على اللغة " (2) .

والشعر الفلسطيني الحديث تطورت لغته تطوراً كبيراً ، واكبت تطور لغة الشعر العربي، فأصبحت لغته أكثر دقةً وإيحاءً ، وابتعدت عن الألفاظ التقليدية الجافة ، وباتت تعبر عن روح العصر ، وصارت " لغة الشعر الفلسطيني تمتلك طاقات تعبيرية عالية ، تتكثف فيها دلالات الألفاظ ، وتتفرد الكلمات بالإيحاءات الخاصة " (3) ، لذا نجد الشعراء الفلسطينيين قد طوروا معجمهم الشعري ، فأدخلوا العديد من الألفاظ والتعبيرات والجمل الدارجة إلى شعرهم ، واستخدموا مفردات الحياة اليومية ولغة الشعب ومزجوها بتجربتهم والظروف المحيطة بهم ، وأصبح الشعر الفلسطيني " أكثر استيعاباً لمتطلبات المرحلة جمالياً وموضوعياً ، وفنياً وسياقياً ، فحرص على تحديث تراكيبه اللغوية ، وتكثيف رموزه " (4) ، وكان للقضية الفلسطينية والأحداث المتصلة بها دور في التأثير على الشعر الفلسطيني ، هذا الدور جعله ذا طابع خاص ، كما يقول الدكتور إحسان عباس عن تأثير الحالة الفلسطينية و الأحداث التي مرت بها في الشعر الفلسطيني " ولست أعني هنا كيف أصبحت القضية الفلسطينية و الأحداث المتصلة موضوعاً للشعر ، وإنما أعني ما الذي خلقته من مواقف وأساليب شعرية ووعي شعري ، وإلى أي حد غيرت العطاء الشعري ، وبلورت المفهومات والمنطلقات الشعرية " (5) .

---

1 – القول الشعري ، ص 173 .

2 – مجلة فصول ، المجلد الثامن ، العددان 1 ،2 ، مايو 1989 . عبد الكريم حسن ، " لغة الشعر في زهرة الكيمياء بين تحولات المعنى ومعنى التحولات " ص 11 .

3 – د. عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، ط 1 ، 2000 ، ص 48 .

4 – السابق ، ص 45 .

5 – اتجاهات الشعر العربي ، ص 49- 50 .

1 – الألفاظ المبتذلة والتعبيرات الدارجة :

لقد حفل الشعر الاجتماعي الفلسطيني بعدد من الألفاظ والتعبيرات العامية الدارجة ، أو الفصيحة المبتذلة الشائعة على ألسنة الناس ، ولكنها كانت وثيقة الصلة بمشاعر الشاعر ونفسيته، قوية الإيحاء بالمضمون المراد " وقد أصبح من واجبات سوسيولجيا الأدب في العصر الحديث دراسة النص من حيث علاقته بالقيم السائدة ، وأصبح الربط بين لغة النص وهذه القيم من اهتمامات الناقد " [1] ، كما حملت بعض قصائد الشعراء لغة ركيكة مبتذلة تعكس روح الاضمحلال والمحاكاة البليدة والجري وراء القافية ، التي ألح بعضهم في طلبها لإثبات مقدرته على النظم .

ومن أمثلة الألفاظ المبتذلة ما ورد في أبيات الشاعر " ماجد الدجاني " في ديوانه " قمر على شباكنا " ، فقد استخدم بعض الألفاظ الأعجمية والعامية مثل (المرجرين ، وشوال الطحين) في وصفه لحياة الفقراء واللاجئين الذين ينتظرون كرت الشؤون، فيقول[2] :

سلام على الراصدين شوال الطحين ولتراً من المرجرين

وكرت الشؤون

سلام على الراكعين على الرافضين على القابضين

على القائمين على القاعدين

على الصائمين

ومن الألفاظ المبتذلة التي استخدمها الشاعر " ماجد الدجاني " كلمة (جيفة) في وصفه للمناضل الذي بدأ يبحث عن وظيفة في إحدى وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية، واستخدام هذه اللفظة المبتذلة يزيد من رداءة الشعر من الناحية الفنية ، يقول [3] :

فعلام تبحث في دهاليز الوزارة عن وظيفة ؟

وعلام ترضى أن تصير اليوم جيفة ؟

أتراك ترضى أن تكون عن النضال الحر عاطل ؟

لتكون في إحدى دوائرهم مراسل ؟

وفي استخدامه لفظ (شرش) في وصفه لاستحكام الجشع في النفوس،ولفظ (نز) عن الصديد ، ألفاظ دارجة عامية لا ترقى إلى لغة الشعر ، يقول[4] :

---

1 – د. داوود سلوم ، سوسيولجيا النقد العربي القديم ، مراجعة : محمد أحمد ربيع ، مؤسسة المختار ، ط1 ، 2002 م ، ص 46 .

2 – ديوان قمر على شباكنا ، ص 70 .

3 – السابق ، ص 77 .

4 – السابق ، ص 82 .

ألست ترى كيف شرش فينا الجشع ؟
ألست ترى كَلْمنا كيف نز الصديد وكيف اتسع ؟
الست ترى أننا نسبق الكائنات الدنيئة في الانقسام
ولو في النزع ؟

وهذا التكرار للسؤال (ألست ترى ؟) تكرار مخل ، لا ينم عن قيمة فنية أرادها الشاعر ، أو دفق نفسي يعبر عنه .

ومن الألفاظ المبتذلة ما استخدمه الشاعر " خالد سعيد " في تكراره للفظة (الحذاء) عند حديثه عن دور المرأة في مقاومة الاحتلال ، وتصديها لهم بحذائها ليفكوا سراح ابنها ، يقول [1] :

رفعت على جند اليهود حذائها	سباً وشتماً ما أعز أداءها
قد أرعبت بحذائها رشاشهم	قد صوبوه فلم يهز رداءها
هي لوحته وهددت بحذائها	طغيانهم كي يفلتوا أبناءها
هذا الحذاء سلاحُ أمٍّ أَبْصَرَت	نار المذلة أحرقت أحشاءها

وهناك ألفاظ عامية استخدمها الشاعر " خالد سعيد " مثل (بابا ، ماما) في وصفه للفقراء في فصل الشتاء ، عندما يهجم عليهم الماء من كل حدب وصوب ، ويصيح الطفل بوالديه لينقذاه، ونجد في نهاية البيت كلمة (قد) التي جاءت لتحقق مطلب القافية ، يقول [2] :

يهجم الماء من السقف على خد	طفل فوقه الدمع جمد
تأخذ الطفل المعنى رعشة	صاح "بابا" ثم "ماما" ثم قد

وقد استخدم الشاعر " صالح فروانة " لفظة (غنم) في وصفه لنظرة الأغنياء للفقراء ، عندما عقد مقارنة بين حياة الأغنياء وحياة الفقراء ، يقول [3] :

وغيرهم غنم
يسد جوعهم
مجموعة من القيم
وبعض ما يحصلون
من معونة البطالة
وهيئة الأمم

[1] – ديوان حجر وشجر ، ص 65 .
[2] – السابق ، ص 109 .
[3] – ديوان مفردات فلسطينية ، ص 61 .

لقد مال الشعراء الفلسطينيون إلى استعمال الألفاظ والتعبيرات الدارجة ، وإن كانت فصيحة ، ولكنها كثر جريانها على ألسنة الناس ، وأصبحت تحمل إيحاءات شعبية وصوراً نابعة من القلب .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر " توفيق زياد " وهو من القلائل الذين أجادوا استخدام الألفاظ الدارجة والمبتذلة لتوحي بالغرض المنشود ، فنجده يستخدم بعض الألفاظ مثل (اللف ، الفذلكة ، تطريز الكلام ، أكل الدهر عليها وشرب) وذلك في معرض سخريته من الخونة والعملاء والمرتدين ، يقول [1] :

يهرب المرتد .. من كل المبادئ
منكراً كل المبادئ
ويغطي الهرب المخجل باللف
وتطريز الكلام
واحتراف الفذلكة
وادعاءات قديمة
أكل الدهر عليها وشرب

ونجد أيضا استخدامه للتعبير الدارج (الصيد في الماء العكر) ، (الرقص على الحبل) عند حديثه عن الزمان الصعب ، وتبدل الأحوال ، يقول [2] :

ويصير الصيد في الماء العكر
مهنة مربحة .
في الزمان الصعب تضحي البهلوانيات
والرقص على الحبل
فنوناً رائجة

ومن التعبيرات الدارجة التي استخدمها الشاعر " رفيق أحمد علي " في وصفه للعيد (يا مقرب البعيد) ، يقول [3] :

العيد كل شيء في حياتنا سعيد
لولا كآبة بقلب أم وحداد
على ابنها الأسير أو وحيدها الفقيد
العيد يا مقرب البعيد .

---

[1] - ديوان أنا من هذه المدينة ، ص 97 .
[2] - السابق ، ص 91 .
[3] - ديوان النقش على الهواء ، ص 88 .

ومن الألفاظ الدارجة التي نجدها عند " رفيق أحمد علي " في شعره الاجتماعي ، عند وصفه للأم وتربية الأولاد (تكنسين ، تنظفين ، تخبزين ، تصنعين) يقول[1]:

وما تزالين تدبرين

فها هنا أراك تكنسين

وها هنا محنية الظهر تنظفين

وها هنا بجانب التنور تخبزين

وأجمل الطعام تصنعين .

ويأخذ الشاعر " عز الدين المناصرة " اللفظ الشعبي (شاف) الذي كثر استخدامه على ألسنة العامة ، وذلك عند حديثه عن الصداقة وتصوير تضحية الصديق ووفائه لصديقه ، يقول [2] :

أخيراً بكى صاحبي حين عز الصديق

عندما (شاف) كرسيه شبه مشروخة

ثم قال : أموت أنا ... أو تموت

قلت : خذه ... لكي لا يموت رفاق الطريق .

وأجاد الشاعر " أحمد دحبور " في توظيفه للألفاظ والعبارات الدارجة ، مثل (عجل يا حمار الشغل ، هذا مكان الشغل ، أم تحسبه حضن ماما) ، وذلك عند نقده للمعاملة القاسية التي يتعرض لها الأطفال الفقراء ، الذين اضطرتهم ظروف الحياة القاسية للبحث عن عمل ليسدوا به رمق جوعهم وحاجاتهم ، يقول [3] :

ويأتيني الصراخ انتقاماً :

" كومة الفحم هنا " ،

" وهناك المعدن الجاهز للنقل " ،

" عجل يا حمار الشغل " ،

" هذا مكان الشغل " ، "

" أم تحسبه حضن ماما ؟ "

ومن الذين غاصوا في أعماق المجتمع ، ورصعوا قصائدهم بتلك التعبيرات الدراجة والألفاظ الشعبية ، التي تحمل إيحاءات مؤثرة ، ودلالات نفسية جياشة ، الشاعر "المتوكل طه" ،

---

1 – السابق ، ص 144 .

2 – ديوان لا أثق بطائر الوقواق ، ص 199 .

3 – ديوان كسور عشرية ، ص 41 – 42 .

فله في وصف حياة العمال البؤساء ، والمعاناة التي يلاقونها ألفاظ دارجة مثل (الصرة، الشغيلة، الورشة) ، يقول [1] :

حمل الصرة ، وافتتح الباب بآية قرآن

ألقى للشغيلة جملته المعتادة :

صباح الخير

وانطلقت بهم السيارة نحو الورشة .

ومن تعبيراته الشعبية ما جاء في شعره عن مقتل العمال السبعة أثناء ذهابهم إلى عملهم داخل الخط الأخضر،ومنها(أبوك المشروخ من الفخذين إلى الكتفين) ، (من يقدر أن ينظر في عيني زوجته) ، (صرته في الطرقات) ، فالتعبير الأول يوحي بمدى الألم والمعاناة التي يلاقيها العامل ، حتى وصلت به إلى حد الاستشهاد ، والتعبير الثاني يدل على الخجل من النظر في عيون زوجة العامل المغدور، أما الثالث فيبين مدى المأساة ، فقد تناثرت صرته في الطرقات ، يقول [2] :

من يقدر أن ينظر في عيني زوجته الواسعتين ،

ويقول لها قد مات ؟

أو يبعد عن عيني طفلته سرب جنازته

ويقول لها : في هذا النعش أبوك المشروخ

من الفخذين إلى الكتفين ،

وصرته في الطرقات .

وفي وصفه لحياة الفقراء البسطاء ، يستخدم الشاعر ألفاظاً دارجة وعامية قريبة من واقعهم ، مثل (تحلب عنزتها ، تجبن ، تخبز كردوشين) وأيضاً استخدامه للتعبير الدارج (يجبر كسري يا جبار) ، هذه التعبيرات تتعلق بحياة الفلاح الفقير وما يعانيه من قسوة العيش وشظفه ، يقول [3] :

والزوجة تحلب عنزتها

وتجبن ما يبقى من لبن

وتخبز كردوشين مع الفجر وضعفهما للعصر ..

وقبل النوم وبعد النوم تصلي ،

تفتح كفيها ، وتحملق داعية :

---

1 – ديوان حليب أسود ، ص 57 .

2 – السابق ، ص 58 .

3 – ديوان الرمح على حاله ، ص 138 .

ولد يا ربي

يجبر كسري

يا جبار

ومن الألفاظ المبتذلة استخدام الشاعر " عمر خليل عمر " للفظ (حمار، وبقرة) واللفظ الدارج (إبريق) عند حديثه عن التكافل الاجتماعي ومساعدة الآخرين ، يقول[1] :

كنا يا ولدي .. أهلاً وأقارب

إن ضاع حمار أو بقرة

قمنا فوراً نتبع أثره

أو شب بناحية الجيران حريق

أطفأناه جميعاً بالجرة ... والإبريق .

2 – التكرار :

ظاهرة التكرار سمة ميزت الشعر الاجتماعي الفلسطيني ، وبخاصة ذلك الذي يتصل بحياة الفقراء ، أو نقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية ، والتكرار إما لتأكيد المعنى وتقويته ، أو تصوير ما تجيش به نفس الشاعر من معانٍ وأحاسيس ، وأحياناً يكون التكرار مخلاً ، ينم عن ضعف إبداع الشاعر وعدم مقدرته اللغوية ، فتهرب منه الألفاظ ولا تسعفه حين يطلبها .

ومن أمثلة التكرار ما ذكره الشاعر " هارون هاشم رشيد " من تكرار الفعل المضارع (تشكو) أكثر من أربع مرات في قصيدته ، عند حديثه عن تبدل الأحوال ، وتنكر الزمان لزوجة الشهيد ، ونقض الأصحاب و الأهل للعهود ، وهذا التكرار استدعاه إحساس الشاعر وعاطفته المشبوبة بالألم ، وهو يرى ما حل بزوجة الشهيد بعد استشهاد زوجها ، وما تجده من معاناة بعد فراقه ، يقول [2] :

تشكو إلي زمانها ، وشقائها

تشكو الألى نقضوا العهود وبددوا

تشكو لي الأهل الألي كانت لهم

قلباً ، وعيناً ، لا تكل لها يد

تشكو رفاق حبيبها ونجيها .

---

1 – ديوان مرثية الشرف العربي ، ص 8 –9 .

2 – ديوان طيور الجنة ، ص 115 .

كما نجد الشاعر " هارون هاشم رشيد " يكرر الأسئلة ، وهي أسئلة مثقلة بالأسى والحزن ، وذلك حين حديثه عن الشهيدة الطفلة " إيمان حجو "، يقول[1] :

يا ملاكي

من ترى أحدث هذا الجرح

في الجسم الجميل ؟

من ترى عكر صفو النور

في الليل الثقيل ؟

من ترى هذا الذي

دق على بابي ؟

ومن هذا الدخيل ؟

وقد كرر الشاعر " عبد الكريم السبعاوي " عبارة (انهض وقاتل) ثلاث مرات، وهدفه من هذا التكرار الحض على المقاومة، والتحريض على القتال وعدم الاستسلام ، والتكرار هنا محمود إذا كان لغرض يهدف إليه الشاعر ، يقول [2] :

وإما سقطت على الأرض

فانهض وقاتل

وانهض وقاتل

وانهض وقاتل

ومن أمثلة التكرار التي تعبر عن دفق نفسي هائل ، وتوحي بمدى المرارة والغصة في حلق الشاعر " ماجد أبو غوش " من أولئك الذين باعوا وطنهم وتركوه وهاجروا بحثاً عن العيش الهنيء ، وجرياً وراء المال ، فيكرر عليهم أسئلته التي تلهب ظهورهم بسياطها ، وهو يقول لهم (ماذا تبقى لك) ، (ماذا تبقى منك) ، وتكراره للفظ (فقدت) توحي بأنه خسر كل شيء ، وركض خلف الدولار ، يقول[3] :

ماذا تبقى لك

وقد تركت البلاد

.....

ماذا تبقى لك ؟

ماذا تبقى منك ؟

---

[1] – ديوان قصائد فلسطينية ، ص 73 .

[2] – ديوان متى ترك القطا ، ص 85 .

[3] – ديوان ماذا قالت لي الأرض ، ص56 – 57 .

وقد فقدت النوم على حجر أمك
فقدت رضاها عليك
فقدت نظرتها الحانية
ماذا تبقى منك ؟

ويكون التكرار عند الشاعر لجذب الانتباه وزيادة التأكيد ، كما جاء في قصيدة (هنا النقب) للشاعر " كمال غنيم " ، حيث كرر لفظ (هنا) في القصيدة تسع مرات ، وذلك رغبة من الشاعر في تسليط الضوء على معاناة المعتقلين في سجن النقب ، وتحملهم للأذى والألم ، وصبرهم وجلدهم في وجه أعدائهم ، يقول [1] :

هنا النقب
هنا موج ولا صخب
هنا الصحراء يا وطني
هنا بحر بلا ماء على الأشواك ينتحب .
......
هنا النقب
هنا نار ولا لهب
هنا دمنا على قبر سينسكب

كما كرر الشاعر " كمال غنيم " لفظ (أمي) بشكل متفرق في قصيدته بعنوان " أمي " ، وكان ذلك التكرار محموداً يعبر عن مشاعر جياشة وأحاسيس صادقة ، ويثير لواعج الحنين والشوق لأمه ، التي جاءت لتراه – أثناء اعتقاله – في يوم المحكمة ، ولكن سلطات الاحتلال لم تسمح لها بالدخول ، فشاهدها من بعيد من خلف الأسلاك ، وهي تبكي لعدم رؤيتها حبيبها ، فجاء تكرار الشاعر لكلمة (أمي) تعبيراً عن دفق نفسي هائل يموج في صدره ، فيخرجه شحنات صادقة، يقول [2] :

أمي ناديتك يا أمي	والسلك الشائك يجرحني
أمي ناديتك محموماً	ويداي تلوح في وهن
ومضيت وقافلة الأسرى	وعيونك أمي تتبعني
أمي رحماك فلا تبكي	أمي فبكاك يعذبني

---

1 – ديوان شروخ في جدار الصمت ، ص 126 – 127 .
2 – السابق ، ص 125 .

ومن مظاهر التكرار التي ميزت الشعر الاجتماعي تكرار المقطع ، كما ورد عند الشاعر " عبد العزيز الرنتيسي " في قصيدته (لا تسألني) ، إذ كرر الشاعر المقطع(لا تسألني) في مطلع قصيدته ست مرات ، وهذا يؤدي إلى استثارة العواطف ، وبعث لواعج النفس وتفريغ الشحنات النفسية لدى الشاعر ، وهو يبكي وطنه السليب ، وحال اللاجئين الفقراء ، يقول [1] :

لا تسألني يا بني عن الديار عن الضياع

لا تسألني أين كنا يوم آلت للضياع

لا تسألني عن خيام العار في كل البقاع

لا تسألني عن ثياب الخيش تسكنها الرقاع

لا تسألني عن فتات الغرب يلقى للجياع .

وكرر الشاعر " معاذ الحنفي " الأسئلة مستخدماً (كم) الاستفهامية ، لتصوير طول السنين التي يقضيها المعتقلون في السجن ، وهذا التكرار قصد منه الشاعر بيان المعاناة التي يلاقيها المعتقلون داخل السجن ، يقول [2] :

تتراكم السنوات

كم عمراً يثور ويشعل الأشواق ؟

كم عاماً توزع للورود ؟

كم عاماً ستهدي للمخيم ؟

كم ربيعاً تطحن السنوات

كم ...... ؟

وتكرار الشاعر " عثمان أبو غربية " للاستفهام (هل جئت) في قصيدته " عدنا " ، يوحي بمدى العاطفة الصادقة الممزوجة بالحزن والأسى لما حل بمجتمعه، بعد عودة القوات الفلسطينية ، وتشكيل السلطة الوطنية ، فقد تغيرت الأحوال وتبدلت ، وتحكم في رقاب الشعب حفنة من الخونة والمندسين ، كما يقول الشاعر [3] :

هل جئت كي يتسلم الشيطان مفتاح العرين

أم جئت كي تمضي وتبتعد الأيائل

هل جئت كي يتعبد المدسوس في محراب وقتك

ويقسم الشعب الموحد في شعوب أو قبائل

---

1 – ديوان حديث النفس ، ص 32 .

2 – ديوان أعلق في ليلك الليلك ، ص 58 .

3 – ديوان عدنا ، ص 13 .

هذه بعض النماذج لاستخدام الشعراء للتكرار في شعرهم الاجتماعي ، والذي جاء في أغلبه ليعبر عن إلحاح داخلي لديهم ، وكأن اللفظ الواحد أو المقطع الواحد لا يفي بما يريد الشاعر من معانٍ ، فقد جاء التكرار لفائدة أرادها الشاعر ، وليس لغواً مخلاً ناجماً عن ضعف مقدرته اللغوية .

3 – التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه :

لقد تأثر الشعراء الفلسطينيون في شعرهم الاجتماعي بمعاني القرآن الكريم ، واقتبسوا كثيراً من ألفاظه ، وسأذكر هنا بعض النماذج لشعراء تأثروا بالقرآن واقتبسوا منه ، فهذا الشاعر " سليم الزعنون " يكثر في شعره العودة للقرآن الكريم ، إذ " يعد استلهام النص القرآني من أبرز سمات شعر الزعنون "[1] ، فمثلاً يقول[2] :

شهيد الله حي في ممات   وكم أحياء ما خطروا ببالي

يظهر تأثره بقوله تعالى : { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }[3]

ومن تأثره بالقرآن أيضاً واقتباسه من ألفاظه قوله[4] :

وأشداء في العدا .. رحماء   بينهم يمكث الوداد مصانا

وهو من قوله تعالى : { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ }[5].

ومن تأثره بمعاني القرآن ، قوله[6] :

ولا تأكلن لحم امرئ متعفف   وصاحب رأي للأمانة راعيا

وذلك تأثر بقوله تعالى : { وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }[7] .

---

1 – في نقد الأدب الفلسطيني ، " شاعرية سليم الزعنون وخصائصها الفنية " ، ص 168 .

2 – ديوان وهكذا نطق الحجر ، ص 116 .

3 – سورة آل عمران ، الآية 169 .

4 – ديوان وهكذا نطق الحجر ، ص 139 .

5 – سورة الفتح ، الآية 29 .

6 – ديوان نجوم في السماء ، ص 211 .

7 – سورة الحجرات ، الآية 12 .

وأيضاً من الذين اقتبسوا من ألفاظ القرآن الكريم الشاعر " علي الخليلي " في قوله [1] :

ولا يمنعون الماعون

وهم حفاة عراة

وهو من قوله تعالي : { وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } [2] .

وهناك الشاعر " سميح القاسم " اقتبس من القرآن عبارة (وبئس المصير) في قوله [3] :

وليس لكرت الإعاشة ليس لكرت الإعاشة

في جبنة الغوث موت صغير

وبئس المصير

وهذه العبارة كثيراً ما جاءت في القرآن الكريم بعد ذكر جهنم ، كقوله تعالي : { وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [4] .

وقد تأثر الشاعر " المتوكل طه " بمعاني القرآن الكريم ، كما في قوله [5] :

هذي الحياة مهمة للاختبار

نجدها في قوله تعالي : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } [6] .

ومن تأثره بالقرآن حديثه عن الموت قائلاً [7] :

وخلفها الموت اتباعاً

لا يؤخر أو يزيد

يختار من سقط الكتاب عليه ، ولا ،

لا يرعوي إن كان هذا الميت

شيخاً أو رضيعاً ،

أو مليكاً أو وضيعاً ،

فهو سهم

لا يرد ولا يحيد .

---

1 – ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، ص 10 .

2 – سورة الماعون ، الآية 7 .

3 – ديوان القصائد المجلد الثالث ، ص 440 .

4 – سورة الملك ، الآية 6 .

5 – ديوان نقوش على جدارية محمود درويش ، ص 49 .

6 – سورة الملك ، الآية 2 .

7 – ديوان نقوش على جدارية محمود درويش ، ص 49 .

وهو متأثر بقوله تعالى : { وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }(1).

4 – التأثر باللغة العبرية :

تأثر الشعراء الفلسطينيون بالمجتمع الإسرائيلي في العديد من جوانبه ، ومن بين هذا تأثرهم بلغته ، فقد دخلت مجموعة من الكلمات العبرية في أشعارهم ، ويعود هذا التأثر لواقع الاحتلال المسيطر على جميع جوانب الحياة الفلسطينية ، ووجود عدد كبير من العمالة الفلسطينية التي كانت تعمل داخل الأراضي المحتلة عام 1948 م ، وأيضاً وجود المعتقلات والسجون الإسرائيلية ، فقد ظهر جلياً استخدام الشعراء لمفردات عبرية من واقع الأسر ، ومن بين الذين استخدموا هذه الألفاظ في شعرهم الشاعر " المتوكل طه " ، حيث ضمن شعره عدداً من المفردات العبرية المتداولة على ألسنة المعتقلين ، أذكر منها كلمة (مجاشات) وهي كلمة عبرية يراد بها الأواني التي يوضع فيها الطعام للمعتقلين، وأيضاً كلمة(مشاتيح) وهي عبارة عن ألواح خشبية ينام عليها المعتقلون ، فيقول (2) :

وقليل من طعام في " المجاشات "

ولا ماء هناك

و" مشاتيح " ترامت لغسيل الموت كانت ..

ونجد استخدامه لكلمة (شيك) ، وهي كلمة عبرية بمعنى الأسلاك الشائكة التي يضعها الاحتلال حول خيام المعتقلين ، وذلك في قوله (3) :

والمدى " شيك " من الأسلاك والخوف ،

وأبراج من الموت

ويستخدم الشاعر هذه الكلمة " شيك " في ديوان آخر ، حين يصور هذه الأسلاك الشائكة المحكمة تقف حائلاً بينه وبين أن يرى ابنته " نوار " ، التي جاءت للحياة بعد دخوله السجن ، ولكنه لم يرها ، فيقول (4) :

لأني لم أر نوار

فالقضبان والمنفى وهذا الرمل

والأبراج و" الشيك " الطويل المحكم المجدول

---

1 – سورة المنافقون ، الآية 11 .

2 – ديوان رغوة للسؤال ، ص 74 .

3 – السابق ، ص 73 .

4 – ديوان فضاء الأغنيات ، ص 107 .

يمنعني .

ويزيد من تأثر الشاعر " المتوكل طه " بواقع الأسر ، استخدامه لأسماء السجون والمعتقلات باللغة العبرية، مثل(كتسعوت) في قوله [1]:

ولن أصدق غير جمهورية الأبطال
في اصطبلات خيل " الفارعة "
أو مردوان " الظاهرية "
والحظائر في " عناتا "
في الخيام " بكتسعوت "
وفي " مجدو "
في بركسات التجمع في " بيتونيا "
في ظلام قيود " عتليت " الرهيب .

وممن ضمن بعض الألفاظ العبرية في شعره الشاعر" سليم الزعنون " ، فقد استخدم كلمة (الشاباك) ، فـ" الشاباك " هو جهاز أمني إسرائيلي يختص بالأمن الداخلي ، ومن أولوياته الأمن في الأراضي المحتلة عام 1967 م ، وهو الجهاز المسئول عن إسقاط العملاء وتجنيدهم لصالحه ، يقول الشاعر [2] :

من ذا سيسعف ضابط " الشاباك " قد صار ممدوداً بغير حراك
كم أوقع الأغـرار في أحبالـه ومضى بهم للبؤس والأشواك
يا قلة العملاء ثوروا واقتلـوا من كان جندكم من " الشاباك ".

هذه بعض النماذج الشعرية ، ممن تأثر أصحابها باللغة العبرية ، أوردتها على سبيل المثال لا الحصر ، فالمقام لا يتسع لبيان أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني ، فهذه بحاجة لدراسة مستقلة [3] .

5 – التأثر بالتاريخ :

لقد ضمن الشعراء التاريخ في أشعارهم ، واتكأوا على الشخصيات والأحداث التاريخية للتعبير عما يريدون ، وذلك من خلال الإلماح أو الإشارة ، من أجل استثارة الماضي والتذكير

---

[1] – السابق ، ص 80 – 81 .

[2] – ديوان نجوم في السماء ، ص 245 -- 246 .

[3] – راجع : د. جمال أحمد الرفاعي ، أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني ، دار الثقافة الجديدة .

به ، واستخلاص العبر والعظات منه ، ومن الشعراء الذين استخدموا الدلالة الإشارية للتاريخ الشاعر " جمال قعوار " في قوله [1] :

ما كان يوسف بين إخوته
سوى رمز
تردد منذ بدء الخلق
لم يستثن حتى الأنبياء ،
مذ قتل هابيل
تعود وجه هذي الأرض
رائحة الدماء
باعوا المسيح بفضة
قتلوا الحسين بكربلاء ،
خنقوا بيوت الله .

يشير الشاعر في هذا النص إلى الظلم والجريمة الواقعة على وجه البسيطة ، منذ خلق الله الأرض ، فالصراع بين الحق والباطل أزلي ، ويستدعي الشاعر هنا قصة سيدنا يوسف مع إخوته ، عندما وضعوه في البئر ليستريحوا منه ، ويخلو لهم وجه أبيهم ، وقتل قابيل لأخيه هابيل حسداً ، لأن الله تقبل منه قربانه ولم يتقبل قربان قابيل ، وأيضاً تخلي النصارى عن المسيح مقابل المال ، كما يذكر مقتل سيدنا الحسين في كربلاء ، وتنكر أشياعه له وعدم نصرته.

والشاعر في هذه الإشارات التاريخية يسعى إلى بيان حقيقة الصراع في هذه الدنيا ، وأنها قائمة على القتل والدماء ، والحق والباطل فيها في تناحر إلى يوم الدين ، ويهدف إلى إشاعة عدم اليأس والقنوط ، وبث روح التفاؤل والأمل ، فالعاقبة ستكون للحق وأتباعه .

ويلمح الشاعر " أحمد دحبور " للتاريخ الإسلامي ، في ذكره " كربلاء " ومقتل سيدنا الحسين ، فيقول [2] :

ولم نزل في كربلاء ،
وإن تنقلت البلاد ،
فغيرت في دربها الأسماء .

---

[1] – ديوان شجون الوجيب ، ص 45 .

[2] – ديوان أي بيت ، ص 123 .

والشاعر في هذا التلميح لقصة مقتل الحسين ، وتنكر أشياعه وخذلانهم له ، يريد أن يمثل بما حصل للشعب الفلسطيني ، وتركه وحيداً في قبضة الاحتلال الصهيوني ، وتخلي المسلمين والعرب عنه ، ليواجه مصيره المحتوم .

ويستخدم الشاعر " ماجد الدجاني " الدلالة الإشارية للتاريخ ، في بعثه لحرب البسوس ، ليذكرنا بأسباب وقوعها ، لنستخلص العبر والعظات ، فـ" كلما مزج النص بين التراث والمعاصرة ازداد كثافة وأصالة " [1] ، يقول الشاعر [2] :

وعادت إلى الدرب حرب البسوس
وجمر التشهي يحرق منا الجسد
فكيف تبشرنا بالبلد .

وهو في هذه الإشارة العرضية يحاول أن ينبهنا إلى خطر المدسوسين والعملاء ، في إذكاء نار الحرب الأهلية والخلافات الحزبية ، باستدعاء الرمز التاريخي " البسوس " ، التي كانت سبباً في حرب طاحنة بين قبيلتي بكر وتغلب ، استمرت أعواماً عديدة .

ويوظف الشاعر " خضر محجز " الرمز التاريخي نفسه " البسوس " محذراً من الوقوع في نار الفتنة ، ولهيب الحرب والاقتتال الداخلي ، فيقول [3] :

هذي اختلاجاتي الأخيرة
فاحذروا أحلامكم من قبل أن تصحو
البسوس
هذي نصيحة من أضاعته انحناءات الكلام
من الكلام .

وهو أيضاً في هذه الإشارة العرضية يلفت النظر إلى البسوس ، والفتنة التي أوقعتها بين قبيلتي بكر وتغلب .

---

1 – مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الأول ، أكتوبر 1980 م ، ص 194 . د. سيزا قاسم " البنيات التراثية في رواية وليد بن مسعود لجبرا إبراهيم جبرا " .

2 – ديوان قمر على شباكنا ، ص 83 .

3 – ديوان اشتعالات على حافة الأرض ، ص 74 .

ويلمح الشاعر " كمال غنيم " إلى دور الصحابيات في المشاركة في الجهاد ضد الأعداء ، من خلال استدعاء صورة الصحابيتين " نسيبة بنت كعب " و " خولة بنت الأزور "، وما كان لهما من دور في الدفاع عن الإسلام ، ومشاركة الصحابة جهادهم ، يقول [1] :

(نسيبة) أشرعت معها سيوفاً   و(خولة) جيشت جيش المحال

والشاعر في هذا التلميح لهاتين الصحابيتين يقدم دلالات عميقة، تفسر رؤيته وموقفه من المرأة ومشاركتها في الجهاد ضد الاحتلال .

***

وإجمالاً فقد امتازت لغة الشعر الفلسطيني الاجتماعي بالسهولة واليسر ، وذلك لأنه يطرق موضوعات لها صلة قوية بالمجتمع ، فهو يحتاج إلى الوضوح في الألفاظ والعبارات ، فتكون هذه الألفاظ قريبة من إدراك المواطن وفهمه ، ودون الخروج عن المألوف في لغتنا ، والابتعاد عن الكلمات الغريبة الوحشية ، فإن " اللفظ الجيد ، هو الذي تتباعد مخارج حروفه ، فيسهل نطقه ، وينبغي أن يكون حسن الوقع على السمع ، وألا تكون الكلمة حوشية غريبة غير مألوفة الاستعمال ، وألا تكون عامية مبتذلة ، أو ساقطة سوقية "[2] ، ومن دواعي السهولة في الألفاظ ملاءمتها للموضوع الذي اختيرت من أجله ، وليس معنى ذلك أن نهبط بلغة الشعر إلى الهاوية ، فهذا دليل الإسفاف والركاكة ، لأن "الكلمات ليست أحجاراً كريمة ، ملقاة في حقل الطبيعة بإهمال ، وما على الشاعر سوى التقاطها ، فإن تلك الجواهر قد يشحب لونها ، وينطفئ بريقها في سياق ، وقد تصبح خاملة في مساق " [3] .

لذا فقد وجدت من خلال ما أوردته من نماذج للشعر الاجتماعي ، أن المستوى اللغوي للشعراء ينم عن السهولة العذبة والوضوح ، وأن الشعر الاجتماعي ينفرد بمزية السهولة واليسر في الألفاظ والعبارات أكثر من غيره .

ثانياً : الأسلوب :

الأسلوب هو طريقة الشاعر الخاصة في رؤيته للأشياء وفي التفكير والشعور ، ونقل هذا التفكير والشعور للآخرين ، وبقدر ما ينجح الشاعر في نقل ذلك للآخرين يكون أسلوبه جيداً " لذلك يحاول الشاعر الحديث أن يجعل الشعر خصباً ، ويحمله أقصى درجات الحقيقة والتأثير

---

1 – ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص 219 .

2 – د. نبيل أبو على ، شاعرات عصر الإسلام الأول ، دار الحرم للتراث ، القاهرة ، ط 1 ، ص166 .

3 – القول الشعري ، ص 179 .

الشعري ، ويقدم لنا التجربة بكل ما فيها من تراكب وتعقيد "[1] ، وتؤثر البيئة التي يعيش فيها الشعراء على أساليبهم التي يعبرون بها، فنجد تأثير البيئة الفلسطينية على أساليب الشعراء الفلسطينيين ، حيث امتازت أساليبهم في التعبير عن مشاعرهم ووجدانهم عن غيرهم من شعراء الوطن العربي .

أبرز السمات الأسلوبية للشعر الاجتماعي الفلسطيني :

1- الأسلوب الخطابي :

برز في الشعر الاجتماعي الفلسطيني الأسلوب الخطابي التقريري ، الذي يحمل صفة الوعظ والإرشاد تارة ، ويشحذ الهمم ويقوي العزيمة تارة أخرى ، وهذا الأسلوب الخطابي أنسب للنقد الاجتماعي ومعالجة المشاكل الاجتماعية ، والدعوة لعمل الخير ، والتحذير من العملاء والخونة ، إلى غير ذلك .

ومن أمثلة استخدام الشعراء للأسلوب الخطابي المباشر ، قول الشاعر " عبد الكريم السبعاوي "[2] :

ستمضي الحياة بنا وبكم
وتكمل دورتها الأرض جيلاً فجيل
سيكبر أطفالكم ذات يوم
ويمضون عبر الطريق الطويل
وسوف تحسون كم هي فادحة لحظات الرحيل
على قلب أم وأب .

قال الشاعر هذه القصيدة عند زفاف ابنته ، موجهاً خطابه لها ولعريسها ، بأن هذه هي سنة الحياة ، فستدور بهم الأيام ، ويقفون الموقف نفسه، وعندها فقط سيحسون نفس شعورهم ، ويعيشون هذه اللحظات الصعبة على قلب كل أب و أم عندما تخرج ابنتهم عروساً إلى بيت زوجها .

ومن الأسلوب الخطابي ما قاله الشاعر " هارون هاشم رشيد " على لسان ابنة الشهيد ([3]) :

أنا بنت الشهيد ، ومن كمثلي   ببذل أبيه ، معتزاً تباهي

---

[1] - فن الشعر ، ص 95 .

[2] - ديوان متى ترك القطا ، ص 100 - 101 .

[3] - ديوان طيور الجنة ، ص 120 .

أبي بالروح جاد ، فما يبالي بما بعد الشهادة ما تلاها

فابنة الشهيد تفاخر غيرها من الفتيات بأبيها ، الذي قدم روحه رخيصة في سبيل الله، راجياً النعيم المقيم الذي أعده الله للشهداء .

وأيضاً استخدام الشاعر " علي الخليلي " للأسلوب التقريري ، عند حديثه عن مقتل الطفل " باسم يوسف شواهنة " على الحاجز العسكري ، وعمره أقل من شهر ، ويستخدم الشاعر ضمير المتكلم (أنا) ، ليجري حديثاً على لسان الطفل الرضيع قائلاً [1] :

أنا الشاطر حسن
أنا الرضيع شاكر يوسف شواهنة
من قرية رأس طيرة في قلقيلية
عمري واحد وعشرون يوماً فقط ،
أوقفني الحاجز العسكري
قبل الوصول إلى مستشفى طولكرم
فاشتعلت الالتهابات الحادة في رئتي
وبكت سيارة الإسعاف الملتاعة بي .

2 – الأسلوب القصصي :

اعتمد الشعراء الفلسطينيون في عدد من أشعارهم الاجتماعية على الأسلوب القصصي ، الذي يميل لمعالجة القضايا الاجتماعية ، وبرز من بين هؤلاء الشعراء الشاعر " هارون هاشم رشيد " ، الذي يقول في قصيدة مهداة للبطل " عبد الهادي غنيم " ، بطل عملية الحافلة رقم 405 على طريق القدس ، والذي يواجه حكماً بالسجن ستة عشر مؤبداً ، نذكر منها [2] :

فهناك في حضن النصيرات الذي
في الانتظار حبيبة تتوجد
هي أمه من أرضعته رجولة
وبطولة ، وبه تتيه وتسعد
تدري ، بأن طريقه ملغومة
تدري.. ويدري قلبها ، ويعدد
لكنها نذرته منذ وجوده

---

2 – هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، ص 15 – 16 .

[2] – ديوان وردة على جبين القدس ، ص 24 – 25 .

لبلاده .. وفؤادها يتنهد .

ويسجل في قصيدة أخرى دور المرأة الفلسطينية في صبرها وتحملها لسجن زوجها، ويتحدث هنا عن قصة زوجة الشهيد الشيخ " أحمد ياسين " ، أثناء وجوده في المعتقل ، يقول [1] :

حمل البرق ، صوتها .. والأنين وأتانا ، نداؤها والحنين

شيخها الباسل الأبي المرجى زوجها الطيب الكريم الحنون

في دجى السجن في شقاء لياليه مريض معذب ، مطعون

شيخها المقعد العظيم يقاسي لا طبيب ، ولا زائر ، ولا معين

واستخدم الشاعر " عبد الكريم السبعاوي " الأسلوب القصصي ، وذلك في معالجته لقضية المرأة وزواجها ، فهي تترك الأهل وتلتحق بزوجها ، وتذهب معه في كل الأماكن ، فقد تتغرب عن وطنها وأحبابها ، وهذه سنة الحياة ، يقول[2] :

منذ يومين

أستغفر الله منذ ثلاثة أيام

قل أربعة

كنت صبياً فتياً ..

أحب فتاة تربت معه ..

تزوجها .. واتبعته إلى آخر الأرض

تاركة أمها وأباها وأخوتها دون ذنب

حاملة صوراً من طفولتها

علقتها براويز فوق الجدار .

ويكتب الشاعر " عبد العزيز الرنتيسي " قصته مع بعوضة ، كانت تزوره كل ليلة في زنزانته ، فتمنعه النوم والرقاد، وقد أقام معها الشاعر ساخراً علاقة وطيدة ، وهو يهدف من خلال ذلك الأسلوب القصصي بيان معاناة الأسرى والمعتقلين في سجون الظلم والقهر ، ونورد هذه الأبيات من تلك القصيدة [3] :

في السجن لي رفيقة جميلة أنيقة

قوامها بديع نحيفة دقيقة

وبيننا أقيمت عاقة وثيقة

---

[1] – السابق ، ص 49 .

[2] – ديوان متى ترك القطا ، ص 99 – 100 .

[3] – ديوان حديث النفس ، ص 80 .

إن نمت أيقظتنـــي	بقبلـــة عمـــيقـــة
إن نمت أيقظتنـــي	أقل مـــن دقيقـــة
إن كان هذا هياماً	فبئست العشيقـــة
فعشقـــها غـــرام	عجزت أن أطيقه
سلوكهـــا غريب	لكنها الســـليقـــة
فإن أفقت غـــابت	لفهمها الحقيقـــة

وفي قصيدة " خذ قلبي " للشاعر " علي الخليلي " يعمد الشاعر للأسلوب القصـــصي فـــي تصوير جرائم الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني ، فلم تسلم من بطشه حتى النساء الحوامل ، كما يسجل ذلك الشاعر في قصيدته التي نذكر منها [1] :

لم ترشق حجراً ،
أمي الحامل بي في الشهر التاسع ، تتلوى فوق حصيرتها
لما كسروا يدها
لم ترشق حجراً
وانهالوا فوق الرحم بعشرة آلاف هراوة
لم ترشق حجراً ،
وأنا في الرحم الصادق والناطق .

3 - الأسلوب الرمزي :

لقد استخدم الشعراء الفلسطينيون الأسلوب الرمزي ، ولكنه ليس أسلوباً قائماً على الإيغـــال والغموض ، أو الطلاسم والأحاجي ، لا يستطيع القارئ أن يفهمه ، وينغلق عليه معرفة مكنوناته وإيحاءاته ، والسبب في ذلك – كما أظن – أن الشعر الاجتماعي بحاجة إلى الوضوح والسهولة، ليتمكن القارئ من فهمه واستيعابه ، حتى يحقق الغاية التي من أجلها كتب ، لذا استعان الـــشعر الاجتماعي في رمزيته بألفاظ قريبة من حياة المجتمع ، ومظاهر الطبيعـــة والتـــاريخ العربـــي والإسلامي .

يقول الشاعر " محمود درويش " بأسلوب رمزي [2] :

يقول الغريب كلاماً غريباً ، ويحفر في الأرض بئراً

---

[1] – ديوان سبحانك سبحاني من طينك طوفاني ، ص 20 .

[2] – ديوان أحد عشر كوكباً ، ص 44 – 45.

ليدفن فيها السماء ، يقول الغريب كلاماً غريباً
ويصطاد أطفالنا والفراش

فيرمز الشاعر بالغريب هنا للصهيونية ، التي تزعم أن أرض فلسطين هي أرض الآباء والأجداد ، وتحاول أن تثبت الحق التاريخي لليهود – كما تدعي – في فلسطين ، والبئر رمز لطمس الوجود العربي التاريخي في فلسطين ، وهو هنا يستحضر البئر الذي ألقي فيه سيدنا يوسف ، ليرتاح منه إخوته ، والسماء رمز للحق الواضح للفلسطيني في أرضه ، فلن يقدر بئر مهما اتسع أن تدفن فيه السماء .

ويستخدم الشاعر " محمود درويش " الرمز أيضاً في قوله [1] :

لن يفهم السيد الأبيض الكلمات العتيقة
هنا ، في النفوس الطليقة بين السماء وبين الشجر ..
فمن حق كولومبوس الحر أن يجد الهند في أي بحر ،
ومن حقه أن يسمي أشباحنا فلفلاً أو هنوداً ،
وفي وسعه أن يكسر بوصلة البحر كي تستقيم
وأخطاء ريح الشمال ، ولكنه لا يصدق أن البشر
سواسية كالهواء وكالماء خارج مملكة الخارطة .

فكولومبوس هنا رمز للرجل الأبيض الغربي ، الذي يعتبر نفسه السيد وباقي البشر عبيد عنده ، فهو لن يفهم تاريخ هذه الأرض الذي ينبض بعروبتها وفلسطينيتها ، فيحاول طمس تاريخها والسيطرة عليها ، كما فعل بالهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية ، فالعنصرية المقيتة تفوح من جنباته ، فهو لا يصدق أن الناس جميعاً متساوون كأسنان المشط ، كالماء والهواء .

ويستخدم الشاعر " أحمد دحبور" الأسلوب الرمزي ، فيوظف التاريخ باستدعاء الرمز التاريخي " كربلاء " ، ويستحضر الرمز الأسطوري لطائر " العنقاء " ، يقول[2] :

ولم نزل في كربلاء ،
وإن تنقلت البلاد ،
فغيرت في دربها الأسماء
وأن المنتشين بكأس منتصف الليل تبكيهم " أضاعوني " ،

1 – السابق ، ص 37 .
2 – ديوان أي بيت ، ص 123 .

فيضحك منهم الندماء
وأنك واحد يتكاثرون عليك ،
سوف تموت .. لولا أنك العنقاء .

فرمز " كربلاء " يجلب للذهن مقتل سيدنا الحسين بن علي – رضي الله عنه – وتخلي أشياعه عنه ، والشاعر يرمز بذلك للشعب الفلسطيني المقتول ، الذي تخلى عنه إخوانه العرب والمسلمين ، ولكن هذا الشعب لن يذوب أو ينتهي ، فهو كطائر " العنقاء " الذي يرمز به الشاعر لاستمرار حياة الشعب الفلسطيني ، فهو ينهض بعد كل ضربة يتلقاها أصلب عوداً وأشد ساعداً من قبل .

ويوظف الشاعر " أحمد دحبور " الرمز في موضع آخر [1] :

ولكني أحسك بين مذبحتين ،
لحمك عالق بمجنزرات الفيل ،
عظمك يطعن الأعداء ،
والغربان تنهش فيه .

فيرمز بالغربان إلى كل المتآمرين على الشعب الفلسطيني ، الذين يرونه يذبح صباح مساء ولا يحركون ساكناً ، بل يزيدون على ذلك وقوفهم بجانب الجلاد ضد الضحية، ويصور الاحتلال ومجنزراته بالفيل ، يطحن لحم الشعب الفلسطيني ، فيقاوم بعظامه ولكن الغربان تنهش فيه .

ويرمز الشاعر " كمال غنيم " بالذئب إلى الغدر والخيانة ونكران الجميل ، فيقول[2] :

ولم تمر ساعتان
إلا وأسفر العراك عن ذويئب رضيع
أصر صاحبي على حماية الجريح
***
ودارت الأيام دورتين
وعندها أظلنا الربيع
واستيقظت عيون صاحبي من نومها الفظيع
لم تبصر الخيول والقطيع
بل أبصرت بحيرة من العظام والنجيع .

---

1 – السابق ، ص 125 .
2 – ديوان شهوة الفرح ، ص 43 – 45 .

فكلمة ذويئب جاءت رمزاً للإنسان الذي ينكر المعروف ، ويغدر بمن قدم له جميلاً ، فبدل أن يكافئ الإحسان بمثله ، قابله بالإساءة .

4 – الحذف :

وهو من الظواهر الأسلوبية التي ضمنها شعراء فلسطين في شعرهم الاجتماعي ، وذلك إيماناً منهم أن القارئ قادر على تخيل المحذوف ، وإدراك ما يريدون من ورائه ، فيقدر هذا المحذوف .

يقول الشاعر " معاذ الحنفي " مستخدما أسلوب الحذف [1] :

تتراكم السنوات
كم عمراً يثور ويشعل الأشواق
كم عاماً توزع للورود ؟
كم عاماً ستهدي للمخيم ؟
كم ربيعاً تطحن السنوات
كم .... ؟

تبدو حالة الشاعر النفسية صعبة ، وانفعالاته ملتهبة ، وهو يعد سنوات العمر في داخل السجن لزميله ، فيوزع هذه السنوات على الأشواق والورود والمخيم ، ولكنها سنوات عديدة وطويلة ، وهي أكثر من أن تحسب بالعام أو اليوم ، لذا جاء الحذف بعد (كم) ليترك لخيال المتلقي العنان في إكمال عد السنوات وتوزيعها .

ويستخدم الشاعر " عبد الناصر صالح " الحذف في قصيدته " ثمة امرأة في الحديقة " يقول [2] :

قلت أحث الخطى نحوها
وتقدمت ،
لكنني عدت منكسراً مثل غيمة صيف
وتملكني الخوف
حين سمعت صدى الصوت يأتي
ورأيتهما ...

---

1 – ديوان أعلق في ليلك الليلك ، ص 58 ، 59 .
2 – ديوان فاكهة للندم ، ص 86 – 87 .

....

....

كانت الشمس ترسو بمينائها

وتواريت في الظل .

فلم يذكر الشاعر ما شاهد وما رأى ، لقد حذف كل ذلك ، ليترك للمتلقي تخيل الموقف لوحده، والحذف هنا إثارة للذهن والانتباه .

ويوظف الشاعر " هارون هاشم رشيد " الحذف في استثارة الاهتمام ، وتسليط الضوء على الآتي من الكلام ، وذلك عندما يقول [1] :

أحقاً ..

وتحت العصى ،

وضرباً .. يموت الغلام ؟

أحقاً ..

ولا تستفز الجماهير ،

سخطاً

ولا يستثار الأنام .

فالشاعر يحذف بعد كلمة (أحقاً) ، وذلك ليغرينا بمتابعة ما سيقوله لاحقاً ، ويشد انتباهنا إلى تلك الصورة التي يرسمها لقتل الطفل الصغير تحت عصي جنود الاحتلال ، ثم يعود ويكرر الحذف بعد (أحقاً) وبعدها كلام محذوف ، تركه الشاعر لفهمه ضمناً من قبل المتلقي ، وتقديره (أحقاً حدث هذا أمام العالم) .

ويقول الشاعر " سميح القاسم" [2] :

شاهدوها على شاشة التلفزيون في كل بيت

غضبوا .. دون صوت

سكبوا دمعتين على دمها

فبعد كلمة (غضبوا) كلام محذوف ، وقد تركه الشاعر ساخراً من غضبهم الذي لا يحرك ساكناً ، فأقصى ما يفعله العرب وحكامهم أمام منظر قتل أطفال فلسطين ، كلمات الشجب والاستنكار وكلمات الرثاء الوجيزة ، ثم يعود كل منهم إلى زمانه الذي لا يعود .

---

1 – ديوان طيور الجنة ، ص 91 .

2 – ديوان القصائد ، المجلد الثالث ، ص 539 .

ويلجأ الشاعر " كمال غنيم " إلى الحذف عند حديثه عن الشهيد " محمد الدرة " ، فيقول[1] :

ولكن محمد ..
بريئاً مضيت ، بريئاً ستمضي
تداعب قلبك روح الطفولة ،
أطياف حلمك !
فدعني أواجه عجز الجحافل
خوف القوافل

وكأن الشاعر من هول المصيبة وبشاعة منظر قتل الطفل ، والرصاص ينهمر عليه كالمطر ، وهو يحتمي بحضن أبيه ، قد عجز عن الكلام ، فلم تسعفه الكلمات عندما ذكر اسم محمد ، فحذف ما سيأتي بعده ، وترك للمتلقي حرية تخيل صورة الشهيد محمد الدرة ، وقصة استشهاده، وذلك لبعث عواطفه واستثارة انتباهه .

5 – الاستفهام :

أكثر الشعراء من استخدامهم لأسلوب الاستفهام في شعرهم الاجتماعي ، وسبب ذلك حالات عدم الاستقرار والقلق النفسي ، والأوضاع التي يحياها المجتمع الفلسطيني ، فالشاعر دائم الحيرة ، يكثر من السؤال والاستفسار ، يحاول أن يجد لأسئلته إجابة .

فهذا الشاعر " محمود درويش " يقول متسائلاً [2] :

كيف أكتب فوق السحاب وصية أهلي ؟ وأهلي
يتركون الزمان كما يتركون معاطفهم في البيوت ، وأهلي
كلما شيدوا قلعة هدموها لكي يرفعوا فوقها
خيمة للحنين إلى أول النخل .

فالشاعر هنا يؤلمه واقع شعبه وأمته العربية ، وما وصلوا إليه من ذل ومهانة ، ويستخدم اسم الاستفهام (كيف) يريد من خلاله التعجب من هذا الأمر ، وإظهار الحسرة والألم التي يغص بها قلبه على الحالة التي وصلنا إليها .

---

1 – ديوان جرح لا تغسله الدموع ، ص 48 .
2 – ديوان أحد عشر كوكباً ، ص 9 .

ويستخدم الشاعر " سميح القاسم " الاستفهام بــ (كيف) أيضاً فيقول [1] :

فكيف تفوز ؟ وذنبك باسم العدالة واضح
وجرم العدالة دونك .. فاضح
فكيف تفوز ؟ وكيف تفوز ؟
ومن سيفك الرموز ؟

سيل من الأسئلة تبدي دهشة الشاعر وتعجبه من محكمة العدل الإسرائيلية ، التي لم تكن في يوم من الأيام منصفة للفلسطيني ، ولن تقضي له بالحق ، فالحكم معروف مسبق ، فكيف سيفوز هذا الفلسطيني المظلوم ؟ ولذا نجد الشاعر يكرر هذا السؤال (كيف تفوز ؟) لثقته بضياع العدالة إذا ما تعلقت بالإنسان الفلسطيني ، فيعود ويتساءل بعد ذلك باسم الاستفهام (من) الباحث عن حقيقة هذا الصراع ، وفك رموز هذه المعضلة .

ويقول الشاعر " توفيق الحاج " مستخدماً أسلوب الاستفهام [2] :

سألت الله والفقهاء والثورة
كيف يصير نفس الأخ سجاناً ؟
كيف تقشر الحسرة .. ؟
كيف نواجه الأطفال ..
إن صدقت مخاوفنا .

ويكرر الشاعر الاستفهام ليبين حجم الألم الذي يعتصر قلبه ، والغصة التي تملأ حلقه ، على هذا الواقع المرير الذي وصلنا إليه ، ويكثر الشعراء من استخدام الاستفهام بــ(كيف) ليبحثوا عن آلية تحطيم الواقع وتغييره ، كما وظف الشعراء الأسرى هذا الاسم ليصبح تعجباً من مرور الزمن ، واعتزازاً بالنفس الصابرة ، فيقول الشاعر " معاذ الحنفي " [3] :

ترفرف عصفورة الشوق لا تعرف الانتظار
متى يتحطم صمت الجدار ؟
تضاءل أفق المكان يضيق
كيف تموت الثواني ؟ ويمضي النهار ؟

---

[1] – ديوان ملك اتلانتس ، ص 40 .
[2] – ديوان تداعيات الخارجي الأخير ، ص 65 .
[3] – ديوان أعلق في ليلك الليلك ، ص 20 .

ويقول " عبد الناصر صالح " [1] :

كيف يعشعش في شجر القلب هذا الأنين ؟
وكيف الهواء المحاصر يخترق الرئتين
إلى مهجة لا تنام ؟

لا تستطيع مهجة الشاعر أن تنام ، وهو يبدي تعجبه وقلقه من هذا الأنين الذي يعشعش في قلبه، فيستخدم له الاستفهام بــ (كيف) ، الذي يحمل رفض الشاعر للاستسلام لهذا الأمر ، فهو يقظ يقاوم لا ينام ولا يغمض عينيه .

ويتعجب الشاعر " هارون هاشم رشيد " من هذا العميل الذي شارك ودل على الــشهيد " يحيى عياش " ، فاغتالته إسرائيل ، فيستنكر عليه هذا العمل الجبان ، قائلاً[2] :

كيف تغتال ؟ ألا شلت يد   دبرت ما دبرت ختلاً وسراً

وتبقى حالة الغضب مسيطرة على الشاعر هارون هاشم رشيد ، وهو يشاهد ما فعله الاحــتلال بالطفلة " إيمان حجو " ، فيسأل مستنكراً بــ" من " ، وهو يعرف الجواب ويكرر الاستفهام هنــا ليعدد جرائم المحتل،ويستثير في النفس الثورة عليه ، يقول [3] :

من ترى أحدث هذا الجرح
في الجسم الجميل ؟
من ترى عكر صفو النور
في الليل الثقيل ؟
من ترى هذا الذي
دق بابي
ومن هذا الدخيل ؟

ويقول الشاعر " عثمان أبو غربية " مستخدماً أسلوب الاستفهام [4] :

هل جئت كي يتسلم الشيطان مفتاح العرين
أم جئت كي تمضي وتبتعد الأيائل
هل جئت كي يتعبد المدسوس في محراب وقتك
ويقسم الشعب الموحد في شعوب أو قبائل .

---

[1] – ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 54 – 55 .
[2] – ديوان طيور الجنة ، ص 102 .
[3] – ديوان قصائد فلسطينية ، ص 73 .
[4] – ديوان عدنا ، ص 13 .

والاستفهام هنا يعكس أحاسيس الشاعر وانفعالاته ، وعدم رضاه عن الوضع الذي آلت إليه السلطة الوطنية الفلسطينية ، فنجده يبدأ الاستفهام بـ (هل) ، وكأنه يطلب جواباً شافياً لسؤاله، ثم عاد واستفهم بنفس أداة الاستفهام (هل) ليدل ذلك على موقف نفسي حزين ، يتابع فيه الشاعر ما يجري في وطنه ، ويتمنى له الصلاح .

يقول الشاعر " أحمد دحبور " (1) :

هل يواسيني الدم الشاهق أم يحنو علي ؟
بل تفور الأرض قمحاً ،
بعد أعوام عجاف شبعت عقماً وملحاً فاسداً .

هذا الموقف الذي يعبر عنه الشاعر مشحون بالغضب ، ومبشر بميلاد فجر جديد ، وكأن الاستفهام بـ (هل) يحمل بشائر تلك المرحلة القادمة ، فقد قام الدم يواسيه ويخفف عنه ألمه ، بعد تلك الأعوام العقيمة الكالحة التي سبقت انتفاضة الأقصى .

ويقول الشاعر " ربحي محمود " (2) :

يا هذي الدنيا
هل ما زال لديك جواب ؟
أم أن الأطفال المحرومين من الألعاب
ما زالت لعبتهم في نظرك
قتل المدنيين وممارسة الإرهاب ؟

وهنا يستخدم الشاعر الاستفهام للنفي ، ينفي أن يكون لدى هذا العالم الظالم جواب ، وهو يتفرج على قتل الأطفال الأبرياء ، ثم يوسمون بعد ذلك بالإرهاب .

ويقول الشاعر " علي الخليلي (3) :

ماذا تقول لنا الخصور الناحلة ؟
نمضي ويقهرنا الفتات ،
بلى ، لنقهر في مجاعتنا
الجبال الذاهلة .

---

1 – ديوان أي بيت ، ص 93 .

2 – ديوان نقوش على ثوب أمي ، ص 96 .

3 – ديوان سبحانك سبحاني من طينك طوفاني ، ص 82 .

ويلجأ الشاعر للاستفهام بـ (ماذا) وهو لا يريد جواباً على سؤاله ، بل ليقرر لنا وللعالم حقيقة هامة ، هي أن الفقراء بصبرهم وتحملهم وصمودهم سيقهرون الأعداء ، ولن يحنوا له هامة، أو يقبلوا على أنفسهم ذلاً وانكساراً .

ويسجل الشاعر " سميح القاسم " تعجبه وحيرته من الأعمال التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي ضد أبناء شعبنا الفلسطيني ، فهو لا يعرف من أين يبدأ ؟ وعن أي الأعمال يتحدث أولاً ؟ فقد تعددت جرائمهم ، فهناك الشهداء والجرحى والمشوهون والضحايا والسبايا والدمار المنتشر في كل مكان ، يقول [1] :

من أين نبدأ سادتي الشهداء والجرحى ؟
سنبدأ من عذاب مشوهي الحرب الصغار
ومن الضحايا والسبايا
تحت رايات الهلاك
وبين أسماء الدمار .

6 – الأمر والنهي :

تناول الشعراء الأمر والنهي في شعرهم الاجتماعي بكثرة ، وذلك تبعاً للحالة النفسية التي يعيشون فيها ، ولأن أسلوب الأمر والنهي أقرب إلى بث الحكمة وإلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونقل التجربة للآخرين ، فهم يعبرون عن واقع مجتمعهم ، ويصورون كثيراً من جوانبه ، ويسعون لتغيير الأشياء السلبية فيه ، لذا جاء استخدامهم لهذين الأسلوبين من دافع الخوف والقلق على مجتمعهم ، وليكونا تنبيهاً للذاكرة وإيقاظاً للشعور وشحناً للنفس، وسأذكر بعضاً من النماذج لاستخدام الشعراء لأسلوب الأمر والنهي .

يقول " سميح القاسم " [2] :

فحاذر .. وحاذر
زمانك وغد وغادر
تنح .. وغادر
إلى حيث ألقت ..

ينبه الشاعر من غدر الزمان وتقلبه ، فيستخدم أسلوب الأمر والنهي بغرض النصح والإرشاد ، محذرنا من الركون والغفلة ، فهذا الزمان متقلب وغدار ، فلم يعد الأهل أهلاً ، ولا الديار هي

---

[1] – ديوان القصائد ، المجلد الثالث ، ص 548 .

[2] – ديوان ملك أتلانتس ، ص39 .

الديار ، وسوف تتبدل الأحوال وتدور علينا الدوائر ، فلابد من اليقظة و الانتباه ، وكشف ما يحاك من مؤامرات .

ويستخدم الشاعر " سليم الزعنون " أسلوب الأمر في توجيه النصيحة لأبناء وطنه ، قائلاً [1] :

فلنسر ، فلنسر ، بوحدة شعب — يملأ الحب أرضنا وسمانا
واتقوا الله ليس يعبد رأي — والحوار الرشيد أقوى بيانا
وليكن بيننا مواثيق صدق — ليس ظلماً بها ولا إذعانا
وليكن للخلاف في الرأي حد — يرفض الضر يحفظ الإخوانا

فالشاعر هنا تهمه مصلحة وطنه ، ويعرف أن دمار وطنه وهلاكه من وراء الخلافات والصراعات الحزبية ، من أجل ذلك يسعى جاهداً لرأب الصدع ، وتوحيد الجهود ، وتوجيه البوصلة جهة الاحتلال ، وهذا سبب تكرار الأمر في الأبيات ، فهو يعبر عن حالة شعورية يحس بها الشاعر ، وإصرار منه على تحقيق المنفعة لشعبه ووطنه .

ويقول أيضا [2] :

ولا تأكلن لحم امرئ متعفف — وصاحب رأي للأمانة راعيا
ولا تطلبن العدل في جوف حاقد — ولا تأخذن في الأمر ما كان باديا
وحاذر من الأصحاب من كان باذلاً — من الود إسرافاً وكان مغاليا

وظف الشاعر هنا الأمر والنهي ، ولم يخرج الأسلوب عن إطار النصيحة ، فالأبيات تقدم لنا نصحاً وإرشاداً وحكمة ، فهو ينهانا عن الغيبة ، والابتعاد عن الحقود ، وعدم الانخداع بالمظاهر، ويأمرنا بمصاحبة الأمين ، والابتعاد عن اللئيم

ويستخدم الشاعر " محمود درويش " الأمر والنهي ، فيقول [3] :

تقول لي مثلاً : تزوج أية امرأة من
الغرباء ، أجمل من بنات الحي . لكن ، لا
تصدق أية امرأة سواي . ولا تصدق
ذكرياتك دائماً . لا تحترق لتضيء أمك ،
تلك مهنتها الجميلة .

---

[1] – ديوان وهكذا نطق الحجر ، ص 138 – 139 .
[2] – ديوان نجوم في السماء ، ص 211 .
[3] – ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً ، ص 80 .

فالأمر والنهي جاء هنا على لسان الأم ، وهي عند الشاعر رمز للأرض ، فالشاعر عانى الغربة والشتات ، وتنقل في المنافي والموانئ ، ولكنه لم يجد أجمل وأصدق من هذه الأرض ، ولم يأت الأمر والنهي هنا على سبيل النصح والإرشاد ، وإنما خرج إلى التقرير ، وكأن الشاعر يريد أن يقرر تمسكه بهذه الأرض وتشبثه بها رغم كل المغريات والحياة الهانئة .

يقول الشاعر " أحمد دحبور " [1] :

واضرب ما شئت
ودجج بالموت العسكر
واحذر
فعدوك ملفوف بشهور أربعة ،
لم تنبت في فمه أسنان

يسخر الشاعر من قوات الاحتلال ، ويهزأ من قتلهم للأطفال ، فيوجه حديثه للاحتلال مستخدماً أسلوب الأمر بأن يقتل ما يشاء ، ويجهز العدة والعتاد لمواجهة عدوه الذي ما زال في مهده ، الطفلة " إيمان حجو " التي لم تبلغ شهورها الأربعة ، فالأمر هنا خرج عن المألوف ، واستعان به الشاعر للسخرية والاستهزاء .

ويقول الشاعر " عز الدين المناصرة " [2] :

لا تقل للشجرة
أي أغصانك أجمل
إنما مشط لها الروح وأهداب الرموش
وتغزل .

نهي وأمر امتازت ألفاظه بالرقة والعذوبة ، فالشاعر يدعو إلى الإيجابية والابتعاد عن السلبية ، فيستخدم كلمات سهلة رقيقة مع أسلوب الأمر والنهي ، فالجو العام أكسب كلماته عذوبة ورقة .

ويوظف الشاعر " كمال غنيم " أسلوب الأمر والنهي ، فيقول [3] :

اقبض يديك على سلاحك ... صوب هنا والليل حالك
لا تخش سيفي يا أخي ... فالسيف يأبى أن يعارك

---

1 – ديوان أي بيت ، ص 43.

2 – ديوان لا أثق بطائر الوقواق ، ص 91 .

3 – ديوان شهوة الفرح ، ص 37

أوثق يدي ، كمم فمـــي   هذا أنا مرمى رصاصك

يرسم الشاعر من خلال أسلوب الأمر والنهي صورة للاقتتال الداخلي ، والخلافات الحزبية ، واستخدم الكاتب ألفاظاً قوية تناسب السياق ، وتعكس توتراً واضطراباً يعانيه الشاعر ، فهو هنـــا لا يحرض على القتل والحرب الأهلية ، عندما يقول له بأسلوب الأمــر(اقــبض يــديك علــى سلاحك، صوب هنا ، أوثق يدي ، كمم فمي) ، ولكنه يستخدم أسلوب الأمر للتنفير مــن هــذه الخلافات وهذا الاقتتال ، من أجل ذلك يعود الشاعر ويوظف أســلوب النهــي بكلمــات رقيقــة مطمئنة ، تدعو إلى عدم الخوف منه ، فلن يرفع سلاحه في وجه أخيه ، ولن يتــرك الفرصــة للعدو للشماتة بهم والضحك عليهم .

ويقول أيضاً [1] :

واسلك طريق التائبين
وانفض غبار الخوف عنك
فالعار أن تبقى هناك
ما بين سكين اليهود وانتقام الثائرين

هي دعوة للعملاء للتوبة ، وترك العمالة والعودة إلى أحضان الشعب ، فالأمر هنا خــرج عــن النصح والإرشاد ليصل إلى الحث على السرعة في التنفيذ ، فلــم يعــد هنــاك وقــت للتفكيــر والانتظار ، فالعار أن تظل مرتمياً في براثن العمالة ، وانتقام الثوار سينالك يوماً ما .

ويقول الشاعر " عبد الناصر صالح " [2] :

معجزة الأرض أنت
فلا تعقد العزم – يا سندباد – على السير
في ركب من خدعوك
هم الآن للموت قد أسلموك
فحاذر
وحاذر .

يتوجه الشاعر بالحديث للفلسطيني ليتشبث بأرضه ، وعدم الانجرار والسير وراء من خدعوه ، ويستخدم هنا أسلوب النهي ليقدم النصيحة له ، وأسلوب الأمر ليكون حذراً من المكائــد التــي تحاك ضده .

---

[1] – ديوان شروخ في جدار الصمت ، ص 144 .

[2] – ديوان فاكهة الندم ، ص 74 – 75.

7 – أسلوب النداء :

طبيعة الشعر الاجتماعي تتطلب من الشعراء أن يكثروا من أسلوب النداء ، فمن يتناول قضايا مجتمعه ويسجل ما يجري فيه ويوجه حديثه لأبنائه عليه أن يستخدم أسلوب النداء ؛ لأنه يخرج إلى أغراض بلاغية متعددة ، مثل : الإغراء ، والاستغاثة ، والتحسر ، والتعجب ، والندبة ، وهذه تناسب معالجة النواحي الاجتماعية .

يقول الشاعر " محمود درويش " [1] :

– يا أبي ، هل تعبت
أرى عرقاً في عيونك
– يا ابني تعبت ... أتحملني ؟
– مثلما كنت تحملني يا أبي .

الشاعر يجري حواراً بينه وبين أبيه ، فيوظف النداء لتحقيق هذا الغرض ، ويستخدم أداة النداء (يا) وهي للبعيد ، ويقصد كل الآباء في الوطن المحتل ، الذين تعلقوا بوطنهم وتحملوا الأذى من أجله ، وقد جاء دور الأبناء ليكملوا المسيرة ، ويحملوا الراية من بعدهم .

وينادي الشاعر " سميح القاسم " الموت وكأنه صديق يحدثه ويسأله، يقول[2] :

يا موت هل كنت من أجلنا أم ولدنا لأجلك
ويا موت ... نطفتنا أنت أم أننا بعض أهلك ؟
ويا موت جرب نجاعتنا في الحياة قليلاً ، إذا أنت أمهلتنا سنكرس
لاسمك كل الجوارح
ونكتب باسمك أحلى المدائح .

حقيقة الموت تقلق الشاعر ، وتجعله يتوجس من هذا الزائر الذي يقدم على حين غرة ، دون استئذان ، فيسأله ليجيبه ويكرر عليه النداء والسؤال ، ولكن هل يملك الموت جواباً لأسئلته ؟ لا يملك الموت شيئاً من أمره ، ولكن الشاعر يريد أن يبين لنا حقيقة الحياة والموت ، وحقيقة وجودنا فيها .

---

[1] – ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً ، ص 42 .

[2] – ديوان ملك أتلانتس ،ص 95 .

يوجه الشاعر " توفيق زياد " نداءه للفقراء والشعب الحزين ، قائلاً [1] :

أيها الناس الحزانى
أيها الشعب المناضل
هذه الأعلام لن تسقط
ما دمنا
نغني
ونقاتل .

فالشاعر يوجه تحيته وتعظيمه لهؤلاء الحزانى المساكين ، ولهذا الشعب الصابر المناضل ، فاستخدم النداء بالحرف (أي) وهو للقريب ، مع أنهم بعيدون عنه مكاناً، دليل على قربهم من قلبه وفكره ووجدانه .

ويقول الشاعر " علي الخليلي " [2] :

يأيها المقهور والمكبوت ،
سمعته
نادى صداه من حشاشة السكوت
في هدأته

نداء استغاثة موجه من الشاعر للمقهورين والمكبوتين في المجتمع ، أن يهبوا ويرفضوا هذا الواقع المرير ، ويعملوا على تغيير حالهم بكل السبل المتاحة .

ويوجه الشاعر "عز الدين المناصرة " النداء إلى قراصنة البر والبحر، فيقول[3]:

يا قراصنة البر والبحر، هذي يدي
سأشلخها قطعة قطعة دون أن يتبلل سطح غليلي
سأخلع كرمي وعشب نجيلي
إذا صافحت قاتلاً أو قتيلاً هوى في هوى الملك والصولجان .

ينادي الشاعر المنتفعين والمتسلقين ومقتنصي الفرص ، مستخدما حرف النداء (يا) وهو للبعيد وهم قريبون منه استخفافاً بهم ، فسيقطع يده إذا صافحت واحداً من هؤلاء ، أو أقرت له بعمله .

---

[1] – ديوان أنا من هذي المدينة ، ص 28 .

[2] – ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، ص 165 .

[3] – ديوان لا أثق بطائر الوقواق ، ص 119 .

ويقول الشاعر " عبد الخالق العف " منادياً العرب والمسلمين [1] :

يا سادتي الكرام
يا مليار
ألا تغلي دماء الثأر

يدرك الشاعر حجم المؤامرة ، وخطورة الاحتلال وبعد مراميه ، فيتوجه بالنداء للعرب والمسلمين مستغيثاً بهم ، ويذكرهم بأن عددهم يفوق مليار مسلم ، ولكنهم غثاء كزبد البحر ، لا تجري في عروقهم النخوة ، ولا تتحرك دماء الثأر لإخوانهم المسلمين في بلاد فلسطين ، وغيرها من البلاد الإسلامية المضطهدة .

ولم ينس الشعراء المرأة من ندائهم ، فهذا الشاعر " هارون هاشم رشيد " يوجه نداءه للمرأة الصابرة المجاهدة في الأرض المحتلة ، يقول [2] :

سيدتي ،
في الأرض المحتلة ،
يا امرأة ،
تتحدى ،
إرهاب القتلة .

أسلوب نداء غرضه التعظيم ، يرفع الشاعر ويعلي من شان المرأة الفلسطينية الصابرة والمناضلة ، فيستخدم أسلوب النداء (سيدتي) ويحذف أداة النداء في إشارة لقربها من قلبه ، وحبه لها وتقديره لجهودها ، ثم عاد وناداها (يا امرأة) بأداة النداء (يا) وبعدها كلمة (امرأة) نكرة ليعظم قدرها ويرفع منزلتها .

ويقول الشاعر " عبد الناصر صالح " منادياً الأعداء [3] :

يا عدو الشمس ، لن يمكث قهر
فاستمروا
يا أيها الأبطال ، يا عنواننا الغالي
استمروا
لكم المجد وطوق الياسمين .

---

1 – ديوان شدو الجراح ، ص 35 .

2 – ديوان ثورة الحجارة ، ص 38 .

3 – ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 110 – 111 .

يوظف الشاعر أسلوب النداء مستخدما حرف النداء (يا) وهي للبعيد ، ينادي به الأعداء مع أنهم قريبون منه مكاناً ، وذلك استخفافاً وعدم اكتراث بهم ، فهو يتحداهم لا يطلب منهم الرحمة، بل يعلنها مدوية أن (استمروا) في قتلكم وتدميركم وحربكم ، فعندنا من سيقف في وجهكم ويعلن التحدي ، لذا يستخدم النداء بعدها ، فينادي على الأبطال (يا أيها) وأي للقريب رغم أنهم بعيدون عنه ، ولكنهم قريبون منه في الهدف والمصير ، فهم عنوانه الغالي على قلبه ، فيستحثهم على المسير والاستمرار في نهج المقاومة والتحدي .

ويقول الشاعر " معاذ الحنفي " [1] :

يا أيها المقهور
الذي هزم الظلام
وفاض نوراً إثر نور
في البدء
في البدء البعيد
نزفت عشقك للزهور
ضاعت سطورك يا أخي
يا من تسطر في كتاب العمر
مجداً من سطورك .

يتوجه الشاعر بالنداء إلى أخيه الأسير الذي يرى فيه نفسه ، هذا الأسير الذي استطاع أن يهزم السجان وأدواته الظلامية ، وان يفيض نوراً ليسجل اسمه بحروف من نور في صفحات المجد ، فبصبر المعتقلين وتحديهم لجلاديهم سيبزغ فجر الحرية .

ثالثاً / الصورة الشعرية :

الصورة الشعرية هي عماد الشعر وقوامه ، اعتمد عليها الشعراء لتقديم أفكارهم والتعبير عن عواطفهم ، وهي أداة أساسية في بناء القصيدة بحضورها الخاص ، فهي " جوهر الشعر ومحك مقدرة الشاعر ، وبواسطتها يتضاعف الشعر مضموناً من ناحية المعاني ، ويتكاثف شكلاً من ناحية الأساليب وجودته لغةً وصياغةً " [2] ، وظهر هذا المصطلح " الصورة الشعرية " حديثاً في الدراسات الأدبية ، إلا أن الصورة موجودة منذ وجد الشعر ، ولكنها لم تكن بهذه

---

[1] – ديوان أعلق في ليلك الليلك ، ص 59 – 60 .

[2] – نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1978 م ، ص 233 .

الصياغة الحديثة في البلاغة العربية القديمة ، ولكن القضايا التي يطرحها المصطلح الحديث موجودة في الموروث البلاغي و النقدي عند العرب ، وأول من أشار إلى لفظة الصورة وتحدث عن التصوير هو الجاحظ ، كما يذكر ذلك " عبد القاهر الجرجاني " في كتابه دلائل الإعجاز :" الشعر صياغة وضرب من التصوير "[1] ، واقترب "عبد القاهر الجرجاني " في نقده الشعر من أسرار الصورة الشعرية بالمفهوم الحديث ، وذلك عندما تحدث عن أثر التمثيل فيها ، فهو " يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة،وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد،ويريك التئام عين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعين "[2] .

وحفل شعرنا العربي القديم بالصور الشعرية ، التي استخدمها الشعراء في بيان أحاسيسهم ومشاعرهم ، ولكنها صور حسية شكلية ، تعتمد على الإدراك الحسي وتقوم على التشبيه ، أما الصورة الشعرية في عصرنا الحديث فقد تجاوزت تلك العلاقات الحسية القريبة ، وأصبحت " العناصر التصويرية في القصيدة المعاصرة تتجاوز موروثات بلاغية ونقدية ، فهي تشكيل معقد ، وتركيب مراوغ "[3] ، هذه الصورة الابتكارية المبدعة من خيال الشاعر لم يكفها الوصف والمجاز والتشبيه والاستعارة ، فهذه الأشياء لم تعد تخلق صورة شعرية بالمفهوم الحديث ، " فلم يعد الخيال الشعري يقتنع بإيجاد العلاقات بين الموجودات ، أو بأن يتلقى مصادر صوره من الخارج ، بل أصر على أن يخلقها بنفسه "[4] ، وكلما كانت الصورة عناصرها متباعدة ، وأطرافها خفية ، يجمع بينها الشاعر ويقربها ، ازادت جمالاً ورونقاً ، فالصورة " تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الإبداع الهيئة الحسية أو الشعرية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر و تجربته "[5] .

---

1 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، شرح وتعليق : د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 2005 م ، ص 324 .

2 – عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق : د. محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ، 1988 م ، ص 111 .

3 – القول الشعري ، ص 113 .

4 – د. سعيد الوراقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، مقوماتها وطاقتها الإبداعية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1983 م ، ص145.

5 – عبد الاله الصائغ ، الصورة الفنية في شعر الأعشى ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1984 ، ص149 .

وتعتمد الصورة الشعرية اعتماداً كبيراً على الخيال ، وذلك لأن الشعر يتجاوز حدود الواقع ، فـ" الخيال أساس الصورة الفنية مهما تكن درجته ، سامياً أو عادياً " [1] ، فالشاعر المبدع هو الذي يحمل خيالاً ابتكارياً ، فيقارب بين المتباعدات ، ويؤلف بين المختلف ، ولا يركن للصور الموروثة أو المشاهد المطروقة ، بل يعمد لتوظيف هذا الموروث في التجربة الذاتية والعامة ، ويتسلق الخيال لخلق صورة جديدة " فقد تكمن في خفايا الشعور جوانب مستترة لا يمكن القبض عليها بشبكة المنطق اللغوي ، ومن ثم يكون التعبير عنها مغلفاً بغلاف تبين أو لا تبين ، ويظل المعنى أشبه بإلماعات تنفث مراوحة ومداخلة بين المحدود واللامحدود" [2] ، لذا كلما كانت الصورة مبتكرة تعلقت بها النفس ، ورسخت في مخيلة الإنسان ، والشاعر يلجأ للصورة الشعرية لتلون تجربته ، وتضيء جوانب شعره ، فهي " تنبثق من إحساس عميق وشعور مكثف يحاول أن يتجسد في رموز لغوية ذات نسق خاص ، وهو تلقائياً خروج عن النسق المعجمي في الدلالة والنسق الوظيفي في التراكيب "[3] .

وتلعب العاطفة مهمة رئيسة في عرض الصور الشعرية ، من خلال نجاح الشاعر وقدرته على تشكيلها ، فالعاطفة الصادقة تولد الخيال المبدع القادر على تكوين صور شعرية مبتكرة ، " والعاطفة تختلف باختلاف الأدباء ، ويتبع ذلك اختلاف الصور التي تؤدي هذه العواطف " [4] ، فالصورة الشعرية الصادقة هي التي تستدعي مراعاة الحالة النفسية للشاعر فـ " مقياس الصورة الأدبية هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة ، والصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية " [5] .

وتبقى الصورة نابضة بالحياة ، قادرة على تفجير الإيحاءات ، تعمل على إنارة العمل الأدبي ، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال اللغة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان ، والحضور والغياب ، لإنتاج دلالات يلعب الخيال دوراً فيها ، " الصورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ وبجرسها الموسيقي ، ومعانيها المجازية وحسن تأليفها معاً"[6] ، وكلما نوع الشاعر في تراكيبه اللغوية ، وأحسن اتساقها وانسجامها مع سائر عناصر القصيدة ، وثار على المعايير

---

[1] – مصادر النقد الأدبي ، ص 243 .

[2] – القول الشعري ، ص 117 .

[3] – محمد حسن عبد الله ، الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، مصر ، 1981 م ، ص28 .

[4] – مصادر النقد الأدبي ، ص 245 .

[5] – السابق ، ص 249 – 250 .

[6] – السابق ، ص 244 .

اللغوية والتركيبة التي تتشكل منها الصور القديمة ، وعمد إلى انزياحها عن هذا المعيار ، أعطى الصورة بعداً أسلوبياً يدركه المتلقي بفضل العلاقة بينها والسياق العام ، " إن لغة الصورة لا تأبه بانتقائية المعجم الشعري ولا تحفل بشفافية المفردة ، وإنما تغامر ببث فلذات لا تنعزل عن سياقها وشذرات لا تنبت عن مساقها " [1] .

إن الصورة الشعرية خلية حية تتكاثف وتتشابك مع غيرها من الخلايا الحية الأخرى ، لتؤلف نصاً يفيض حيوية وجمالاً ، ومن مجموع هذه الصور والخلايا الحية تتشكل الصورة الكلية التي تنتهي إليها القصيدة ، فكل " صورة داخل العمل الفني إنما تحمل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤديه الصورة الجزئية الأخرى المجاورة لها ، وأن من مجموع هذه الصور الجزئية تتألف الصورة الكلية " [2] .

وقد لون الشعراء الفلسطينيون شعرهم الاجتماعي بصور شعرية متعددة ، وكان للواقع الاجتماعي حضور متميز في لوحاتهم ، فعبروا عن عواطفهم وتفاعلهم مع مجتمعهم وقضاياه ، وقدموا لنا صوراً شيقة ، جمعت بين الصور الجزئية والصور الكلية . وسأتناول بعضاً من هذه الصور الشعرية بالدراسة والتحليل :

يقول الشاعر " محمود درويش " [3] :

أنا هدهد – قال الدليل – ونحن قلنا : نحن سرب طيور
ضاقت بنا الكلمات أو ضقنا بها عطشاً وشردنا الصدى
وإلى متى سنطير ؟ قال الهدهد السكران : غايتنا المدى
قلنا : وما خلفه ؟ قال المدى ، خلف المدى ، خلف المدى .

استحضر الشاعر العديد من الصور الحسية والذهنية ، فالدليل هدهد سكران ، والشعب الفلسطيني سرب طيور تائه في المدى ، وقرن الكلمات بالضيق ، والصدى يشرد الشعب ، وقد تكاثفت هذه الصور الجزئية لترسم صورة كلية لحالة الشعب الفلسطيني المشرد في البلاد ، ولا يعرف سبيلاً للديار ، ولا يرى في الأفق بصيص أمل في العودة ، وقد شكل الشاعر من خيوط الحس في صوره أنسجة متشابكة ومتعددة الدلالات لتشكل صورة كثيفة الدلالة متعددة الإيحاء .

---

[1] – عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، 1992 ، ص113.

[2] – قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ص108 .

[3] – ديوان محمود درويش ، المجلد الثاني ، ص 464 – 465 .

ويرسم درويش بخياله الطليق صورة تظهر التفاؤل والأمل ، يقول [1] :

من سماء إلى أختها يعبر الحالمون
حاملين مرايا من الماء حاشية للفراشة
في وسعنا أن نكون كما ينبغي أن نكون
من سماء
إلى أختها
يعبر الحالمون

صور متلاحقة تتوالد جزيئاتها لتمنحنا عمقاً دلالياً ، حلق بـه الشاعر بخياله الخصب ، (الحالمون يعبرون من سماء إلى أختها) ، فلك أن تتخيل السموات التي ينتقل بينها الحالمون ؟ و(مرايا من الماء) دليل على النقاء والصفاء ، وهل المرايا تصنع من الماء ؟وما هي مدلولات الشاعر في الجمع بين شيئين متباعدين؟ إنه يمنح هذه الصورة ألقاً ينفجر من إيحاءات الخيال ، وصورة (حاشية للفراشة) يعمد الشاعر هنا إلى ترميز الصورة لتكتسب دلالات متعددة ، فاستخدام رمز(الفراشة) وهو دال على الطهر والرقة والبراءة ، يقصد بـه الشاعر وطنه ، فانتقل الرمز من الدلالة المعجمية للكلمة إلى النواحي النفسية والإيحائية عند الشاعر .

ويستخدم الشاعر " محمود درويش " تشكيلات تصويرية مكثفة في قوله [2] :

وإن كان هذا الخريف النهائي ، فلنتحد بالسحب
لنمطر من أجل هذا النبات المعلق فوق أناشيدنا
لنمطر فوق جذوع الأساطير والأمهات اللواتي وقفن
على أول العمر كي يستعدن حكايتنا من رواة
أطالوا عليها فصول الرحيل

يبدأ الشاعر هذا المقطع باستثارة ذهنية ، تلفت انتباه القارئ لمتابعة كلامه ، إنها دعوة من الشاعر للتحدي والحث على العطاء والعمل ، لذا جاءت صوره متعددة ومبتكرة (لنتحد بالسحب) ، (لنمطر من أجل النبات) ، (النبات المعلق فوق أناشيدنا)،(جذوع الأساطير) ، (أمهات وقفن على أول العمر) ، (يستعدن حكايتنا) ، صور حسية متعددة ومتتابعة تتجاوز الرؤية المباشرة لتعبر عن حالة شعورية ، تصور موقف الشاعر مع نفسه ومجتمعه ، إنها رؤية ذاتية يجسدها الشاعر في هذه اللوحة ، ويرسم خطوطها وأنواعها ودلالاتها ، لينقل للقارئ ما يريده .

---

1 – ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً ، ص 107 .

2 – ديوان أحد عشر كوكباً ، ص 70 .

والشاعر " سميح القاسم " يرسم صوراً متعددة المشاهد والإيحاءات، يقول[1] :

هنا أنت .. حولك هذا الجدار الكثيف

وهذا الهمود الكفيف وهذا الخمود المخيف

وحول جنونك تقع الملايين.. تحت الملايين .. تمضي إلى الذبح .. قطعان ماعز

وتولد للذبح قطعان ماعز .

إنها صور نابضة بعمق المأساة والحسرة التي يتجرعها الشاعر ، وهو يرى حوله هذا الصمت والقبول بالخنوع والذل ، فسيتدعي هذه الصور المتتابعة (الجدار الكثيف ، الهمود الكفيف ، الخمود المخيف) ويجمع بينها ويتلاعب في تظليل عناصرها ليرسم لنا لوحة تشكيلية متكاملة لهذا الصمت العربي والإسلامي ، وكأنهم كما يصورهم الشاعر قطعان ماعز تساق لتذبح وهي قانعة .

ويقول أيضاً [2] :

هرمت ظهيرتنا .. وأدركنا النعاس بلا ظلال

نمنا.. وفاجأنا صياح الديك في الحاسوب .. أوكلنا

مراجعنا لإنترنت .. كان أمامنا نفق .. وضوء في

نهايته يموت .. وننتهي نفقاً بلا ضوء يقود

إلى احتمال .

يوظف الشاعر التصوير الاستعاري (هرمت ظهيرتنا) ، (أدركنا النعاس) ، وهو تعبير عن الحالة الصعبة ، والواقع المرير الذي وصلت له أمتنا من التخلف والسير في ذيل الحضارة ، ثم يرسم صورة كلية للضياع والكسل (نمنا .. وفاجأنا صياح الديك في الحاسوب)، (أوكلنا مراجعنا لإنترنت) ، هذا الضياع يجسده من خلال " صورة شعرية تهدف إلى تشويه الواقع أحد خصائص الصورة الشعرية في حركة الشعر الحديث " [3] ، وصورة لفقدان الأمل (كان أمامنا نفق وضوء في نهايته يموت) ويمكن إرجاع ذلك لحالة الانكسار النفسي التي يحياها الشعب الفلسطيني ، وعدم ثقته بالأنظمة العربية والإسلامية .

ويستثير قتل الأطفال لواعج الشاعر ، ويحرك مشاعره الدفينة ، فيرسم لنا صورة نابضة بالحركة والحياة ، فيعرض في لوحات فنية حلم الفتى وهو صغير ، ثم قتل هذا الفتى بدم بارد

---

1 – ديوان ملك أتلانتس ، ص 38 .

2 – السابق ، 68 .

3 – د . عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية المعنوية ، دار العودة ، بيروت ، ط 3 ،1981 م ، ص 124 .

قبل أن يحقق حلمه ، يقدم الشاعر كل ذلك في صور حسية متلاحقة ، تظهر مدى حزن الشاعر وألمه ، يقول [1] :

رائعاً كان حلم الفتى
أنه باشق غزلت ريشه القمم المشمسة
فاجعاً كان موت الفتى
عندليباً حزيناً يصلي على ساحة المدرسة
فاجأت حلمه طلقة
نثرت دمه بين أوراق دفتره
وعلى وردة نسيت أنها نرجسه ..

سيل من الصور الجزئية (أنه باشق) صورة المستقبل المشرق الذي لا يتحقق للفلسطيني إلا بالقوة والسلاح ، (غزلت ريشه القمم المشمسة) صورة خرجت عن التصوير الاستعاري ودلالته المجازية المباشرة على بيان حجم التضحيات التي قدمها الفلسطيني سعياً لتحقيق حلمه بالدفء والأمان والأيام القادمة ، ثم صورة تحطيم الحلم الفلسطيني بقتل أطفاله ، وذلك من خلال الصور (فاجعاً كان موت الفتى) ، (عندليباً حزيناً) ، (فاجأت حلمه طلقة)،(نثرت دمه بين أوراق دفتره) كل هذه الصور تظهر بشاعة الاحتلال وهمجيته ، في استهدافه لمثال البراءة والطهارة " الطفل " .

ويبدو الشاعر " أحمد دحبور " متأثراً في صوره بالواقع الاجتماعي الصعب الذي يعيشه أبناء شعبه ، فواقع الفاقة والمعاناة الذي يقترن به الفلسطيني اقتراناً لا فكاك منه جعله يقول [2] :

بإبرة تخرم الشتاء
وتغرس الدفء في النسيج
وكلما اغرورقت
يداري نسيجها الدمع والنشيج
فلي قميص من البكاء .

يتوسل الشاعر بصور حسية ، انتظمت في أطر مجازية لتنتج دلالات إيحائية ، ففي قوله (إبرة تخرم الشتاء وتغرس الدفء في النسيج) صورة تحمل تعدداً دلالياً يورث دهشة وتساؤلات عن

---

1 – ديوان ملك أتلانتس ، ص 81 – 82 .
2 – ديوان كسور عشرية ، ص 76.

كيفية النسيج ، وتصوير لحالة الفلسطيني الفقير الذي قُدَّ له قميص من بكاء ، (فلي قميص من البكاء) دليل على الفقر والأسى الذي يلتصق بجسده وروحه .

وفي حديثه عن دور المرأة الأم المربية ، تتشابك العديد من الصور ، يقول [1] :

وأمي تصب نومي بأحلامها ، فأصحو
تصفي لي النهار المذرى بمنخل الأماني
وتجلو لي المعاني
وإن قلت : أين المغني ؟
أجابت : ألا تنام .

وظف الشاعر التجسيم للنوم فجعله شراباً سائغاً يصب بأحلام الأم النائمة ، وجعل أحلامها إناءً يصب فيه ، وذلك في صورة حسية قريبة للإدراك ، توضح دور الأم وتضحيتها في تربية الأبناء ، وفي صورة أخرى تهز وجدان القارئ وتثير دهشته (تصفي لي النهار المذرى بمنخل الأماني ، وتجلو لي المعاني) بيان لحرص الأم على راحة وسعادة أبنائها ، حيث تشابك الحسي والمعنوي في هذه الصورة ليولد تنوعاً في الدلالة ، فمتى كان النهار يذرى ؟ وهل الأماني منخل ؟ حتى تجلو هذه الأماني ، ولكنها أمنية الأم بسعادة أبنائها ، وأن يتحقق لهم مستقبل واعد ينعمون فيه ، حتى لو كان ذلك حلماً بالنسبة لها .

ثم يقول دحبور في موضع آخر مصوراً التكافل الاجتماعي داخل المجتمع الفلسطيني [2] :

ذرفت السماء دمعة بحجم القنبلة
عندما هرع الجيران والمنقذون
وبعد فوات الوقت ،
سيارات الإسعاف ،
كانت الأصغر على قيد الحياة
ولم تكن تفهم
سر الزحمة واختلاف الوجوه .

رسم الشاعر خلال الأسطر السابقة صورة شعرية كلية لطباع الإنسان الفلسطيني ، وسرعته في إغاثة الملهوف ، ونخوته عند الحاجة ، فهذه الصورة مليئة بالحركة والحيوية ، فقد استخدم الشاعر (ذرفت السماء دمعة) ، (هرع الجيران والمنقذون) ، (سيارات الإسعاف) ،

---

1 – السابق ، ص 29 .

2 – ديوان أي بيت ، ص 100 .

(الزحمة ، اختلاف الوجوه) ، هذه الحركة التي تموج في هذا المقطع ، تعطي الصورة حركية هادرة ، ندرك من خلالها عمق الدلالات وتنوعها وحرارة إيقاعها .

وننتقل إلى الشاعر " المتوكل طه " وهو يقدم لنا بطاقته الشخصية من خلال عدد من التشبيهات التي تتشكل فيما بينها لتكون صورة فنية كلية ، يقول [1] :

إني مثل كل الناس
إنسان له عينان مثل البحر
أو كفان مثل الصخر
أو قلب يضج بعشقه الريان مثل الجمر
شفتان مثل النهر
ولي امرأة وأطفال .

قرن الشاعر العديد من التشبيهات الحسية (عينان مثل البحر ، كفان مثل الصخر ، قلب مثل الجمر ، شفتان مثل النهر) وهو قبل كل ذلك إنسان مثل كل الناس ، وقد تجاوز الشاعر حدود الإدراك الحسي لتلك التشبيهات ، ليضفي عليها ظلالاً من الألوان والحركة ، واستمد مفرداتها من الطبيعة ، ليوصل لنا صورة الفلسطيني في وطنه ، وقد رسم حدوده وعالمه بداخله ، فلا يتخلى عنه رغم ما يتعرض له من صنوف القهر والإذلال .

وينتقل الشاعر بعد ذلك ليرسم صورة للفاسدين في وزارات السلطة الوطنية ، يقول [2] :

من فندق للنعاس اللذيذ يجيء
على وجهه ما تبقى من حمرة زائدة
يلف بعينيه ، يبحث عن لبن في العذارى
فقد مل آخر من تم توظيفها للطباعة
في مكتب للوزارة .

تعبر الصورة الشعرية التي رسمها الشاعر في المقطع السابق عن حالة الفساد المستشري في بعض وزارات السلطة ، ويدور هذا المقطع حول الفندق الأثير الذي يقطنه هذا المسئول ، الذي يأتي متأخراً إلى عمله ، الحمرة على خديه من أثر النعيم والهناء ، يبحث عن الفتيات الجميلات، ويجول بنظره يميناً ويساراً ليصطاد فريسته، فقد مل من الفريسة السابقة ، فأراد استبدالها ،

---

1 - ديوان فضاء الأغنيات ، ص 52 – 53 .
2 - ديوان حليب أسود ، ص 62 .

والشاعر وقع تحت تأثير تجربة صادقة صادرة من واقع مجتمعه ، وتمثل جزء لا يتجزأ من وعيه وحالته النفسية والشعورية .

ونجد عند الشاعر صورة ثرية بالتشكيل الحسي ، تختزن مستويات لا نهائية من الإيحاء ، يقول [1] :

والموت حل للحياة
يجيء مثل المس شفافاً ،
وينزع شعلة الماس ،
يرمي سؤرة الموت الرماد ،
ويحتفي بضيوفه .

إن المتأمل لصورة الموت ؛ يجد الشاعر قد جعله حلاً للحياة ، فالموت والحياة نقيضان جمع بينهما في صورة تعتمد على المفارقة والتداعيات ، وقد وظف التصوير التشخيصي للموت فجعله يجيء ، وينزع ، ويرمى ، ويحتفي بضيوفه ، كما شبه الموت بشفافية المس ، والروح بشعلة الألماس ، إلى غير ذلك من الصور الجزئية المتشابكة في سياق دلالي يفيض برؤية استكشافية مبدعة ومكثفة .

ويوظف الشاعر " عبد الخالق العف " الرمز في صوره ، ويجعله مفارقاً للدلالة المعجمية للكلمة إلى التعبير عن الأثر النفسي والإيحائي ، يقول [2] :

شيطان يختطف ملاك
ومريد يجتث شهيد
والعوسج يدمي الأم
ويدمي الأخت
ويترك جرحاً ينزف .

يبرز في أول المقطع رمز (شيطان) وهو مقابل (العدو) ، ويرمز للفلسطيني بـ (الملاك)، وتتجلى هذه المزاوجة الرمزية بين (شيطان) مقابلاً (ملاك) لتنتج صورة ذهنية تجعل من الاحتلال الغاصب شيطاناً يقتل ويعربد بحق الفلسطيني الطاهر الملاك، ثم يعود ليصور الاحتلال بالرمز(العوسج) الذي يحدث جرحاً لا يندمل في جسد الأم والأخت ، ولا تتوقف دلالة الرمز

---

1 – ديوان نقوش على جدارية محمود درويش ، ص 27 .
2 – ديوان شدو الجراح ، ص 21 .

هنا عند الأم والأخت ، بل تتعدى ذلك إلى دلالات أكثر اتساعاً فالأم هي فلسطين ، والأخت هي الدول العربية ، لذا نجده يؤكد على أن الجرح ما زال ينزف .

ويستخدم الشاعر " العف " رمز (النوارس) للدلالة على الفلسطيني الثائر ، يقول [1] :

فإن النوارس تمضي بعيداً
وتدنو لترقب فجراً وليداً
وتسأم طول الترقب
تمضي بعيداً ...
وتسري بليل القفار
وتسرق ضوء النهار
لتوقظ سرباً يغط
عميقاً بكهف السبات .

صورة كلية رمزية مليئة بالدلالات والإيحاءات ، رسم خطوطها الشاعر ، ومزج بين ظلالها مستخدماً الرمز (النوارس) في إشارة إلى الثورة والحياة ، والتبشير بميلاد فجر جديد، يوقظ الغفاة اللاهين ، الذين رمز إليهم بالرمز(سرب) وكأنهم سرب طيور ضل الطريق ، تعب فغط في نوم عميق ، كما نجد حالة من التداخلات السيميائية في استخدام الرمز (كهف السبات) ، إذ يعطي ذلك دلالات إشارية تذكرنا بقصة أصحاب الكهف ، ونومهم العميق والطويل ، وانقطاعهم عن الحياة ، وكأن الشاعر لا يريد لشعبه طول الغفلة والقبول بالذل والهوان ، بل يحب لهم الانطلاق والثورة على مغتصبي أرضهم .

ويوظف الشاعر " عثمان أبو غربية " الترميز بالصورة ، فيقول [2] :

نجم يوزع حنطة للسائرين
ويد تبعثر حزنهم
وتبعثر الأشياء في نهر التحرك والإرادة
وتبرعم الإحساس من بدء الولادة .

صورة حسية رمزية تضافرت فيها الرموز التالية : (نجم ، حنطة ، يد) ، وهي عناصر طبيعية خرجت عن مدلولاتها المختزنة في ذاكرة القارئ إلى دلالات جديدة متمثلة في المناضل الفلسطيني (نجم) وتشي هذه الكلمة بفضاءات رحبة من الأمل والرفعة والنور ، الذي يشترك

---

1 – السابق ، ص 15 .
2 – ديوان عدنا ، ص 82 – 83 .

فيه المناضل مع النجم، كذلك رمز (الحنطة) يعادل الخير الذي يريده لهم المناضل ، وفي المقابل يرمز الشاعر بـ (يد) في إشارة إلى العملاء والخونة والفاسدين ، وزاد من شفافية ووضوح هذا الرمز قرائن أخرى (تبعثر ، تبرعم) ، لقد تمازجت كل هذه العناصر الرمزية في المقطع لتشكل هيكلاً من لبنات الصورة الشعرية الكلية .

وفي قصيدة أخرى يستخدم الشاعر " عثمان أبو غربية " الصور الجزئية من تشبيهات واستعارات في رسم صورته الكلية ، فيقول [1] :

كعصفورة الشمس هالا تحب النهار
وتأتي
كلؤلؤة البحر تهوى المحار
كنجمة صبح تحب البحار
وتعرف هالا متى الموج يمضي
وتعرف صوتي
وتقرأ وجهي
وحسن الرحيل
وتقرأ صمتي .

قدم الشاعر خلال المقطع السابق صورة كلية تجسد خلالها صور حسية متدفقة ومتعددة الدلالة ، وكانت هذه الصور مستمدة من الطبيعة ، وقد اعتمد الشاعر على الأدوات البلاغية القديمة من تشبيه واستعارة وكناية ، ولكنها زادت الصورة الشعرية ألقاً وتلاحماً ، وساهمت في بنائها ،فلم تقف هذه الأدوات البلاغية عند حدودها التقليدية ، بل خرجت لتعطي الفكرة الأساسية والمعنى دلالة جديدة ، وتشكلت منها وحدة عضوية أساسها وحدة الموضوع والوحدة الشعورية والفكرية ، بحيث تؤدي كل صورة وظيفتها في بناء الصورة الكلية .

ويقدم الشاعر " معاذ الحنفي " صورة كلية لمحبوبته وشريكة حياته ، يوظف فيها العديد من الصور الجزئية ، يقول [2] :

من لي سوى عينيك يا حبيبتي !!
عيناك موسيقى
وخداك السهر ...

---

1 – السابق ، ص 90 .

2 – ديوان أعلق في ليلك الليلك ، ص 81 .

عيناك موسيقى
وألحان السفر ..
أنت القمر
عيناك أطياف السحر .

يتغزل الشاعر بمحبوبته ، فيستخدم لذلك العديد من التشبيهات الحسية (عيناك موسيقى ، خـدك السهر ، ألحان السفر ، أنت القمر ، عيناك أطياف السحر) ، وقد تظافرت كل هـذه التـشبيهات لترسم الصورة الكلية المعبرة عن الحالة النفسية للشاعر، وهي حبه وهيامه بمحبوبتـه ، وهـذا الشعور النفسي الفسيولوجي الكامن في أعماق الشاعر يحاول أن يوصله من خـلال التـشبيه ، الذي يتعدى حدود المقارنة بين شيء وشيء آخر ، ليخلق المعنى الإيحائي للصورة المـشبهة ، ويدعونا لاستخلاص وجوه مشابهة أخرى للموقف الانفعالي والتجربة التي وقع تحت تأثيرها .

هذه بعض النماذج للصورة الشعرية في الشعر الاجتماعي الفلسطيني .

خاتمة البحث

لقد حفل الشعر الفلسطيني الحديث بالعديد من النماذج الاجتماعية ، التي كانت نتاج اهتمام الشعراء بقضايا المجتمع وهمومه ، فقد خصوا الموضوعات الاجتماعية بقصائد مستقلة بعد أن كانت تأتي في ثنايا قصائدهم إلى جانب الأغراض الأخرى .

وقد تناولت في التمهيد لهذا البحث الشعر كوثيقة اجتماعية ، وبينت أهمية الشعر في معالجة القضايا الاجتماعية ، ثم تناولت في الفصل الأول التركيبة الاجتماعية للسكان ، من فئات اجتماعية وحركات وطنية وإسلامية .

وتحدثت في الفصل الثاني عن الظواهر الاجتماعية التي عالجها الشعر الفلسطيني ، الإيجابي منها والسلبي .

وأفردت الفصل الثالث للحديث عن قضايا المرأة والأسرة ، وبينت كيف اهتم الشعراء بالمرأة وقضاياها ، وأشادوا بكفاحها ودورها في تحمل مسؤوليتها تجاه أبنائها وبيتها وزوجها .

وتناولت في الفصل الأخير الظواهر الفنية في الشعر الفلسطيني ، كاللغة ، والأسلوب ، والصورة الشعرية .

أما بالنسبة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها :

أولاً / ترسيخ الشعراء للقيم الأخلاقية كالدعوة للعمل والمثابرة ، وبر الوالدين ، والدعوة للعلم واحترام المعلمين ، والأخوة والصداقة والوفاء ، والتكافل الاجتماعي ، والحث على الوحدة الوطنية ، ونبذ الفرقة والتعصب الديني .

ثانياً / التنفير من الآفات الاجتماعية كالفوضى والفساد ، والغدر والخيانة والفقر والبطالة ، والخلافات الحزبية .

ثالثاً / ظهر جلياً اهتمام الشعراء في هذه الفترة – عينة الدراسة – بتخليص المجتمع من ظاهرة العملاء والمندسين ، وبيان خطر المفسدين ، والتحذير من المنتفعين والمتسلقين وبطانة السوء ، كما أشادوا بالطبقات الكادحة ، ودعوا للرأفة بالفقراء والأيتام والعطف عليهم .

رابعاً / اهتم الشعراء بالمرأة وقضاياها ، وأشادوا بكفاحها ودورها في تحمل مسؤوليتها تجاه أبنائها وبيتها وزوجها ، وبينوا دورها في النضال والكفاح ، كذلك لم يغفلوا الحديث عن طبيعتها وتصوير مشاعرها وأحاسيسها .

خامساً / كاد يختفي من قصائد شعراء هذه الفترة – عينة الدراسة – الدعوة إلى تعليم المرأة ، وحضها على نيل حقوقها ، ومطالبتها بالإرث ، ومساواتها بالرجل ، فقد أصبحت هذه القضايا من البدهيات في المجتمع ، فلم يهتم بها الشعراء كثيراً .

سادساً / مال الشعراء لاستخدام الألفاظ السهلة ، واتسم شعرهم عامة بالسهولة والوضوح واستثارة العواطف والبعد عن المبالغة .

سابعاً / وعى الشعراء المفهوم الحديث للصورة الشعرية القائم على تجميع العناصر المتباعدة ذات الطبيعة المختلفة وربطها بخيالهم لإيجاد علاقات خفية تتشكل منها صورة شعرية جديدة.

هذا وقد أعرضت عن تعديد نتائج أخرى لهذه الدراسة لصعوبة المهمة ، لأن كل ما توصلت إليه الدراسة – في ظني – نتائج .

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في مسعاي ووفيت الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث حقه من الدرس والاهتمام .

والله من وراء القصد

مصادر البحث ومراجعه

1- إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1972 م .

2- أبو إياد صلاح خلف ، فلسطيني بلا هوية ، د.ت .

3- أحمد جبر شعث ،الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر،مكتبة القادسية،خان يونس ، فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2002م

4- أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، 1964م .

5- إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق، الطبعة الثالثة ، 2001م .

فن الشعر ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1996 م.

6- جان ايف تادييه ، ترجمة : منذر عياشي ، النقد الأدبي الحديث في القرن العشرين ، مركز الإنماء الحديث، الطبعة الأولى ، 1994 .

7- جمال أحمد الرفاعي ، أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني ، دار الثقافة الجديدة ، د.ت .

8- خالد الأعرج ، في تأويل خطاب النقد الأدبي الاجتماعي ، عبد المنعم ناشرون ، ط1، 1999.

9- داوود سلوم ، سوسيولجيا النقد العربي القديم، مراجعة : محمد أحمد ربيع ، مؤسسة المختار ، ط1، 2002م.

10- ديفيد ديتشس، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة: د. محمد يوسف نجم، مراجعة د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت، 1967م .

11- رجاء عيد ، القول الشعري " منظورات معاصرة " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.

12- زياد أبو عمرو : الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، دار الأسوار ، عكا ، أيلول 1989م.

13- ستيفن سبندر : الحياة والشاعر , ترجمة : محمد مصطفى بدوي , مراجعة : د . سهير القلماوي , الهيئة المصرية للكتاب , 2001 م .

14- سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر – عصر الملوك والطوائف – دار نهضة مصر ، القاهرة.

15- سعيد الوراقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، مقوماتها وطاقتها الإبداعية ، دار المعارف، القاهرة ، 1983 م .

16- صلاح فضل ، شفرات النص ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، 1995 م.

17- عادل عبد القادر منصور ، الخصائص السكانية وأثرها في التنمية في دولة فلسطين ، دراسة في الجغرافيا الاجتماعية – رسالة دكتوراه – مكتبة جامعة الأقصى .
18- عباس محمود العقاد ، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا
19- عبد الإله الصائغ ، الصورة الفنية في شعر الأعشى ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1984.
20- عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، ط 1 ، 2000.
21- عبد الرحمن ياغي ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1968 م.
22- عبد العزيز المقالح ، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1978 م.
23- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق : د. محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ،1988 م .
دلائل الإعجاز ، شرح وتعليق : د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 2005 م .
24- عبد المنعم الحنفي ، المعجم الفلسفي ، دار إدارة الشرقية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1990 م .
25- عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية المعنوية ، دار العودة ، بيروت ، ط 3 ،1981 م .
الشعر العربي المعاصر ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، 1992 .
الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، الطبعة السابعة، 1978م .
26- فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفلسطيني "1967-2001" ، المؤسسة الثقافية للإرشاد القومي ، رام الله ، فلسطين الطبعة الأولى، 2003 .
27- محمد حسن عبد الله ، الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، مصر ، 1981 م .
28- محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ، ط ، 1988 م .
29- ميثاق حركة المقاومة الإسلامية " حماس" 8 آب / أغسطس 1988م.
30- نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1978 م .

31- نبيل أبو على ، شاعرات عصر الإسلام الأول ، دار الحرم للتراث ، القــاهرة ، ط 1 ، 2001م .
في مرآة الثقافة الفلسطينية ، دار المقداد للطباعة ، غزة ، ط ،2004 م
في نقد الأدب ، دار المقداد ، غزة ، الطبعة الأولى 1996 .

الدواوين :

1- إبراهيم طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1993م .
2- أبو النصر التميمي، ديوان أفياء الكروم ، 1994م .
3- أحمد دحبور , أي بيت ، الهاني الثقافية ، غزة ، فلسطين ، ط1 ، 2004م .
كسور عشرية , مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي , فلسطين ,2002م .
هنا وهناك , دار الشروق , الطبعة الأولى , 1997 م .
4- توفيق الحاج ، تداعيات الخارجي الأخير ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 2003م .
5- توفيق زياد ، أنا من هذي المدينة / مجموعة من أعماله الــشعرية والقصــصية ، ط1 ، 1994.
6- جمال قعوار، شجون الوجيب، مؤسسة الأسوار، عكا، 1998م .
7- خالد سعيد , حجر وشجر , 1990 , بدون .
8- خضر أبو ججحوح، عرس النار، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م .
9- خضر محجز , اشتعالات على حافة الأرض , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , القدس – غزة , وبالتعاون مع شركة فنون للطباعة والنشر، د.ت .
10- ربحي محمود ، نقوش على ثوب أمي ,عناة للطباعة والنشر ، رام الله – فلسطين ، ط1، 2004م.
11- رشاد الصغير , محطات , وزارة الثقافة – الخليل – , الطبعة الأولى , نيسان 2000م.
12- رفيق أحمد علي ، خيوط الفجر ، الطبعة الأولى ، 2005م .
النقش على الهواء ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس/غــزة، ط1 ، 1999م .
13- سلافة حجاوي , سفن الرحيل , مطبوعات وزارة الثقافة , الطبعة الأولى ,1998 م .

14- سليم الزعنون , نجوم في السماء , دار الكرمل للنشر والتوزيع , عمان ,ط1 ,2001 م
وهكذا نطق الحجر , دار الكرمل للنشر والتوزيع , ط1 , عمان , 2001 م .
15- سميح القاسم ، القصائد ، المجلد الثالث ، دار الهدى ، ط1 ، 1991م .
ملك أتلانتس ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، 2005.
16- شهاب محمد , وثبة للغزال قبلة للقمر, اتحاد الكتاب الفلسطينيين , القدس , ط1 , 2001م
17- صالح فروانة، مفردات فلسطينية,منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين, الطبعة الأولى, 2004 م .
18- عبد الخالق العف , شدو الجراح , مكتبة آفاق , غزة , د.ت .
19- عبد الرحيم محمود ، الأعمال الكاملة ، جمع وتحقيق : عز الدين المناصرة ، عمان ، الكرمل ، ط2، 1993م .
20- عبد العزيز الرنتيسي ، حديث النفس ، منتدى أمجاد الثقافي ، مكتبة آفاق ، 2005م .
21- عبد الكريم السبعاوي ، متى ترك القطا ، دار النوارس للنشر ، غزة ، ط2 ، 1997م .
22- عبد الناصر صالح ، فاكهة الندم ، بيت الشعر ، ط1 ، 1999 م .
المجد ينحني أمامكم، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 1989 م
23- عثمان أبو غربية ، عدنا ، دائرة الإعلام في هيئة التوجيه السياسي والوطني ، رام الله ، ط2، د.ت .
24- عز الدين المناصرة ، لا أثق بطائر الوقواق ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 1999.
25- علاء الغول ، بهنباي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 1997م .
26- علي الخليلي ، سبحانك سبحاني من طينك طوفاني ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 2003م .
هات لي عين الرضا هات لي عين السخط , مطبوعات وزارة الثقافة , ط1, 1996 م .
27- عمر خليل عمر ، مرثية الشرف العربي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، أغسطس ، 2001م .
28- فرج البرعي , حديث الوجدان , سلسلة إبداعات فلسطينية (7) ، ط1 , 2005 م .
29- كمال غنيم ، جرح لا تغسله الدموع , مؤسسة فلسطين للثقافة , ط1 ,2006م .
شروخ في جدار الصمت ، آفاق للطباعة والنشر ، ط1 ، 1994م .
شهوة الفرح ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، 1999م .

30- ماجد أبو غوش ، بانتظار المطر ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2004م .
قالت لي الأرض ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ط1 ، 1989 م .
31- ماجد الدجاني , قمر على شباكنا , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , القدس , ط1 , 1999 م
32- المتوكل طه ، حليب أسود , منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين, مطبعة أبو غوش , ط1 ، 1999 م
رغوة للسؤال ، دار الكاتب ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1992.
الرمح على حاله، مركز أوغاريت الثقافي، رام اله ، الطبعة الأولى، 2004م .
فضاء الأغنيات، دار الكاتب، القدس، الطبعة الأولى، 1989م .
نقوش على جدارية محمود درويش ، بيت المقدس للنشر والتوزيع ، القدس ، ط1 2001م
33- محمود العجرمي ، ديوان أسفار الغريب، غزة ، الطبعة الأولى ، 2001 .
34- محمود درويش , أحد عشر كوكباً ، دار توبقال ، ط2 ، 1993م .
الديوان , المجلد الثاني , دار العودة , بيروت , ط1 ,1994م .
لماذا تركت الحصان وحيداً ، مطبوعات وزارة الثقافة ، دار فنون للطباعة ، ط1، 1995.
35- معاذ الحنفي , أعلق في ليلك الليلك , سلسلة إبداع المعتقلين رقم (1) , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , مطابع الجراح , غزة , 1998 م.
36- هارون هاشم رشيد ، ثورة الحجارة ، دار العهد الجديد ، تونس ، ط1 ، 1988م .
طيور الجنة، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1998 م .
قصائد فلسطينية , عمان , دار مجدلاوي , ط1 ، 2003م .
وردة على جبين القدس ، دار الشروق ، ط1 ، 1998 م .
37- يوسف المحمود , زغاريد على بوابة الصباح , اتحاد الكتاب الفلسطينيين , الطبعة الأولى, 1989م

المجلات والدوريات :

1- التركيب الأسري في الأراضي الفلسطينية ، الجهاز المركزي الفلسطيني ، حزيران / يونيو ، 2005م.

2- الجهاز المركزي للإحصاء ، مسح القوى العاملة الفلسطينية ، التقرير السنوي : 2004 أيار / مايو 2005.

3- دائرة الإحصاء المركزية ، 1999م ، مسح القوى العاملة الفلسطينية ، التقرير السنوي 1998 ، رام الله ، فلسطين .

4- عثمان شركس ، خليل مطاوع عمرو ، خصائص الحضر والريف في الأراضي الفلسطينية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، سلسلة التقارير التحليلية الوطنية ، تموز / يوليو 2003.

5- مؤسسة صادر الاقتصادي ، السنة الحادية والعشرون العدد 118 ، كانون أول 1999 م

6- ماجد محمد الفرا ، علاء الدين الرفاتي ، تغيرات مؤشرات سوق العمل الفلسطيني خلال انتفاضة الأقصى ، الجهاز المركزي للإحصاء ، حزيران / يونيو 2005 م.

7- مجلة الدراسات الفلسطينية ، فصيلة تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، العدد 7 ، صيف 1997.

8- مجلة الدراسات الفلسطينية ، فصيلة تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، العدد الخامس ، شتاء 1991 م.

9- مجلة العمل العربية – مجلة ربع سنوية ، تصدرها منظمة العمل العربية ، العدد (57) 3 / 1994 م .

10- مجلة العمل العربية – مجلة ربع سنوية ، تصدرها منظمة العمل العربية ، العدد (60) 2 / 1995م .

11- مجلة رؤية ، شهرية بحثية متخصصة ، تصدر عن الهيئة العامة للاستعلامات ، العدد السادس ، شباط 2001.

12- مجلة شئون اجتماعية ، العدد 72 ، السنة 18 ، شتاء 2001 م ، مجلة فصلية علمية محكمة ، تعني بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جمعية الاجتماعيين ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، الشارقة .

13- مجلة صامد الاقتصادي ، العدد 103 ، السنة الثامنة عشرة ، كانون الثاني / شباط آذار 1996 م .

14- مجلة صامد الاقتصادي ، العدد 118 ، السنة الحادية والعشرون ، كانون أول 999 م .
15- مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الأول ، أكتوبر ، 1980 م
16- مجلة فصول ، المجلد الثامن ، العددان 1 - 2 ، مايو 1989 .
17- الندوة الفكرية السياسية " خبرات الحركة السياسية الفلسطينية فـــي القـــرن العـــشرين ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني ، حزيـــران / يوليو 2000 ، غزة - فلسطين.

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
الإهداء	
المقدمة	4
التمهيد	7
الفصل الأول : التركيبة الاجتماعية للسكان	18
1- الفئات الاجتماعية	19
- الموظفون	19
- الطلاب	20
- العمال	22
- التجار	26
- المزارعون	28
2 – الفئات الوطنية والدينية	30
- الحركات الوطنية	31
- الحركات الإسلامية	35
الفصل الثاني : الظواهر الاجتماعية في الشعر الفلسطيني	40
ظواهر ايجابية	41
1- القيم الأخلاقية	41
- الدعوة للعمل والمثابرة	42
- بر الوالدين	48
- العلم واحترام المعلمين	51
- الأخوة والصداقة	54
- الوفاء	58
2 – التكافل الاجتماعي	62

– البذل والعطاء	62
– إغاثة الملهوف	64
– التهاني وتبادل الزيارات	65
3 – الوحدة الوطنية	68
ظواهر سلبية	72
1– الفوضى والفساد	73
2– الغدر والخيانة	84
3– الاستكانة والخنوع	96
4– الفقر والبطالة	99
5– الخلافات الحزبية	113
6– السجن	121
7– الموت	131
8– آفات أخرى	134
الفصل الثالث : الاتجاه نحو قضايا المرأة	139
1 – المشاركة في النضال والعمل	141
2 – تربية الأولاد	153
3 – الأم والزوجة	159
4– طبيعة المرأة	164
5– الحب	167
6– أخلاق المرأة	176
الفصل الرابع : الظواهر الفنية في الشعر الفلسطيني	178
1 – اللغة	179
2 – الأسلوب	201
3 – الصورة الشعرية	225
الخاتمة	241
المصادر والمراجع	243